كتاب سوانح قلبية

لسيدي الشيخ أحمد فتح الله الجامي حفظه الله

موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية

http://www.shazly.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ـــ مقدّمة ـــ

الحمد لله ربِّ العالمين ، الذي منَّ علينا بهذا الدّين القويم ، وجعلنا من أتباع سيّد المرسلين ، ودلّنا على وارث من ورّاث نبيّه الصّادقين . فله الحمد وله الفضل وله المِنَّة وله الثناء الحسن الجميل .

والصّلاة والسّلام على هادي الأنام ، ومنقذ البشريّة من الظّلام ، سيّدِنا وحبيبِنا وقدوتِنا محمّدٍ دليلِنا إلى دار السّلام ، وعلى آله وأصحابه الأعلام ، رضي الله تعالى عنهم وعمَّن تبعهم بإحسان .

وبعد : يقول الله تعالى في مُحْكَم آياته : { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا } [النحل /١٨]. فمِن أجلّ النّعم وأعظمها ـــ بعد نعمة الإيمان والإسلام ـــ نعمةُ السّلوك في الطّريق الموصل إلى التَّحقيق في بلوغ المرام من مقام الإحسان ، على يد مَن جعلهم الله ورَّاثاً لأنبيائه في دلالة الخلق عليه ، ومشاعلَ نور تضيء درب السّالكين إليه .

أحمدك اللهم حمدَ الحامدين ، وأشكرك شكر الشّاكرين ، أنْ عَرَّفتنا على عَلَمٍ فردٍ من هؤلاء الأعلام ، عزَّ أمثاله ، وقلَّ أن يوجد أشباهه ، وخاصّة في هذا الزّمان ؛ألا وهو شيخي وقرَّة عيني وحبيب قلبي سيّدي أحمد فتحُ الله جامي ، خادم الطّريقة الشّاذليّة القادريّة ،

الدّالُّ على الله تعالى بحاله قبل قاله ، والموجّه إلى التّمسّك بشرع الله تعالى وسنّة نبيِّه المصطفى عليه الصّلاة والسّلام بفعله قبلوعظه ، الخليفةُ الأوحدُ لسيّدي الشّيخ عبد القادر عيسى رحمه الله ، وطيَّب ثراه ، وجَعَلَ في أعالي الجِنان مثواه ، وجزاه عنّا وعن المسلمين كلَّ خير ؛ فإنّه ــ رحمه الله ــ لصدق أمانته أبى أن يَترك على رأس هذه الطّريقة المباركة إلاّ رجلاً بل جبلاً شامخاً يتابع بعده المشوار ، و يأخذ بيد السّالكين ويسير بهم في مدارج الكمال على درب التّوحيد الخالص والمعرفة الحقّة والعبوديّة الصّادقة . فجزاه الله عنّا خير ما جزى شيخاً عن مريديه .

بعد هذا أيُّها القارئ الكــريم : أظنّ أنّــك تعذرني إن لم أُوفِّهِ حقَّه ، ولم أُعْطِهِ قَدْره . فأنّى لمثلي أن يتحــدّث عن مثله ، وأين الثّرى من الثّريّـــا .

ولِما عرفْتُ منه ــ حفظه الله ــ مِن كُرهِهِ للمدح وبُغضهِ للثناء ، فإنّي لن أتحدّث عن شخصيّته العظيمة ، وصفاته النّبيلة ، ومزاياه الكريمــة ، ومقاماته الرّفيعة ، لكنّــني سأتحدّث عن آثاره الملموسة وعطاءاته المحسوسة .

فإنّني ــ واللهِ ــ مُذْ رأيتُهُ لأوّل وهلة أخذ لُبّي وسبى عقلي ، وملَكَ روحي ، قبل أن أسمع منه كلاماً ، أو يوجِّهَ إليَّ خطاباً . فعرفتُ فيه سرَّ الوراثة النَّبويِّة الكاملة ، فلَمْ أعُدْ أُطيقُ البعد عنه ، فلازمتُه ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً ، فإذا بصحبته تغذّي الأرواح ، وبنظراته تمزِّق حُجُبَ النّفوس ، وبكلامه يدغدغ القلوب . وهذا من ميزات الطّريقة

الشّاذليّة المباركة وتأثيـــرها في أتبـــاعها عن طريق شيوخهم بالتّسلسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولستُ وحدي في هذا الشّعور ، بل هذا شعور كلِّ مَن صاحَبَه وجالَسَه وسمع كلامه ، إلاّ مَن حُجِبَ بحجاب النَّفس ، أو تمسّك باتّباع الهوى . نسألُ اللهَ تعالى لنا ولهم الهداية والسّداد .

وممّا منَّ الله تعالى به عليَّ أن شرَّفني بصحبته ــ حفظه الله ــ في أيّام وليالي الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان لسنين عديدة ، وكنت أكتب عنه جواهر كلامه الذي يُفيضُ الله به على قلبه الشّريف ، من نفحات تلك الأوقات المباركة ، حيث كانت تتدفّق أحياناً كالشّلاّل الذي لا يملك هو أن يوقِفَهُ ، ولا يستطيع تكراره إذا ما طُلِبَ منه ذلك ، لأنّه ما خرج من عُصارة عقل ، ولا من إعمالِ فِكر ، ولا من استرجاع حافِظةٍ ، ولكنَّه فيضٌ من العلوم اللّدنّيّة والتّوجيهات الرّبّانيّة التي أكرمه الله تعالى بها ، وهذا من لوازم الطّريقة الشّاذليّة المباركة . فكانت هذه الوصايا والحِكَمُ مليئة بتوجيه القلوب إلى الله عزَّ وجلّ ، والحثِّ على التّمسّك بالشّريعة ظاهراً وباطناً ، واتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًّاً وعلناً ، والتّخلّي عن الأخلاق الذّميمة ، والتّحلّي بالأخلاق الحميدة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الطّريق والتّصوّف والمرشد ، وما يحيط بذلك من أوهامٍ ومفاهيمَ مغلوطةٍ وبدعٍ مذمومةٍ ، انتشرت بين مَن تمسّكوا بقشور الطّريق وتركوا لُبَّه وحقيقته ، فكانوا سبباً

لإعراض الكثيرين عن التزام طريق الحقّ ، والتّمسّك بأهل الصِّدق . وكان أثر هذه الوصايا كبيراً ، وفعْلُها بيّناً في كلِّ مَن سمعها بعد ذلك أو قرأها .

من هنا جاءت فِكرة جمعها في كتاب ، لعلَّ نفعَها يكون أعمَّ وأثرَها يكون أشمل.

فجُمِعَتْ ثمّ أُضيفَ عليها في نهاية الكتاب نخبةٌ من الوصايا الرّبّانيّة الّتي ساقها الله تعالى على لسانه ــ حفظه الله تعالى ــ في مناسبات متفرّقة ولقاءاتٍ مختلفة غير الاعتكاف .

وقد ارتأى ــ حفظه الله ــ أن يكون هذا الكتاب بعنوان : ((سوانح قلبيّة)) ؛ أيْ : معانٍ عَرَضَتْ للقلب بفضل الله سبحانه وتعالى دون طلبٍ منه ، إكراماً للحاضرين ، وإجابةً للسّائلين ، ورزقاً للمحتاجين .

فمِمَّا يُميِّز هذه الوصايا والحِكَم ــ وهذا سِرُّ فاعليَّتِها ــ أنَّه ــ حفظه الله ــ ما نقَلها من كتاب ، ولا تعلَّمها من معلِّم ، ولا هيّأها وجهَّزها مُسبقاً ، ولا حضَّرها من مراجع ، وإنَّما انسابت على لسانه الطّاهر من قلبه العامر بمدد إلهيٍّ باهر ، رزقاً للسّامعين ، وهدىً للسّائلين .

ففي اعتكاف عام ألفٍ وأربعِمائة وواحد وعشرين للهجرة ، قبل العيد بيومين ، نظر ــ حفظه الله ــ إلى دفاترنا الّتي كادت تمتلئ من كتابة وصاياه ، فقال : قبل أن تأتوا بيوم أو يومين تفكَّرت بيني وبين الله ، قلت : يا ربّ ! غداً يأتي الأحباب للاعتكاف ، ماذا أقول لهم ؟ تفكّرت . . . تفكّرت . . . واللهِ ما وَجدْتُ ولا كلمة ، ووجدْتُ نفسي فقيراً . انظروا

الآن كمْ كتبتم ، واللهِ هذا ليس منّي ، هذا رزقكم أتاكم من ربِّكم ، فهو معنا ، كلَّما سألتم يأتي الجواب منه تعالى ، لأنّه يعرف ضعفنا ويعرف احتياجنا .

فاللهَ العظيم أسأل ، وبجاه نبيِّه الكريم أتوسَّل أن يَمُدَّ في عُمُر شيخنا مع كمال الصحّة والعافية ودوام التَّرقِّي ، وأن ينفعنا به وبوصاياه ، وينفع بها أهلَ الطّريق وعامّةَ المسلمين ، وأن يجزيَه عنّا خير الجزاء ، فإنّا عاجزون عن شكره .

وصلّى الله تعالى على سيِّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلِّم

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليِّ العظيم

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات

كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى

بشير فرح

الأربعاء / ٧ / شعبان / ١٤٢٢ هـ

الموافق / ٢٤ / تشرين الأوّل / ٢٠٠١ م

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤١٤ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) الذي يريد رضا الله عليه أن يطبّق على نفسه الشّرع الشّريف والسنّة السنيّة وأن يتحلّى بالصّدق ، ومَن لم يجد ذلك من نفسه فليستغفر وليرجع إلى الله . هذا ظاهراً ؛ وأمّا باطناً فعليه أن يتمسّك بأخلاق الرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ويهتمّ بأن يكون قلبه مع الله عزّ وجلّ ؛ فإذا كان قلبه مع الله لا بدّ أن يكون من المتوكّلين . والتّوكّل هو الاعتمادُ على الله والسّكونُ وعدمُ الاضطراب ، لتعلّق القلب بالله تعالى . وعليه أن يتحلّى بجميع الصّفات المحمودة ؛ من الصّبر وتحمّل الأذى والرّضا بالقضاء والوفاء بالعهد وصلة الرّحم ودفع السّيئة بالحسنة والإنفاق مما رزقه الله سرّاً وعلانية . . . إلى غير ذلك . وعليه أن يقعد على باب قلبه ، فكلّما شَرَدَ قلبُه أو انحرف عن الاستقامة حوَّله إلى خالقه وبارئه ، وبهذه الصّفات يكون مع الله في الدّنيا . وإذا خافت نفسه من الموت فلْيقلْ لها : أنا مع الله في الدّنيا ومعه في الآخرة وهو يفعل بي ما يشاء وهو الغفور الرّحيم جلَّ وعلا .

بهذه الصّفات يكون العبد ظاهراً بشراً وباطناً ملَكاً ، ويكون ممن قال الله تعالى فيهم :{ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } [البينة / ٧] .

محبّة الموت أو الخوف منه ميزان للمؤمن ، فمن كرهت نفسه الموت ليس بصادق ، لأن مَن أحبّ الله يحبّ أن يذهب إليه .

٢) لو ننظر في الطّبيعة البشريّة نراها ناقصة ، فالإنسان محتاج إلى مربٍّ ، والمربّي هو ربُّ العالمين ، ولكن لا بدّ من الواسطة ؛ والوسطاء هم الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام ، ثمّ آخرهم الرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ثمّ أتى بعد الرّسل الورّاث من العلماء العاملين .

لذلك عندما قال الله تعالى لسيّدنا موسى وأخيـــه هـــارون عليهمـــا الصـــلاة والســـلام : { اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَو يَخْشَى (٤٤) قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَـــا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَو أَنْ يَطْغَـــى (٤٥) قَـــالَ لاَ تَخَافَـــا إِنَّنِـــي مَعَكُمَـــا أَسْـــمَعُ وَأَرَى } [طه/ ٤٣ - ٤٦] .

الخوف هنا مظهر نقص الطبيعـــة البشـــريّة الـــتي تحتـــاج إلى تربيـــة ؛ ربُّهـــم يكلّمهـــم : { اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ } وهما يقولان : { إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَو أَنْ يَطْغَى } . إذن ! هـــذه الطّبيعة البشريّة تحتاج إلى تربيـــة ، فقال تعالى مربّياً لهما : { لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَـــكُمَا أَسْمَـــــعُ وَأَرَى } . وكذلك بالنّسبة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فقد ربّاه ربّه فقال لـــه : { وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنعام / ٥٢] ، وقال : { عَـــبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّـــا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُـــو يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ } [عبس / ١ - ١١] . إذن لا بدّ مـــن التّربية . فإذا كانت للرّسل الكرام فمن باب أولى لِمَن بعدهم .

فالطّبيعة البشريّة تحتاج إلى تربية ، ولكن عقل البشر لضعفه وجهالته لا يفهم لِمَ يتّبـــع النّاس شخصاً أو مربّياً . والجواب : لأنّه يربّيهم ولا يداهن في الدّين ، وهو على الصّراط المستقيم والشّريعة والطّريقة والحقيقة . ومَن لم يربَّ على يد مربٍّ ولم يذهب ولم يرجع لا يمكن أن يربّـــي غيره .

٣) الله أنزل القرآن ليعمل المؤمنون به حتّى يتخلّصوا من نار جهنّم وعذابها ، وقد قال الله تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر / ٩] . وكما أن القرآن محفوظ بالله ، ومعصوميّة الأنبياء أيضاً بالله ، كذلك أهل القرآن إذا قاموا بحقوقه ؛ باجتناب نواهيه وتطبيق أحكامه يكونون محفوظين بحفظ الله ، فمحفوظيّة القرآن الكريم بالله تعالى وليست بأحد سواه ، وهو محفوظ حكماً ولفظاً ومعنىً ، وكذلك مَن اتّبع القرآن الكريم أمراً ونهياً يكون محفوظاً بحفظ الله . فكما أن الله تعالى يحفظ القرآن من التّغيير في اللفظ والمعنى ، كذلك يحفظ أهل القرآن الذين يقرؤونه ويعملون عملاً موافقاً لأوامره ونواهيه . اللهم اجعلنا من أهل القرآن . وهو على كلّ شيء وكيل ، وهو يقوم بالوكالة التّامّة بدون نقصان .

والحفظ هو الإعانة على عدم الوقوع في المعاصي ، والتوفيق لتحقيق رضا الله تعالى ، وليس المقصود بالحفظ عدم الابتلاء ؛ فإنّ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم كان معصوماً ومحفوظاً وكان ابتلاؤه عظيماً .

٤) إذا تعلّقتَ بالخلق انشغلتَ بهم ، وإذا انشغلتَ بالخلق نسيتَ نفسك ، وإذا نسيتَ نفسك نسيتَ ربّك ، فعلّقْ قلبك بالله واترك الخلق وكلامَهم . وكنْ شاذليّاً بكثرة الذّكر مع الحضور مع الله ؛ فإذا كنت حاضراً مع الله فأنت ذاكر .

وكن أيضاً غزاليّاً في المجاهدة للنّفس ، وذلك بتقليل الأكل والشّرب والنّوم والشّهوة والاكتفاء بقدر الاحتياج والضّرورة .

وإذا خالطت النّاس ووافقتهم فإنّهم يضيّعون دينك ، إذن ! عليك أن لا توافقهم بل تكون موافقاً لله ولرسوله ولكتابه ، وبذلك ينقدون عليك ، فيجب عليك أن تتحمّل وتصبر حفاظاً على الدّين .

٥) أبواب رحمة الله مفتوحة ، والإنسان هو الذي يغلق على ذاته هذه الأبواب ، وذلـك إذا وضع نفسه أمامه فتكون حجاباً له عن رحمة الله ؛ حيث إنّ أئمّة الكفر هي النّفوس المتمرّدة ، كما أنّ أئمّة الإيمان هما القلب والرّوح . فمَن تمسّك بالنّفس يفتح باب الكفر ، ومَن تمسّك بالقلب والرّوح يفتح باب الإيمان . ويمكن أن تستولي أئمّة الإيمان على أئمّة الكفر (القلب على النّفس) وذلك بتطبيق الشّريعة ، وتربية النّفس بالطّريقة ، أمّا إذا استولت النّفس على القلب كانت النّفس الخبيثة هي الغالبة .

٦) القلب قلبان : قلب حيواني صنوبري وقلب ربّاني من عالَم الملكوت ، وعلى هذا القلب لفظ الجلالة (الله) .

والنّفس نفسان : نفس ربّانيّة ونفس حيوانيّة ، والرّوح كذلك . وكلٌّ منهما متعلّق بالآخر ، أي هناك تعلّق للقلب الربّاني بالقلب الحيواني . وهذا التعلّق غامض لا يُعْلَم ، ولكن يمكن تصويره كاستيلاء السلطان على المملكة ، أو كتعلّق المغناطيس بالحديد ؛ فإذا قُرِّب المغناطيس من الحديد فإنه قبل أن يصل إليه يجرّه بدون أن نرى بينهما علاقة . ولكن صاحب هذا القلب يعرف تعلّق القلبين ببعضهما ويشعر به . وإذا غلب القلب الرّباني على الحيواني فإنّه قبل أن يلتصق به يحرّكه ، لأنّه سلطانه . وأحياناً يُحَسُّ بوجع في القلب الحيواني وذلك من إزالة الوسخ الحاصل من الذّنوب .

٧) الله أرحم بعباده من والديهم ، وعلمُه محيط بجميع الأمور وعواقبها ، يعطي الإنسان من الفيوضات الإلهيّة والتّجلّيات الجلالية والجماليّة بقدر قوّة تحمّله ؛ لأنه إذا أعطاه فوق طاقته لا يتحمّل . ومع ذلك فالعبد يطلب ، لأنه لا يشبع من رحمة الله جلّ وعلا ، و هو يطمع أن يزيده .

ولكن كما قال تعالى : { وَلَو بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ } [الشورى / ٢٧] ، والرزق المعنوي مثل الرزق المادي . مثلاً : المصباح الكهربائي الذي تحمُّله ٢٢٠ فولت إذا أُعطيَ ٤٤٠ فولت يُحرق في آنه ، يزداد ضوءه ثانية أو ثانيتين ثمّ يُحرق . فعلى العبد الضّعيف أن لا يطلب شيئاً لا في الحال ولا في الاستقبال ، ويرضى بما قسم له جلَّ وعلا ، لئلاّ يتجاوز حدَّ الأدب ؛ لأنّ علم العبد منحصر لا يحتوي عواقب الأمور ، ولكن علم الله جلّ وعلا يحيط بكلّ شيء .

٨) الاستغفار والتّوبة هما ميراث المؤمن من أبيه آدم ، فلا بدّ أن يأخذ ميراث أبيه ، لأنّ الإنسان من وصفه الضّعف والتّقصير . وما رأيت أحداً تمسّك بنفسه إلاّ وتراجع ولم يتقدّم . وإذا خرجت نفسك من بينك وبين الله لم يبق إلاّ ربّك ، والنّفس لا تخرج بالكليّة عن أمّاريَّتها بل تضعف ، حتّى ولو كانت مطمئنّة لا تخرج عن خباثتها ، بل جوهرة الإيمان تقوى عليها . فالروح الربّانيّة إذا أخذت غذاءها فإن نور الإيمان يسلَّط على النَّفس ويُضعفها . ونور الإيمان يقوى بالطّاعة ؛ وهذا هو السبب أمّا المسبب فهو الله تعالى . والمؤمن الصّادق يأخذ من الدنيا بقدر الحاجة من الأكل والشرب والشهوة وحتّى من العمل .

٩) على السّالك أن لا يفتح باب الجدل بينه وبين النّفس والشّيطان ، بل يسدّ عليهما أبواب المجادلة . قال الله تعالى : { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [فصّلت / ٣٦] . فمرغوب النّفس والشّيطان فتح باب الجدل ، وإذا حصل الجدل سُكِّر باب الحضور مع الله . الشّيطان - عليه اللعنة - يريد أن تدخل في المجادلة معه وتنقطع عن الذّكر ؛ فعليك أن لا تفتح هذا الباب ، وقل في نفسك : إنّي عبد مأمور بالذّكر ،

قال ربّي جلَّ وعــلا : { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ } [البقرة / ٥٢] ، فأنا أذكر الله وهو يراني ، والشّيطان يراني ولا أراه ، فلا يمكن أن أقاومه ، لذلك ألتجئ إلى الله الذي يراني ويراه .

١٠) التقوى تنـــزيه القلب عمّا سوى الله وتطهيرُه من الذنـــوب ، وهي غير الخشية ؛ لذلك قال الله تعالى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْـــشَ اللَّـــهَ وَيَتَّقْــهِ فَأُولَئِــكَ هُـــمُ الْفَـــائِزُونَ } [النور / ٥٢] . ذكرَ الطّاعة ثم الخشية ثمّ التقوى . لذلك حقيقة التقوى غير الطاعـــة وغـــير الخشية . وهي تنـــزيه القلب عن الذنوب ، وتعظيم أوامر الله واجتناب نواهيه . ومـــن كـــان مراقباً على قلبه ومحافظاً عليه ولم يخـــرب وجدانـــه - وذلك بتزكية نفسه - يقف على تلـــك النّفس الأمّارة بالسّوء ، وذلك برؤية مخالفتها وأنها لم تعبد الله حقّ العبادة . وكلّما ضعُفَتْ نفسُك ترقّيتَ ديناً ودنيا .

١١) كل إنسان ينسب الفضيلة والإحسان إلى نفسه ، والله جلّ وعلا قال : { فَلاَ تُزَكُّـــوا أَنْفُسَكُمْ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النّجم / ٣٢] ، وعلى هذا فالاعتراف بالنقصان كمال ، كما أن الاعتراف بالفضل نقصان . قال الله تعالى : { وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التوبة / ١٠٢] . فلا بدّ للمرء العاقل أن يفتّش عن عيوبه ويعترف بنقصانه ويعترف بعدم تقواه ، وعلى المؤمن مهما عَبَد الله أن لا يرى هذا العمل لائقاً لرضا الله ، لأنّه يطّلع على أن عمله ناقص ، وكلّ شيء ناقص لا يليـــق بربّه جلّ وعلا .

١٢) قال الله تعالى :{ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ . . . } [التوبة / ٥] . القتل قتلان : قتل نفوس المشركين بالسيوف الظّاهرة ، وقتل النفوس الأمّارة بالسيوف الباطنة ؛ وقتلها قطعها عن هواها . سُئل سيّدنا الحسين بن علي رضي الله عنه : أيُّ الجهاد أكبر ؟ قال : الجهاد مع النفس .

١٣) قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا . . . } [يونس / ٧] . عندما جئنا إلى الدّنيا ابتدأنا بالقسم الفاني من حياتنا ، فإذا مِتنا نبتدئ بالقسم الباقي منها . وسبب عدم طلب الوصول إلى الله تعالى هو الرّضا بهذه الحياة الدّنيا من الأكل والشّرب والتّجارة والجماع وغير ذلك . والذين مالوا إلى هذه الدّنيا الفانية وركنوا إليها هم الذين غفلوا عن التفكّر في السّماوات والأرض والليل والنّهار وغيرها من الآيات الكونيّة الدّالة على الله تعالى .

١٤) محبّة الدّنيا من أشد عوائق المريد في سيره إلى الله تعالى . فمن علامة استفادة المريد وتقدّمه احتقارُ الدّنيا ، وبالمقابل تحصل له محبّة الدّين ؛ فلا يجتمع حبّ الدّنيا والدّين معاً ، وبذلك :

١ً ـ يسقط من عيون النّاس .

٢ً ـ يتخلّص من حبّ الدّنيا .

٣ً ـ يتذوّق حلاوة الطّاعة وينشرح صدره بها ؛ حينذاك روحه تتشوّق إلى العالم الأعلى وتعرج ؛ كما يتشوّق الإنسان إلى الطعام أثناء الجوع . وإذا لم يشعر المريد بهذه العلامات فعليه تسليم نفسه للمرشد .

١٥) النّاس عندما يقومون بالعبادات أو يتحرّكون في الكــون على قسمين :

القسم الأوّل : عندما يفعل ذلك يقول : ماذا يقول النّاس عنّي ؟ هذا مخالف .

القسم الثاني : عندما يعمل يقول : ماذا يريد ربّي منّي ؟ ويكون ميزانه الشّرع الشّريف .

فالأوّل مراقبته للخلق ، والثاني مراقبته للخالق .

١٦) قال الله تعــالى : { يَــا أَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــوا لاَ تَتَّبِعُــوا خُطُــوَاتِ الشَّــيْطَانِ } [النور / ٢١] . خطوات الشّيطان هي الكبر والغرور والعجب والنّظر إلى النساء وغير ذلــك من المعاصي . وكلّ المعاصي فعلها من فعل الشيطان . ومَن أحبّ شخصاً فعل فعله .

فأنت تدّعي عدم محبّة الشيطان وتفعل فعله ؛ هذا لا يكون . فعليك أن تــبغض الشّــيطان بالفعل ولا تكونَ عوناً لنفسك مع شيطانك وذلك في الاسترسال معها في المخالفات .

١٧) النّاس ثلاثة أصناف :

أ ــ صنف مقطوع له بحسن الخاتمة كالأنبياء والعشرة المبشّــرين بالجنّة .

ب ــ صنف مقطوع لــه بسوء الخاتمة مثل أبي جهل وفرعون وهامان وقارون . . . الخ .

ج ــ صنف مشكوك بخاتمتهم كعامّة المسلمين ، وأمرُهم مفوّض إلى الله .

١٨) كلُّنا نقول عن أنفسنا : (الفقير) ، ولكن إذا تحقق العبد بالفقر يكون حاله دالاًّ عليه ، أي على فقره وليس الأمر بالقول .

لذا : الوعظ بالحال أفضل وأنفع من الوعظ بالقال . وكلّ مَن ابتلي بالكلام مع النّاس لا يخلو من نفاق ورياء وشرك خفي ، لأن خوف المذمّةِ من الخلق وحبّ الثناء منهم هو عين الرّياء وعين حبّ الدّنيا . لذلك قالوا : مَن عمل بالوفاق لا يأمن من النّفاق .

١٩) الحضور مع الله للسالكين واجب ، وللأولياء فرض ، أمّا عوام المسلمين فالغفلة هي المسيطرة عليهم وتكون سبباً للمعاصي ؛ لذلك : مفتاحُ جهنّم الغفلةُ ، ومفتاحُ الجنّة الذّكرُ والحضورُ مع الله تعالى . واسمع قول الله تعالى : { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف / ٢٨] .

٢٠) الأخذ بالأسباب دعاء فعليٌّ ، والعمل بقدر الحاجة واجب ، أمّا جمع المال والاستكثار منه فهو فتوى لا تقوى ؛ لأنّه يُخْشَى معه الوقوع تحت قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المنافقون / ٩] .

٢١) إنّ أصحاب الرّياضات والمجاهدات كلّما أمعنوا في قهر القوى البدنيّة وتجويع النّفس قوِيَتْ قواهم الرّوحيّة وأشرقت أسرارهم بالمعارف الإلهيّة ، وكلّما أمعن الإنسان في الأكل والشّرب وقضاء الشّهوة الجسديّة صار كالبهيمة ، وبقي محروماً من آثار الفكر والعقل والمعرفة .

٢٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليدعو الناس إلى الله لا إلى نفسه . قال الله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النحل / ١٢٥] . فمَن يدعو النّاس إلى نفسه فهو مبتدع ، لأنّه يفعل فعلاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٣) معرفة أولياء الله عند النّاس أصعب من معرفة الله ، لأن الله تدلّ عليه كلّ المخلوقات ، حيث يُعرف ربُّنا بوجودنا ووجود السّماوات والأرض ، أمّا أولياء الله فمعرفتهم مخفيّة صعبة على النّاس .

٢٤) إذا تنوّرت القلوب لا يأتي إليها إلاّ اللمّة الرّحمانيّة الموافقة للحقّ والحقيقة ، أمّا ما عدا ذلك فترفضه .

٢٥) س : هل يصح أن نقول : إننـــا نقدّم أرواحنا إلى الله ؟

ج : هذا لا يمكن . لأنّ أرواحنا مُلْكٌ لـــه ، فليس لنا منَّة في ذلـــك . وكذلك المال والأولاد وباقي النّعم جميعها وكالات عندك ، ووكالتك في الأشياء لكي تستخدمها فيما خُلقت من أجله ؛ فإذا أخرجتَ نفسك ممّا بينك وبينها تتخلّص من العجب والكبرياء والرياء... الخ .

فمِنَ النّاس مَن يكون عبداً للمال ، ومنهم مَن يكون عبداً للكشوفات ، ومنهم مَن يكون عبداً للشهرة ، ومنهم . . . ومنهم ... ومنهم مَن يكـــون عبداً لله ، لا يتعلّق ســـرُّه إلاّ بـــالله ، لا بالعقبى ولا بالدّنيا . وإذا كان قلب العبد المؤمن خالياً من الدّنيا ولا يقع في سرِّه خطرات الكونين (العقبى والدّنيا) آنذاك يسع قلبُ المؤمن عظمةَ الله .

فإذا أردت أن تكون صاحب همّة عالية فعليك : أن تتعرّى بنفسك عن حبِّ الدّنيا ، وبروحك عن التَّعلّق بالعقبى ، وبقلبك عن إرادتك بإرادة المولى ، وأن تجرّد سرَّك أن لا يلمح الكون ، بأن لا يخطر في سرِّك شيء منه .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤١٦ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) الطّريق واحد (شاذليّة ــ نقشبنديّة . . .) ولكن طُرق الولاية متعدّدة . فمَن لا يتمسّك بنفسه يرى كلّ الطّرق حقّاً ، ولكن يحب طريقه أكثر . الهدف واحد وهو الله .

فكما أنّ التّعصّب في العروق أو المذاهب مخالف للشّريعة والطّريقة والحقيقة ، كذلك التّعصّب للطريق .

الذي لا يريد أن يكون هناك طريق غير طريقه فهو بخيل لا يحبّ أن يكون ورّاث رســول الله صلى الله عليه وسلم كثيرون .

ولكنّ الطّريقة الشّاذليّة لها ميزات ، أهمُّها :

١ً ــ الطّريقة الشّاذليّة طريقة علميّة عمليّة ، وعلومها قسمان :

أ ــ كسبي : وهو المعهود عند أهل العلم .

ب ــ لدنّي : وهو ثمرة التّقوى والإخلاص والصّدق . ومشايخ النقشبنديّة يُقرُّون بهــذا ، ومنهم الشّيخ ضياء الدّين كُمُشْخانَوي الــذي ذكــر ذلــك في كتابــه (جوامــع أصــول طرق التصوّف) .

٢ً ــ اشتغالهم بالذّكر أكثر من الطّرق الأخرى :

في الطّرق الأخرى يوجّهون مريديهم إلى الذّكر ويتركونهم بحالهم ، ولكن في الطّريقة الشّاذليّة يوجّهون المريدين إلى الذّكر ويشدّون عليهم ويحرّضونهم حتّى يخرجوا من الطّبيعة البشرية .

٣ً ــ هذه الطّريقة ليست إرثيّة : بل شيخ الطّريقة الشّاذليّة يفتّش حتّى يجد واحداً لــه أهليّة ليكون خادم المؤمنين بإذن من الله ورسوله . وإذا لم يستقم يأخذ الإذن منه ، لأنّه أمانة . كمـا يحاول الصّائم تأمين طعامه قبل المغرب كذلك يحاول الشّيخ البحث عن خليفة له .

٤ً ــ إذا جاء الإذن لواحد يكتبون لــه الإجازة : وذلك بعد أن يتبيّن لهم صدق ذلك الذي جاء له الإذن واستقامته كذلك .

٥ً ــ دستور هذه الطّريقة المباركة الكتاب والسنّة والتّمسّك بهمـا .

٦ً ــ لا يطلبون الدّنيا ولا الآخرة بل يطلبون رضا الله واتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يعبدون خوفاً من نار ولا طلباً للذائذ الجنّة ، لأنّ جنّتهم في الدّنيا ، تلك هي جنّة العارفين . ولكن يطلبون الجنّة ليكونوا مع الذين أنعم الله عليهم مــن النّبــيين والصّــدّيقين والشّــهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً . هذه المعيّة مطلوبة ومرغوبة عندهم لأنّ هذا موافق لرضــا الله تعالى جلّ جلاله ، ومقيّد بطاعته واتّباع رسوله .

٧ً ــ لا يطلبون الكرامات : الكرامة الكبرى عندهم ــ رضي الله عنهم ــ الاستقامة علــى الشّريعة . لا ينكرون الكرامات بل يعتبــرونها من الحظوظ .

٨ً ــ أفراد هذه الطّريقة المباركة ــ نحن نتكلّم عمَّن فهم الطّريقة ــ إذا رأوا مخالفة من شيوخهم في حياتهم لا يتّبعونهم ، ويقولون لهم صراحة ولا يرضون بتلك المخالفة الشّرعيّة .

٩ً ــ كلّ مريد فيهم لـه صلاحيّة الكلام مع شيوخهم في المذاكرة والأسئلة ، مع الحرمة التّامّة لشيوخهم .

١٠ً ــ التّمكين : وهو تحمّل التجلّيات الإلهيّة بأنواعها .

٢) الشيخ الذي يُرِي مريديه الكرامات يوجّههم إلى نفسه . عليه أن يوجّههم إلى الله وإلى اتّباع الرّسول عليه الصّلاة والسّلام .

فَسِرُّ الطّريق يسري في المريد ، والشيخُ يوجهه إلى الشّريعة ؛ وهذه هي الكرامة .

بالاشتغال بالكرامات ينسى الإنسان المؤثِّرَ ويبقى مع المؤثَّر . وظيفة أهل الله تعالى ليست اشتغالهم بالكرامات ، بل توجيه المؤمنين إلى شريعة الله تعالى وسنّة نبيّهم عليه الصّلاة والسّلام ، حتّى تحصل لهم محبّة الرّسول صلى الله عليه وسلم ، ومنه ينتقلون إلى محبّة الله تعالى ، حينذاك تحصل العبوديّة .

الاشتغال بالكرامات ضد هذا . فمن وجَّه النّاس إلى الكرامات فهو يوجِّه إلى نفسه . والكرامات ليست مقصودة لكنها تُعطى . وإذا حصل لبعض المشايخ أو لبعض النّاس كرامات يتوجّه النّاس إليه ، بدلاً من أن يتوجهوا إلى أنفسهم بإصلاحها وترك الأخلاق الذّميمة . ويخافون من ذلك الشّيخ لكرامته . ليس الشيخ بالمقصود ولا كرامته بالمقصودة .

كثير من النّاس يدَّعون الطّريقة ويتعلّقون بالكرامات ، وأفراد طريقتهم أكثرهم لا يشتغلون بتزكية أنفسهم التي لا بدّ منها . يقولون : هذا ولي الله ! فإن لم يكن لك في تلك الولاية تزكية نفسك ومعرفة ربّك والوصول إلى الحقيقة ، ما معنى أن يكون شيخك قطباً ؟

و ثمرة توجيه النّاس إلى كتاب الله و ربّ النّاس العبوديّةُ .

الذي تعبده هو الذي خلقك ، وإذا شاء وأراد يزرع فيك ما تحتاج إليه ، وهو أعلم بما تحتاج إليه . عِلمُك محدود وعلمُه محيط بعواقب الأمور كلِّها .

النفس لا تُزكَّى بالكرامات حتّى تتعلّق بها ، بل هي من الحظوظ الدّينيّة . وعلى السالك أن يترك إرادته الدينيّة والدنيويّة والأخرويّة بالكليّة ، ولا يتعلّق إلاّ بما كُلِّف به من الكتاب والسنّة.

مسلك ومشرب الذين يتعلّقون بالكرامات بعيد من العبوديّة . وإذا كنت عبداً للمعبود - كما أسلفنا ــ فهو يزرع فيك .

بعض الأولياء الكبار عُرِضت عليه القطبيّة فردَّ واستعذر وقال : أنا أحبّ أن أعبد الله وأكون عبداً له . فإن قلتَ : القطبيّة ألا تستلزم العبوديّة ؟ نقول : نعم ، لكن فيها مرتبة ؛ فهُم يهربون من هذا المنصب لئلاّ يطلبوا الحظوظ الأخرويّة .

تتعلّقون بالكرامات وتنسون عبوديَّتكم ! العبوديّة هي المقصودة . قال الله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا } [الفرقان / ٦٣] . ما وصفهم بظهور الكشف والكرامات والمقامات ، بل كلَّفهم بالشّريعة المحمّديّة .

هذه الآية تضرب وجوهنا وتقول : تتركون ما وصفكم به ربُّكم وتتعلّقون بغير ذلك !

فعلى كلِّ واحد منّا أن يعرف ما كُلِّف به ولا يدّعي ما ليس موجوداً فيه ، فهذه دعوى باطلة ، حفظنا الله وإيّاكم جميعاً .

الكرامة التي تظهر على يد الشيخ ليست له ، ليست ملكه ، وإنّما هي للطريقة ؛ فإذا كان يوجّه إلى الله وإلى رسوله وإلى الطّريق فهذه هي الكرامة .

أكملُ طرق الولاية اتّباعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس هناك طريق أشرق ولا أضوأ ولا أنور ولا أوضح من طريق الاتّباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣) ما دام الله تعالى قال :{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ } [البقرة / ١٥٢] ، قَرَنَ ذِكْرنا الحادث بذكره القديم - وهذا من فضله وكرمه ، لأننا لا نستحقّ هذا - فعلينا أن لا نترك هذه الأذكار التي اختارها أسيادنا لنا ، لأنّ التّمسّك بالذّكر المأذون أفضل من غيره ؛ فالوارث أعلم منّا وأعرف منّا بربّنا جلّ و علا . قال رسولنا عليه الصّلاة وأفضل السّلام : ((أفضل ما قلت أنا والنّبيّون من قبلي : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له)) [انفرد به مالك عن طلحة بن عبيد

الله بن كَريز رضي الله عنه] . وهذه الكلمة المباركة تُخْرِج الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، فكيف لا تُخرِج المؤمن المصدِّق مـــن الأخلاق الذّميمة إلى الأخلاق العالية ؟

الأذكار كلّها طاعة لله ورسوله ، والله تعالى يقول : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِـــكَ مَـــعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُـــنَ أُولَئِـــكَ رَفِيقًـــا } [النساء / ٦٩] . ذلك الفضل من الله . لو لم يكن لنا جنّة فهذه المعيّة نِعْمَ المعيّة . فيجب أن لا نغترّ بهذه الدّنيا الدّنيّة .

هذه الأذكار المقيَّدة والمقرَّرة عند أسيادنا كلُّها مأخوذة من الآيات والأحاديث النّبويّة . مَـــن تمسّك بها يكون تمسّكه طاعةً لله ورسوله ، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم ، علـــيهم الصّـــلاة والسّلام ورضي الله تعالى عنهم .

والذي أُذِن لـــه بذكر الاسم المفرد (الله) لا يُقال لـــه : ذكر هذه الكلمة الطّيبة لا يـــدخل في تركيب اللغة العربيّة ، لأنّها ليست جملة مفيـــدة ؛ فهو يخاطب الله ، وهو أمرَه بذلك بقوله : { قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ } [الأنعام/٩١] ، فلا تحتاج إلى موافقة تراكيب اللغة العربيّة ، كما قـــرَّر القسطلاّني شارح البخاري - رحمه الله - في هذا الموضوع .

مَن تعوّد قلبُه على الذّكر يشعر بالحاجة إليه كما يشعر الجسم بالحاجة إلى للطعـــام . ومَـــن لم يتعوّد على كثرة الذّكر يكون الذّكر على لسانه ثقيلاً . وهذه علامة غير جيّـــدة ، وهـــي مـــن علامات النّفاق ـــ كما قال سيّدي أبو الحسن الشّاذلي رضي الله عنه ـــ فعليه أن يستغفر .

قد تجرّه النّفس لقراءة الكتب أو القرآن بدل الذّكر . القرآن أفضل من الذّكر ، ولكن يمكن أن يكون في وقت آخر . وعليه أن يذكر حتّى تكون القراءة قراءة وتكون الصّلاة صـــلاة . لا تسدّ على نفسك أبواب الفائدة هذه .

٤) إذا قيـــل كيف يحصل سرّ الحديث الذي قال فيه رســـول الله صلى الله عليه وسلم : ((أن تعبد الله كأنك تراه . . .)) ؟ نقول : إذا انتقلتَ من الإيمان العلمي (أي علم الـــيقين) إلى عين اليقين ، وبعدُ حصل لك حقّ اليقين ـــ وهو الإيمان الحقيقي ـــ يحصل لك سرّ هذا الحديث . كما قال جلّ وعـــلا : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَـــانِ } [البقرة / ١٨٦] . و في هذه الحالة عليك باعتقاد أهل السنّة والجماعة ؛ فانظر بعين قلبك إلى ربّك بدون كيفيّة ومثال . كما قال جلّ وعلا : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُـــوَ السَّـــمِيعُ الْبَصِـــيرُ} [الشورى / ١١] . حين ذلك تثبت لك العبوديّة وتكون عبداً حقيقياً بـــذلك الإيمـــان . وإذا زالت هذه الحالة ترجع القهقرى ، ولو بقيت مؤمناً ؛ لكن تنـــزل إلى عين اليقين أو علم اليقين أو تدخل في الغفلة ، ويلعب بك الشيطان والدنيا والنفس والخلق الوكلاء للشياطين .

هذا هو سرّ هذا الحديث والآية الكريمة ، لكن عليك بالسّعي والمجاهدة حتّى يبدو لـــك هـــذا السرّ بإذن الله تعالى .

الله تعالى قال : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } [البقرة / ١٨٦] . كلٌّ منّا يقرأ هذه الآية ، لكن بدون تطبيق ؛ لذا يبقى هذا السرّ في الآية والحديث . نرجو الله الاســـتقامة علـــى التّمسّك بالشّريعة والاتّباع للسنّة بدون زيغ ولا انحراف .

٥) الله تعالى منـــزَّه عن الإطلاق والتّقييد . والعبد مقيَّد بالحدود الشّرعيّة ، فعلينا أن نحفظ الحدود . كن حافظاً على تطهير روحك . فكما جئت من العدم وخُلقتَ على الفطرة الإسلاميّة ، احرص على أن تدخل على الله تعالى بهذا التطهير ، وإذا حصلَتْ معك العثرات فالله تعالى يقول : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال / ٣٣] . أمّا الأوّل فقد انتقل إلى الملأ الأعلى ، لكن الثّاني وهو الاستغفار فإنه يبقى إلى قيـــام السّـــاعة . ورسول الله فينا بالأحكام الشرعيّة التي بلّغها لنا من الكتاب والسنّة . وانتقلت وراثتـــه عليـــه الصّلاة و السّلام إلى ورّاثه الذين اتّبعوه بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه .

الدّين لم يُغَيَّرْ مذ : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِينًا } [المائدة / ٣] ، ولن يُغيَّر إلى آخر الدّنيا . ولكن الأشخاص والنّفوس منهم مَن غيّـــروا ومنهم مَن لا يغيّرون حتّى ينتهي أجلهم ، و هو مدّة قليلة في هذه الدنيا .

٦) الفناء عن الخلق هو تركهم قلبيّاً والالتجاء إلى الله ؛ فلو أنّ هناك رجلاً مكتّف الأيـــدي والأرجل هل يُخشى منه ؟ لا . فكذلك الخلق ، لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ، فمن بـــاب أولى لغيرهم . لِمَ لا تستعمل هذه العزّة : { فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ }[المائدة / ٤٤] ؟

هذه الأمور كلّها قد يدخل فيها شيء من الرّياء أو العجب ، فعليك أن تُخْرِجَ نفسك من البين ؛ فإذا خَرَجَت نفسُك لا يبقى إلاّ قلبُك مع ربّك .

س : كيف نفرّق بين الخوف والحذر ؟

ج : أُمِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحذر : { خُذُوا حِذْرَكُمْ } [النساء/٧١] و هذا دعاء فعليٌّ ، نفعل ولكن لا نعتمد عليه . فإذا جاءت الأقدار لا تنفع كلّ الأسباب ، والرّسول صلى الله عليه وسلم لا يخاف الكفّار ولكن يأخذ بالأسباب . هذا الفهم بعيد عن فكر الإنسان ، وهذا لا يُعْلَم بالعقل فقط ، بل عندما ينتقل الإيمان من علم اليقين إلى عين اليقين .

فعلم اليقين يمكن تحصيله بقراءة الكتب ؛ فإذا قلت :هل الله موجود ؟ يقولون : نعم . أمّا عين اليقين فهو الحضور بالمعيّة .

٧) عزُّ المؤمن السّالك محفوظ ما دام لم يختلط بالأغنياء ولم يأخذ منهم شيئاً . وإذا اختلط بهم ولم يأخذ منهم شيئاً يكون الأغنياء والفقراء عنده سواء ، لأنّ عزّة الغني تذهب بعدم أخذ شيء منه . حينذاك يكون الفقير عزيزاً ولا يُتكبَّر عليه .

هذا هو العز الإسلامي ؛ فقيمة المرء بقدر دينه ، والأغنياء والفقراء في الطّريق متساوون . هذا أمر ابتلى الله به أكثر أهل العلم والمشايخ ، فهم يقعون في الذلّ ، بترك العزّ . علينا أن لا نكون هكذا ؛ لأنّ ما قُسِم لك يصل إليك سواء كنت مع العزّ أو إن تذلّلتَ ، هذا هو مقتضى إيمانك . ولذا صاحب العزّ الإسلامي إذا رأى الفقراء المؤمنين يتواضع ويتذلّل ، وإذا رأى الغنيَّ عِزُّهُ بالغنى يَتعزَّزُ عليه ولا يتذلَّلُ له ؛ لأنّه إذا أخذ منه شيئاً يقع في قلبه هذا الأخذ والإحسان والإكرام ، حينذاك يخضع لذلك الجزء المقسوم الذي جاء من الله ، فيتذلل للعبد .

٨) قلب المؤمن فيه محبّة الله تعالى ومحبّة ما سواه ، فأيُّهما يغلب على صاحبه يكون الآخر تبعاً لــه ، وإذا كانا متساويين فالله لا يقبل . الله تعالى لا يحبّ الشّركة في المحبّة . وإذا ثبت حبّ الله فالحبّ العَرَضي لا يأتي ، بل يُرى مُطْفأً ليس له وجود أصلي .

وإذا فعل شخص شيئاً مخالفاً لأوامر الله من المنهيّات ورجع إلى واحد من العلماء يستعذر منــه من غير أن يتوب ويرجع إلى الله ، لا يقبل الله توبته ؛ لأنّ الله يحبّ التّوّابين المنيبين الرّاجعين إليه . فعلينا أوّلاً أن نستعذر من الله تعالى إذا وقعنا في المخالفات والمنهيّات .

هذا الرّجوع إلى الله يعني أن لا يخاف العبد ولا يستحيي إلاّ من الله . ومَنْ يرجع إلى العبــاد ويستحيي منهم ففي توبته شكّ .

٩) الإيمان له ثلاث درجات :

١ ــ الإيمان العام : علم اليقين . وهو يؤخذ من الكتب . وأكثر المؤمنين على هذا الإيمــان . وإذا جاءت زندقة (مخالفات ــ فواحش) فكلُّ هذا العلم يذهب ، و يبقى جزء قليل من الإيمان لا يمنع صاحبــه عن المخالفات .

٢ ــ عين اليقين : بأن يرى ربَّه معه بصفاته .

٣ ــ حقّ اليقين : { وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِــينِ } [الواقعة/٩٣ــ ٩٤] ، فإذا باشر جسدُ الكافر نارَ جهنّم هل يبقى لــه شكّ فيها ؟ كذلك المؤمن لا يشكّ بربّه .

١٠) لا يُشبَع في هذه الدنيا من شيئين :

الأوّل : الأذواق والأنوار الحاصلة في الإسلام بواسطة القرآن والسنّة ، لا يَشبع منها العبد .

والثّاني : صحبة المرشدين الكاملين الكمَّل ورَّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقيقـيين . إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، عمرنا قصير وغوائل الدّنيا كثيرة . نخـاف أن نموت ولا نلتقـي بهم في الآخرة ، فنكـون قد خسرنا الدّنيا والآخرة .

اللهم ثبّتنا على نور الإسلام ولا تقطعنا عن ورَّاث سيّد الأنام عليه أفضل الصّلاة والسّـلام . اللهمّ شفّع فينا حبيبنا عليه الصّلاة والسّلام ، إنا نتشفّع به عندك أن تعفو عنّـا تقصـيراتنا وأن توفّقنا لطاعتك مادام أجلنـا ، وتقبّل منّا بفضلك وكرمك أعمالنا ، ولا تضرب بها وجوهنا يـا أرحم الرّاحمين . ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم . وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١١) المطلوب من كلّ مؤمن التّمسّكُ بالشّريعة ــ والطّريقةُ جزء من الشّـريعة ــ واتّبـاعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصدق والمحبّة والعمل بالتوجيهات ، حتّى يفنى في شيخه ثمّ في رسوله ثمّ في ربّه ، وكلٌّ واحد من هذه الفناءات لا يكون مانعاً للآخر بل يقوّيه . فشيخك يحاول أن يثبت فيك محبّة ربّك ومحبّة رسولك ، لا محبّته ، فإذا كنت صادقاً تثبت فيك محبّته أوّلاً ثمّ محبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ محبّة الله تعالى .

والفناء أن تترك ما تريد لما يريد .

١٢) الصّبر في الدّنيا ليس فقط على الفقر والمرض ، ولكن الذي فهم باطن الدّنيا يصبر على جميع غوائلها ومعاملة أهلها ، لأنّ أهلها أضرَّ منها . فساداتنا الكرام ــ رضي الله عنهم ــ صبروا على أذاها وعلى ضيقها وعلى ما صدر من أهلها ، حتّى العلماءِ منهم . لأن بعض مَن يُسمَّوْن علماء الدّين بلاءٌ ومصيبة على المؤمنين ، يهجمون عليهم ، وهجموا . لكن إذا تكلّمنا بهذا فكلّ واحد ينزِّه نفسه ويزكِّيها . التزكية ليست بيد الإنسان بل بيد الله تعالى ، باتّباع أوامره واجتناب نواهيه .

١٣) قال جلّ وعلا : { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ } [الكهف / ٢٨] ، وقال : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر / ٨٨] . فكيف للمؤمن أن يتكبر على المؤمن ؟ نعوذ بالله .

الشيطان منهيٌّ عن التكبّر ، والمؤمن يفعل بفعله .

على المؤمن أن تكون طبيعته طبيعة القرآن ، وإن لم تكن طبيعته قرآنية محمّديّة عليه أن يرجع إلى طبيعة القرآن وطبيعة محمّد عليه الصّلاة والسّلام ، لأنّ عقله لا يمكن أن يكون ميزاناً حتّى يوافقه ويترك دستور القرآن .

١٤) كلّ مَـن وصـل إلى الله لم يصـل بنفسـه بـل بـالله . وطريـق الوصـول هـو الاتّباع :{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ } [الأنعام / ١٥٣] . ولكلّ إنسان جهتان : جهة روحانيّة ربّانيّة ملكيّة ، وجهة ترابيّة كثيفة . ومادامت الطّبيعة البشريّة غالبة على الإنسان فإنّـه كلّما تقدّم يرجع القهقرى . أمّا الرّوحانيّة فهي متّصلة بالله وكتاب الله وسنّة رسول الله . الرّوح جاءت من جوار الله . فهي لا تطلب إلاّ الله ولا ترضى إلاّ به .

س : كيف نحقق طلبها ؟

ج : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت / ٦٩] ، ومع المجاهدة لا بدّ مـن الطّلب ؛ فإذا طلب العبد فالله يعطي . أما إذا لم يطلب فلا يمكن لأحد أن يوجهه إلى الله ولو كان القطب الفرد ، لأن العطاء من الله يأتي بناء على طلب العبد .

١٥) قال سيّدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله : أخرِج الهوى من صدرك تحلّ القيد من رجلك . وإنّي أقول : أخرِج الهوى من قلبك تحل القيد من جناح قلبك ، عندئذٍ تطير . رضا الله متوقّف على ترك الهوى . اخرُج من فعلك وافْنَ بفعل الله . اخرج من مرادك وافْنَ في مراد الله . واترك المعهود (مِن أكلٍ وشربٍ ولباسٍ ومنكحٍ) وخذ المشروع . فإذا صحّ لك هذا الترك ترجع بالأمر إلى المعهود ، فيعطيك الحظوظَ الدنيويّة في الحدود (أي عليك إذا أعطـاك أن تحفـظ الحـدود الشرعيّة كي لا تكون من المستدرَجين) .

١٦) على المؤمن أن يقرأ القرآن بالحضور مع الله وتدبّر معاني القرآن ، وبذلك يستفيد من الحضور مع الله ومن معاني القرآن . لأنّ علم الأوّلين والآخرين كلّه في القرآن الكريم ، سواء كان شريعة أو تصوّفاً أو حقيقة أو قصص الماضي . . .

ومَن يعمل بالقرآن و بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّه الله : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } [آل عمران / ٣١] . كلّ الأذكار يفعلها المؤمن ليفهم القرآن ، وليقيم الصّلاة ، لا ليصلّي الصّلاة ؛ فإذا كان القلب منزّهاً عمّا سوى الله يدخل فيه نور الله . ولكن يقولون : هذا صعب . على النّفس نعم ، أمّا على أهل الإيمان فلا.

أهل الإيمان يصبرون على مرِّ مذاقة ذلك ، بمحاربة النّفس والشّيطان والفناء عن الخلق ، لأنّ الخلق أشد من النّفس والشّيطان والدّنيا .

أكثر النّاس يقولون : إذا فعلتُ هكذا ، ماذا يقول النّاس عنّي ؟ ولا يقولون : ماذا يقول ربّي. وبذلك فإنّهم يعملون بالشّرك .

١٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((حسّنوا أخلاقكم)) ، معنى ذلك أنّ الأخلاق قابلة للتّغيير . لذا علينا أن نأخذ بأخلاق الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ، وهذا أمر مرغوب لازم. علينا الاتّباع .

مَن لم تكن أخلاقه حسنة فمصاحبته ليست حسنة ، ومَن لم تكن مصاحبته حسنة لا يصلح للاقتداء ولا للنصيحة . قال ربُّنا سبحانه : { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [الإسراء / ٥٣] ، ما قال : حسن بل أحسن ، هذا من ثمرة الأخلاق .

١٨) الإناء يسع بقدر حجمه ، فعلينا أن نكثر الذّكر حتّى تتوسّع قلوبنا ، فتتحمّل التجلّيات والواردات أكثر :

١ - التجلّيات الذّاتيّة : يحصل فيها تجلّي العظمة ، فيذوب الإنسان ويعود كما هو أصله ، نقطة (عدم) .

٢ - التجلّيات الجماليّة : كلُّها بسط ، ليس فيها قبض ، قد يضحك ويستبشر ويفرح.

٣ - التجلّيات الجلاليّة : يكون صاحبها كالحجر اليابس ، لا يستطيع أن يتحرك .

ولذا يُقال التجلّيات الجماليّة نزهة العارفين ، والتّجلّيات الذّاتيّة تطهِّر الإنسان كما يطهَّر الشّيء الملوَّث بالماء الطّاهر المطهِّر .

٤ - الواردات : تأتي بكثرة الأذكار والأنوار .

١٩) جميع المعاصي حرام بما فيها القلبيّة منها ، فلا بدّ أن يعتقد المؤمن أنَّ ربَّه يراه مع عمله ويعلم ما في نفسه ، وإذا ثبت هذا يخاف ولو كان في الخلوة أو في السّوق أو أي مكان .

بعضهم ينقلب هذا الخوف عندهم إلى شهود عظمة الله تعالى وكبريائه ، فيقول : لا يليق بي أن أفعل هذا الفعل وربي يراني . وبعضهم يخافون من الوقوف يوم القيامة أمام الله عزّ وجلّ فيتركون المخالفات .

٢٠) علينا أن نكون موافقين لرضا الله ، ونخرجَ من أحوالنا وعقولنا وعبادتنا ؛ لأنّ كلّ مَـــن يقف يعوقه عقله أو عبادته .

العقل محدود ، والقلب وراء ذلك . كما أن باطن الشّريعة وراء ظاهر الشّريعة كذلك القلب وراء العقل . فإذا تحرّر الإنسان من عقله وعبادته وإرادته يكون عبداً لله ، وإذا كان عبداً لله لا يهم إن كان عمله قليلاً أو كثيراً . بشرط أن يكون موافقاً للشّريعة .

٢١) على المؤمن أن لا يكتفي باسم الطريق ، بل عليه أن يتخلّق بأخلاق الطّريق.

الذي يخفّف جانب الطّبيعة البشريّة ــ بعد أداء الفرائض الإلهيّة ــ الذّكرُ والخلواتُ تحت يدِ مَنْ ذَهَبَ ورَجَعَ ، وأُذِن لـــه بتلك الخدمة للمؤمنين ، مع الصّدق والإخلاص ، وأن يضع عبادته تحت التّفتيش : هل وقع فيها شيء من الكبر والعجب والرّياء ؟ فإذا وجد شيئاً من ذلك يتـــوب ويستغفر ، وإذا لم يجد يشكر الله ويحمده على أن وفّقه للعمل الصّالح .

٢٢) مَن أحبَّ الله واتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن يترك الهوى ، وإلاّ فدعواه باطلة . وأمور الهوى كثيرة : فالانغماس في الدنيا والانغماس في العمل وحبّ الشهرة بين النّاس . . . كلٌّ هذا هوى .

الذي جعل نمرود إلهاً في زعمه هو الهوى .

يساعدنا على ترك الهوى : الأخذ بأحكام الشّريعة ظاهراً وباطناً .

٢٣) بالمداهنة يذهب عمل الإنسان ؛ لأنّ الذي يداهن يقول : إنّي لا أتكلّم كلاماً خشناً حتّى لا يتركني النّاس . هذا شرك . قال تعــالى : { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْــدِلُوا وَلَــوْ كَــانَ ذَا قُرْبَــى } [الأنعام / ١٥٢] . ولكن لا تكن غليظ القلب . أي تكلّم الكلام الخشن ، لكن مع الرّحمة . المداهنةُ حرام ... المداهنةُ خيانة ، فإذا ترك شخص الطّريق بسبب الكلام الخشن لستُ مسؤولاً عنه ، أمّا إذا لم أَقُلِ الحقّ فأنا مسؤول أمام الله تعالى .

٢٤) قال الله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَــيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّــلاةَ وَمِمَّــا رَزَقْنَــاهُمْ يُنْفِقُــونَ } [الأنفال / ٢-٣] هذه خمس صفات كلّها من الشّريعة ؛ ثلاث منها متعلّقة بالقلب ، واثنتان بالظّاهر .ونتيجة ذلك :{ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال / ٤] . هذه شهادة الله لهم .

٢٥) الاستعداد يختلف باختلاف الأشخاص ، ولكن للترقّي لا للاستقامة ؛ فمنهم مَن يترقّى بذلك الاستعداد ومنهم مَن لا يترقّون ، ولكن يبقون سالمين من المخالفات موافقين للدّين .

التّكليف الشّرعي نفسه ، أمّا التّرقّي فبحسب الاستعداد ، وأنــت لا تعــرف اســتعدادك . الاستعداد غير الاستطاعة ، والتّكليف على قدر الاستطاعة لا على قدر الاستعداد .

٢٦) مَن لم يجد شيخاً وكان عنده علم بالطّريق سابقاً عليه أن يستمدّ من الله ورسوله وسيّدي عبد القادر الجيلاني ، فيكون كأنّه في حجره وهو يربّيه ويوجّهه ، وفي أثناء تلك الحالة عليه أن يعمل بسيرة الإمام الغزالي رضي الله عنه ، فيكون محفوظاً من الزّندقة والكِبر والأمراض الباطنة والأخلاق الذّميمة . بشرط أن يكون صادقاً لا مدّعياً .

٢٧) لو كان حذَرُنا من النّفس والشّيطان كحذر الهرّة عندما تنتظر فأراً للخروج من جحره ، نرى الشّيطان ظاهراً كيف يأتينا ؛ لأنّ القلب إذا كان منوَّراً لا يستطيع الشيطان الدّخول إليه ، فيأتي إلى صاحبه عياناً . لا يوجد أبشع من منظره .

إذا مُنع الشّيطان من الدّاخل يأتي من الظّاهر ، وإذا مُنع من الظّاهر يذهب إلى وكلائه من زوجة أو ابن أو جار .

٢٨) عين اليقين أن تكون مع الله في الجماعة ومع النّاس وفي الخلوة وفي الجلوة . ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) . وإذا كنت في : ((فإنّه يراك)) أفضل لك من شهودك ، لأن شهودك قد يغيب عنك ، ولكنّ مراقبته تعالى أزليّة .

٢٩) كثرة مدح المريد لشيخه تضرّ الشيخ والمريد . فالشّيخ ليس إلاّ واسطة ، مادام يوافق الشّريعة ؛ فإذا خالف الشّريعة تسقط حرمته . ماذا يفيدنا إن قلنا : شيخي غوث ، شيخي قطب . . . ؟ ولكن الذي يفيدنا أن نقول : شيخي متمسّك بالشّريعة متّبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٠) الإيمان الضّعيف سيفه لا يقطع رأس المخالفات . فإذا نظر المؤمن إلى امرأة أجنبيّة وغـض بصره عنها ولكنّ الصّورة بقيت في قلبه يشتغل بها ، هذا من ضعف الإيمان .

مَن يعرف أنّ في الطّعام سُمًّاً هل يأكله ؟ لا ، لأنّه يزيل حياته . وذاك يزيل إيمانه .

٣١) ميزان المؤمن الشّرع الشّريف وليس الخلق . وإذا أبغضْتَ أحداً فليكن بغضك من أجل الشّرع ، لا من أجل النّفس . فإذا كان الغضب موافقاً للشريعة هذا جيّد ، ولكن إذا كان للنّفس فعليك بـ : { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ }[آل عمران / ١٣٤] .

٣٢) علينا بعد الاستعاذة بالله من الشّيطان كما أمَرَنا الله تعالى بقوله : { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِـنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [فصّلت / ٣٦] أن نستعيذ من الخلق ؛ لأنّ الشّيطان يوسوس إلى الخلق فيكونوا وكلاءه ، وهذا أقوى من الوسوسة .

نفسُك يمكن أن تُصلِحها وتَنقُلَها بالمجاهدة من الأمّارة إلى اللوّامة ، ولكن لا يمكن أن تُصـلِح الخلق .

٣٣) قال الله تعالى :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر / ٩] . كما أن الله يحفظ القرآن فإنّه يحفظ أهله الذين يقرؤونه ويعملون به ؛ فيوافقون أوامره ويجتنبون نواهيه كما أمر .

اللهم اجعلنا من أهل القرآن . وهو على كلّ شيء وكيل ، وهو يقوم بالوكالة التّامّة بـدون نقصان .

٣٤) الذي يغتَرُّ بمنصبه يُخافُ عليه . إنّي الآن خادم الطّريقة الشّاذليّة المتّصلة بسيدي عبـــد القادر عيسى ، ومع ذلك إن أجد مأذوناً آخر واللهِ أتّبعه . إنّي إلى الآن ما شبعت من الخلـــوة ، لكن لا يمكـــن لي ــ أي بسبب خدمة الطّريق ــ ، وتراهم يبحثون عن المشيخة . هؤلاء يكونون سبباً للنقد على الطّريق .

٣٥) الذي يعبد ربَّه يجب أن لا يعبد نفسه ، وإلاّ وقع في الشـــرك . فترى الإنسان لا يسمح لأحد أن ينصحه لأنّه تنكسر إلهيَّته .

لا بدّ للإنسان أن يعرف يقيناً أنّه ضعيف ذليل عاجز جاهل أحمق غافل عن الله جلَّ وعلا وعن شؤون دينه .

٣٦) الطّريق جوهرة ثمينة ، كلُّ مَنْ فهِمَه يبقى مع مَنْ يصل إليه الإذن . وهو بذلك الإذن لا يكون رئيسنا بل خادمنا ، علينا أن نحترم هذا الإذن . والذي لا يحترم الإذن يطلب أن يكون هو المأذون .

ومَنْ لم يفهم الطّريق معذورٌ شرعاً .

٣٧) الذي يقوم بخدمة المؤمنين ويتجاوز حدَّه ، فيكون آمراً ناهيـــاً ، وإذا خرج واحدٌ عـــن أمره ينفجر ، هذا مصيبة . والذي يكون ليِّناً معهم لكي لا يقولوا : هذا الرّجل ليس جيّداً ، فهو مُراءٍ .

٣٨) جئنا إلى هذه الدنيا طاهرين أولياء ، وكلّما كبرنا نلوّث هذه الرّوح . فعلينا أن نطهّرها حتّى نخرج من الدنيا كما أتينا .

٣٩) شرُّ أحوال الإنسان أن يكون قلبه خالياً عن ذكر الله . وإذا كان القلب خالياً عن ذكر الله تعالى ينتقل إلى الخلق والهوى ويشتغل بغير الله ، حينذاك يتبع الهوى .

٤٠) ليس هناك وصيّة أفضل من وصيّة الله تعالى لعباده :{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـــهَ } [التوبة/١١٩] ، ولم يكتفِ بالتقوى بل قال : { وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } . فإذا لم تكن صـــادقاً فكن مع الصّادقين تستفد من صدقهم .

٤١) ذكر أحد الفقراء لفضيلته الأنوارَ التي تَرِدُ إلى القلب . فأجاب حفظه الله : النور مخلوق لا نستفيد منه ، ولكن نستفيد من الله ورسوله والقرآن .

٤٢) مَن ترك اتّباع الهوى يُملأ قلبُه بالنّور والضّوء والإشراق ، ويَفنى عن الخلق ويبقى مـــع ربّ الخلق ؛ وإلاّ يَملأ قلبَه الهوى ، ويشتغل بالخلق ويَبْعُد عن ربِّ الخلـــق ؛ فعليـــه بالتوبـــة : { فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } [الفرقان / ٧٠] .

٤٣) النّاس محجوبون عن الله بشبحهم وبأوصافهم وطبيعتهم البشريّة . فالله معنا ، لا ننكـــر ذلك ؛ لكن لا نصدّقه صِدْقَ عين اليقين ، لأنّنا لو كنّا نصدّقه صدق عين اليقـــين لم يصدر منّـــا معاصــــي إلاّ بطبيعة البشر .

٤٤) لا شيء ينفع في الدّنيا إلا ثلاث :

١ - الاجتماع مع الأحباب .

٢ - التهجّد بقراءة القرآن .

٣ - أن تقعد في مكان خالٍ وتذكر ربّك .

٤٥) طلب رضا النّاس المؤمنين الموافق لرضا الشّريعة وبدون مداهنة مرغوب ، لا طلب رضا النّاس بسخط الله . وهذا من سيرة الخلفاء الرّاشدين ، قال سيّدنا عمر رضي الله عنه : (رضا النّاس مطلوب) .

٤٦) قلّة العبادة ــ بعد الفرائض ــ للمؤمن السّالك ليس عاراً ، ولكن عدم الصّدق يُبعد المؤمن المصلّي من الجنّة ، ويغلق عليه باب الجنّة وباب رحمة الله . وعدمُ الصّدق يوجد في أكثر النّاس .

٤٧) الذّكر عبادة والدّعاء عبادة ، ولكن بينهما فرق ، فالدّعاء طلب من الله تعالى إمّا لحوائج دنيويّة أو أخرويّة ، وكلاهما حظوظ . أمّا الذّكر فليس فيه حظوظ ، لأنّه لا يطلب شيئاً .

٤٨) مَن ينقل لك النّميمة ينقل أيضاً منك لغيرك ، فقل له : لا أسمع . حينئذٍ يخاف منك فلا ينقل ، فهو لا يخاف من الله .

٤٩) استماع الوعظ والنّصيحة سهلٌ ولكن التطبيق صعبٌ ؛ ولا يطبّق على نفسه إلاّ مَن كان صاحب عين اليقين ، وصاحبُ عين اليقين لا تدخل الزّندقة في إيمانه .

٥٠) مَن كان عنده شيء ذو قيمة ماديّة نراه يحافظ عليه ويخاف عليه ، فعلينا أن نعتبر منـــه ونحافظ على التّقوى .

٥١) لو تيقّنت أن هذه المعصية تقتل آخرتك لا تفعلها ، ولكن لنقص الإيمان تقع فيها . كما لو عرفت أنّ طعاماً فيه سمٌّ لا تأكله لكي لا تقتل جسمك .

٥٢) الإنسان بعصيانه لا يخرج عن العبديّة ، فإذا كان مؤمناً فهو عبدٌ مؤمنٌ عاصٍ أو فاسقٌ . أمّا المؤمن الصّالح فهو عبدٌ مطيعٌ .

٥٣) الذي لم يَذُقْ لم يَدْرِ ، فكيف يعطي القدر والقيمة للصّادقين ؟

الانقطاع عن صحبة الصّادقين مصيبة وبلاءٌ للمؤمنين ، ولاشيء يعوِّض عنه . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٥٤) الإنسان مخلوق بالتناسل ، أما الروح فهي :{ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء/٨٥] ، يعني بدون واسطة (خلاف الجسد الذي خلق من تراب) لذا فهي باقية .

٥٥) لفظ الجلالة مكتوب على قلب كلّ مؤمن ، ولكن يُغطّى بالمعاصي والغفلة ، فإذا أكثـــر من ذكر لا إله إلاّ الله يظهر .

٥٦) شمسُنا رسولُنا ، قمرُنا طريقتُنا ، روحُنا وحياتُنا إيمانُنا بالله تعالى ، بشرط أن نخرج مـــن علم اليقين إلى عين اليقين .

٥٧) الشّريعة أصل والطّريق فرع لـــه ، والحقيقة هي أن تجتمع الشّريعة مع الطّريقة .

٥٨) الكسب المرغوب هو كسب المعيشة ، وهو سنّة ؛ ولكن ليس بالانغماس فيه.

٥٩) لو تلعن الشيطان مليار لعنة لا ينـــزعج ، لأنّ اللعنة صفتُه، ولكن إذا خالفتَه ينـــزعج ، وكذلك النّفسُ .

٦٠) السّالك في الطريق يعرج تحت ظلّ معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكلُّ الكرامات والكشوفات مِن ظلِّ معراج الرّسول صلى الله عليه وسلم ، ولـــيس الظـــلّ كالأصل .

٦١) إذا قصّرتَ في الذّكر يُقطع ربحُك من رأس مالك ، ورأسُ مالـــك إيمانُـــك وعملُـــك وآخرتُك .

٦٢) إذا ثبت الإخلاص مع الذّكر فمرّة واحدة يترقّى بها الإنسان مقامات كـــثيرة ، قـــد لا يصل إليها بسنوات .

٦٣) مَن قال (لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله) في أيّ مكان كان ، يسري فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا النّور يمرُّ على بعض النّاس وهم لا يشعرون .

٦٤) الله قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ۝ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ } [الحاقّة / ٤٤ ــ ٤٥] فكيف بغيره ؟ ولو كان قطباً .

٦٥) حسن الظنّ أحياناً يكون كـــذباً ، فـــإذا عرفـــت أنّـــه لا يصـــلّي كيـــف تحســـن الظنّ به ؟ { إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ } [الحجرات / ١٢] وليس كلّه .

٦٦) الشّهوات وُضعت في المؤمن ليستعملها فيما خُلقت لــه ، ولم تُخلق لتكــون حاجبــاً بينك وبين الله .

٦٧) التلفاز : مباحُه مباحٌ ، وحرامُه حرامٌ ؛ لكنّ مباحَه فيه الغفلة ، والغفلةُ مفتاحُ جهنّم .

٦٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف النساء بقلَّة العقل وقلَّة الدّين وقلَّة القوّة وقلَّــة الصّبر ، فعلينا أن نتحمَّلهنَّ ولا نتشاجر معهنَّ .

٦٩) المؤمن ليس كلُّ فعله فعل المؤمن ، والكافر ليس كلّ فعله كفر .

٧٠) الاعتبار والأفضليّة بالإيمان لا بالحسب ولا بالنّسب .

٧١) النّوم غفلة ، ولكن نأخذ منه بقدر الحاجة .

٧٢) انصحْ وادعُ ولا تتأثّرْ بعدم القبول .

٧٣) إذا حصل معك الصّفاء بالذّكر لا تترك الذّكر إلى الدّعاء ، فهذا خلاف الأدب .

٧٤) مَن يرضى عن زوجته في كلّ شيء فهو ناقص ، معناه أذُنُه في يدها .

٧٥) الاتّباع على العمى ليس شأن أهل العلم ولا أهل الحقيقة .

٧٦) كلّ ما تكلّم عنه الفقهاء بالجواز خلافه أولى .

٧٧) ليس هناك أذكار أفضل من القرآن الكريم ، وأفضل القراءة في الصّلاة .

٧٨) الذي يؤمن بالله لا يتفكّر في رزقه ، بل يأخذ بالأسباب فقط .

٧٩) المصيبة قد تكون رفعاً للدّرجات أو تأديباً أو تكفيراً للذنوب .

٨٠) التّسامحُ في أمور العِرْض وعدمُ وجود الغيرة مِنْ نقص الإيمان .

٨١) إذا ظلمَك أحدٌ فأعطِه ما يطلبه منك ، وفوِّضْ أمـــره إلى الله ، فالله يعوِّضك .

٨٢) إنّا نخاف أن نتكلّم كلمة لم نتحقق بها .

٨٣) قلبُ المؤمن ميزانُه ؛ فإذا فتّشَ قلبَه يجد الغالبَ عليه .

٨٤) لا بدّ أن تعبد وتطيع بما يريد الله ورسوله منك ، لا بما تهوى نفسك .

٨٥) قال الله تعالى :{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُون} [الذّاريات / ٥٦] . وقال : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } [هود / ٦] . ومع ذلك فالإنسان يترك وظيفته - وهي العبوديّة - ويُقبل على ما تكفَّل الله به .

٨٦) تركُ العبادة خوفاً من الرّياء هو عين الرّياء .

٨٧) س : متى يفهم المريد عن شيخه بلا كلام ؟

ج : هذا يحصل بين الشيخ الحقيقي المأذون من الله ورسوله وبين المريد الصّادق المسَلِّم . ولكن هذا ليس لكلّ واحد .

٨٨) س : كيف نحافظ على هذه الحالة التي نعيش بها ونحن بصحبتكم ؟

ج : إذا أكل الإنسان ثوماً تفوح منه رائحة الثّوم ، وإذا تعطّر بالمسك تفوح منه رائحة المسك. فالطّريق سرٌّ دقيق لا يشعر به إلاّ مَن رزقه الله ذلك . فمَن كان صادقاً يصل إليه السرُّ ولو كان بعيداً عن الشّيخ .

سر الطريق - وهو الإخلاص - يسري في أهل الطّريق كما تســـري الكهربـــاء في السّـــلك الكهربائي . لكن لا بدّ أن نكون موصولين حتّى يسري فينا السرّ .

٨٩) س : هل الاجتماع للذّكر أفضل أم الانفراد ؟

ج : قلّة الاختلاط مع الفقراء أسلَم ، ولكنه لا يُترَك .

الاختلاط مع مَن يُستفاد منه أفضل ، أمّا مَن لا يُستفاد منه فعدم الاختلاط به أولى .

٩٠) س : ما هو علاج التّردّد ؟

ج : في حال التردّد عليك بالاستشارة . ويُستشار صاحب الخبرة والعقل الجيّد ؛ لكن إذا كان لديه حسدٌ لا يُستشار لأنّه لا يكون أميناً .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤١٧ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) الطبيعة البشرية فتنة للبشر .

فإن قيل : لِمَ لا يترقى المؤمنون ولا يقفون على لذة العبادة ، مع أنهم يحجّون ويصومون ويصلّون ويذكرون الله ؟

لِمَ ينغمسون في الدنيا ويتركون الآخرة ؟

قيل : سبب ذلك تعلقهم بالطبيعة البشرية التي يغتر الإنسان بها . قال الله تعالى : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران / ١٨٥] .

هذه الطبيعة البشرية من الحقد والحسد وحب الشهرة وطلب المقام وغير ذلك من الأوصاف المذمومة التي لم يرض الله بها هي السبب .

لكن الطّبيعة البشريّة قسمان : قسم هكذا ، وقسم مرضيٌّ ، مثل : الأكل والشرب والنكاح والتجارة . فهذه ممدوحة ما دامت في دائرة الشريعة .

من تعلّق بالطبيعة البشرية التي لم يرضَ الله بها يبقى واقفاً في مكانه . فيقولون : نحن نذكر الله ونقرأ القرآن ومع ذلك نبقى في مكاننا . هذا تعب .

إذا كانوا متعلّقين بالطبيعة البشرية تكون الطاعة مشقّة ؛ مشقّةُ الطاعة لا تزول إلاّ بتذوق لذّة الطاعة ، فتذهب المشقّة وتبقى لذّة الطّاعة نوراً على نور .

تفكَّرْ في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو قدوة لجميع البشر . فقد طهَّــر الله قلبــه الشريف بالجراحة كما هو معلوم عند جميع المؤمنين ، وبهذا التطهير والتصفية صار صلى الله عليه وسلم قدوة للمؤمنين . قال الله تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِــرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُــمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل عمران / ٣١] . فعليك أيها المؤمن إن كنت صــادقاً أن تتبع رســول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أخلاقه وأفعاله وأقواله ، حتى تكــون علــى سيرته. فأخلاقه لم تذهب معه إلى العالم الأعلى ، بل بقيت إلى يوم القيامة .

عليك أن تلوم نفسك وتفكر في هذه القبائح التي فيك وتُقوِّم نفسك . فالذين وصلوا إلى مــا وصلوا إليه هم مثلك مع الأهل والمعيشــة ؛ وأنــت لَــمْ تصــل لأنــك تعلّقــت بالطبيعــة البشريّة المذمومة ؛ فانغمست في الدنيا وبقيت مع الصنم الذي في قلبك . فاستحْيِ من الله تعالى وارجع إليه قبل أن تنقطع أنفاسك وتقول : { رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْــتُ } [المؤمنون / ٩٩] .

تفكّر أيُّها المؤمن الذي تدّعي المشيخة أو المريديّة مع وجود هذه الأخلاق ، واستحْيِ مــن الله تعالى . فمــن لم تَمُــتْ بشــريّته المذمومــة لا يمكــن أن يكــون علــى ســيرة رســول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي ماتت بشريَّته المذمومة هو وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢) خذوا الدنيا زاداً للآخرة ، ولا تبيعوا مَعادكم بالعاجل الذي هو الدنيا .

المؤمنون ــ خصوصاً أهل الطريق ــ أكثرهم تعلّق بعضهم ببعض وتعلّقوا بالدنيا ، مع وجود الاستعداد عندهم . فصاحب الاستعداد كما يُسأل عن عمله يُسأل عن استعداده ، لِمَ لم يستعمله في اتجاه الله تعالى واتجاه رسوله صلى الله عليه وسلم و اتّجاه أهل الطريق رضي الله عنهم ؟

لِمَ ما فهِمْتَ ؟ لِمَ ما تعلّمْتَ ؟ لِمَ ما استعملتَ استعدادك في اتجاه دين الله ؟ كيف تُضَيِّع هذا الاستعداد في حطام الدّنيا ؟ كيف تنشغل بما تكفّل الله لك به وتترك ما لم يتكفّل الله لك به ؟

مَنْ منّا بيده وثيقة بالنّجاة يوم القيامة ؟ هذا ليس من شأن العاقل .

أكثر المؤمنين خرجوا عن سَمْتِ (طريق أو نهج) الاستقامة .

نرجو الله تعالى أن نكون مستقيمين إلى آخر أنفاسنا حتى نلقى الله تعالى .

ومِنَ السؤال عن الاستعداد يوم القيامة قولُه صلى الله عليه وسلم : ((لا تزول قدما عبد حتّى يُسأل عن أربع : عن عمره فيمَ أفناه ؟ وعن علمه ما فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟)) . [أخرجه الترمذي عن أبي برزة السّلمي] .

الناس يقولون : هذا صعب .

نقول : لو لم يكن صعباً لما كانت نتيجته رضا الله تعالى . لكننا لا نهتم بهذه الأمور بقدر اهتمامنا بدنيانا وبفلوسنا .ما لم يصل إليك من الفلوس لا تحاسب عنه ، فلماذا نريد أن يكون حسابُنا أكثر ؟

٣) كلنا نحتاج إلى ربنا تبارك وتعالى ، ولكن بدون واسطة لا يمكن . فالله تعالى قادر على أن يعطي الإيمان بدون واسطة ، وهو تعالى بعلمه يعلم من الأزل الكافرَ من المؤمنِ ، فلماذا يرسل الرسل ؟ لأنه لا بدّ من الواسطة ، قال الله تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }[آل عمران /١١٠] ، هذا واسطة . فكنّا خير أمة أُخرجت للناس بهذا الشرط : { تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } ، وما دمنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر فلسنا بمسؤولين عن أفعال غيرنا ، كشرب الخمر والربا وغير ذلك ؛ أما إذا كنّا لا نملك إمكانية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهل يعذّبنا ربُّنا ؟ لا . أمّا قولُه تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } [الأنفال /٢٥] فهذا إذا كنت تجد وسيلة للنصيحة ولا تنصح ، أما إذا لم تجد وسيلة للنصيحة فلست مؤاخذاً ما دمتَ تُنكر بقلبك .

وإذا قيل : كيف يليق برحمة الله تعالى أن يعذّب البريء بهذه الفتنة ؟ نقول : هذا عين الرحمة ؛ لأن البريء من الظلم والمستقيم على الدين ، إذا لم يمكن له دفع الظلم وهو يطبق الشريعة على نفسه يبقى على الاستقامة ، وإذا توفي بهذه الفتنة يكون من الصابرين . قال تعالى : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر] ؛ فهذه الفتنة بالنسبة له عين الرحمة . وأما في الدنيا فجزاؤه معيّة الله تعالى ؛ كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة /١٥٣] .

وأما المفسرون فغالباً ما يقولون جواباً على هذا السؤال : إن الملك لله ، وهو يتصرف بملكه كيف يشاء ، وهو أعلم بصلاح خلقه ،{ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء /٢٣] ، { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصافات /٩٦] ، ولا يشيرون إلى أن هذا عين الرحمة .

٤) لا تظنوا أن أهل الدنيا يوجهونكم إلى الآخرة . واللهِ هذا مُحال ؛ لأن الشيطان استحوذ عليهم ؛ فهم يوجُهونكم إلى أنفسهم وأنفسكم وإلى الدنيا . وإذا تدحرج الواحد منّا في الحفرة فإما روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار .

علينا أن نذهب قبل أن نذهب . هذا مفقود عند أغلب الناس إلاّ من رَحِمَهُ الله ، فالناس لا يحاسِبون أنفسهم قبل أن يُحاسَبوا .

لو كان شُغلُك .. هندستُك .. تجارتُك عندك بالدرجة الثانية بالنسبة للآخرة هذا جيد . قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المنافقون /٩] ، وقال تعالى : { رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ } [النور /٣٧] . ما قال لا تعملوا ؛ فعلينا أن نعمل لكن دون أن نغفل .

الغفلة والبعد صفتنا ، والمراقبة صفته تعالى . الغفلة عن الله تعالى مفتاح جهنّم ، والحضور مع الله ولو كان مع الشغل جيد . فالمؤمن يتمسك بالشريعة ظاهراً وباطناً ويسعى على عياله بقدر احتياجهم لا بقدر أن يترك دينه بهذا السعي ؛ فالشغل ليس ممنوعاً لكنَّ الغفلةَ ممنوعة . الذي يليق بالمؤمن التفكّرُ بمعيّة الله ، وتركُ المحرّمات والإتيانُ بالواجبـــات .

كن حارساً على باب قلبك . لو وضعتَ سياجاً حول أرض حتى لا يدوسها إنسان ولا حيوان ونزل عليها المطر تنبت فيها الأعشاب والحشائش ؛ واللهِ قلوبكم هكذا . إذا سيَّجتم قلوبكم بذكر الله يكون الذكر حافظاً على القلب ، ولا يمكن للملعون أن يدخل فيه ، بل تتيقظون قبل أن يدخل ؛ ولكن قلوبكم أصبحت كالشارع يدوس عليها الكلاب والخنازير والنساء .

إننا لا نهتمُّ بهذه الأمور بقدر اهتمامنا بدنيانا ، فترى الواحد يدرس ليكون دكتوراً في الدنيا ويتركُ الدين . لِمَ ؟ هل الدين أدنى من ذلك ؟

٥) كُدورة الدنيا ثابتة لا تزول . قال تعالى : { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ . . . } [الحديد /٢٠] . علينا أن لا نُخرج أنفسنا عن مخاطبة هذه الآية ، ومَن أخرج نفسه فهو مغرور.

والعجيب للمؤمن أنه يقرأ ويسمع ما يقال له ولا يعمل ؛ بل يعمل بخلاف ما يعلم ، بخلاف ما يُؤمر .

صاحب العقل المنوَّر المزيَّن المقدَّس عقلُهُ يحفظه عن غضب الله وعذاب الله وعن نار جهنّم ، وعن عدم اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم .

مَن ادّعى شيئاً خارج دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعواه كاذبة .

علينا أن نطبّق أولاً على أنفسنا حتى لا يُقال لنا : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ } [الصف/٢] ، وعندها ينبت الخير في القلب . كل من وصل إلى ما وصل وصار وارثاً حقيقياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما وصل بعدم تعلقه بما سوى الله ؛ لا بتركه الدنيا .

الذي يقول : شيخي ..شيخي .. ويتركُ الربَّ ويبقى مع الشيخ ويَعدُّ محبة الشيخ بدون محبة الله وبدون اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفي مخطئٌ ، فهذا لا يكفي ، بل يكون حاجباً عن الله تعالى .

هل كل مَن يدّعي شيئاً يُعطى له بدون دليل ؟ لا . فلو ادعى أيّ واحد أن له على غيره فلوساً هل يصح بغير دليل ؟

فكيف يَنال الآخرة بغير دليل ؟ يُقال فلان عالم ؛ العلم إذ لم تكن معه الخشية لا يستفيد صاحبه ولا يُستفاد منه .

٦) أُحِبُّ الشريعة وعلوم الشريعة ، لكن أحبُّ التصوّف أكثر .

فلو وضعتَ علوم اللغة العربية والفقه والحديث وباقي العلوم كلها في كفّة ووضعتَ علم التصوّف في كفّة تجده أثقل منها . لذا : التعب في تحصيل التصوف مرجَّح على التعب في جميع هذه العلوم .

من حيث المشقة علم التصوف صعب ، لأن علوم التصوف كلّها خفية ، أمّا باقي العلوم فموجودة في الكتب ؛ لكن إذا جاءتك خطرات خبيثة كيف تدفعها ؟ ولذلك قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [العنكبوت/٩] ، وما قال : الذين جاهدوا في العلوم .

٧) الإنسان مسؤوليته الكبيرة ليست على نفسه فحسب بل على أهله وأولاده أيضاً. فهو يضيع حقوقه وحقوقهم بتعلقه بالفلوس .

أقول لكم : انظروا إلى قول الله تعالى : { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ } [الرعد /٢١-٢٣] .

فالصلاح بالإيمان يكفي لمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إلى سبعين درجة في الذرية الذين هم من أصلابهم ؛ والنسبُ الروحي أقوى .

وتساءل البعض :كيف تُرفع منازل هؤلاء مع فارق المرتبة ؟

فقال بعضهم : صاحب المرتبة يَرى أبعدَ وأشملَ ، ويَرى مَن حَوْلَهُ أقلَّ حسب مرتبته ؛ كمن بَصرُه خفيف يرى أقلَّ ممن بصره أكثر .

وإذا قيل : ما نفعل لنصل إلى ذلك ؟ أقول : التمسك بالشريعة - في دقائق وكبائر الشريعة - وبالسنة النبوية ما استطعتم ؛ أما الذين يبيحون لأنفسهم المعاصي فإنهم يخالفون الشريعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم)) [أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه] . لا بد أن نتمسك بذلك ؛ فالترك مقدَّم على الفعل.

٨) قال تعالى :{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوْراً } [الإنسان /٣] . أي بيّنا له السبيل فإما أن يشكر وإما أن يكفر .

الداعي في العبد مخلوق ، وإذا أراد الله أن يحرك ذلك الداعي يحرّكه .

وإذا جاء للإنسان زمان التكاليف الشرعية حين ذلك يحصل الاختيار ، فإمّا أن يوافق وإمّا أن يخالف ؛ فإذا استعمل العبد إرادته بالموافقة نجا . فالتكاليف تُبني على الاختيار ، وإلا ارتفع التكليف .

فإذا نوى الإنسان فعل معصية بشكل قطعي ولم يفعلها (بسبب صارف خارجي) عند ذلك يحصل عليه الوزر ؛ وإن لم يُعدَّ فاعلاً لتلك المعصية .

٩) استعداد البشر مختلف : فمنهم من يتفكّر في الأفعال : وهذا يُشتّت القلب ، لأنه بحر لا ساحل له . لا يمكن أن نتفكّر بالأفعال من عهد سيدنا آدم إلى قيام الساعة .

ومنهم مَن يتفكّر بالصفات : وهذا أقوى من التفكّر بالأفعال ، لأن جميع الأفعال مظاهر الصفات ؛ وإذا وضعتَ مرآة أمام بيت فإنك ترى جميع ما في البيت . فالصفات تحيط بكل الأفعال .

وهذه الصفات ليست مقصودة بذاها بل الذات غير الصفات .

فإذا تفكّر المؤمن في الصفات وأعطاه ربّه من فضله ينتقل إلى الـــذات : فيستدل بالذات على الموجودات ؛ وهذا هو الإيمان الشهودي . وصفات الله تعالى أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى ؛ فالله عزّ وجلّ يرانا ، علينا أن نتفكّر بهذا . والتفكّر بالأفعال لضعفاء المؤمنين أمثالنا .

١٠) أفضلُ الدرجات عند الله الإيمانُ ، فإذا كان الإيمان سالماً يُبنى عليه ، والذين وصلوا إلى الله تعالى كلهم وصلوا بإيمانهم .

بالإيمان ينظر المؤمن إلى السموات فيرى الخالق وينظر إلى الأرض فيرى الخالق ؛ لا يَستدل بالكون على المكون .

لكن حظوظ النفس تُخرج الإنسان عن الإيمان أحياناً . فعلى الإنسان أن يَسأل نفسه في الدنيا قبل أن يُسأل في الآخرة ، قال تعالى : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } [الصافات /٢٤] . وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الأنعام /١٥] فكيف بنا نحن ؟ علينا أن نخاف . هذا هو الإيمان .

أذواق الإيمان أحلى من كل حلاوة الدنيا ، فلا تتعلقوا بالكشوفات لأنها من المادة .

لا تتعلقوا بالمادة ، ولا تطلبوا من الله شيئاً بعبادتكم ، لأن العبد مهما ارتفعت مرتبته فإنه بنقصانه لا يؤدي العبادة على الوجه اللائق بربه جل وعلا . قال الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : { وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ } [الأعراف /١٨٨] ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أنت ؟ عليك أن تنظر إلى فضل الله عليك ولا تطلب المرتبة ولا المقام .

١١) وحدانية الله تعالى تقطع الكونين . هو يعرف ضعفنا واحتياجنا ، لذا قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ }[المنافقون /٩] . لو نجاهد أنفسنا تلك المجاهدة فهو تعالى يرضى عنا .

فعلى المؤمن أن يتمسّك بالشريعة ظاهراً وباطناً ، ويسعى على عياله بقدر احتياجهم لا بقدر ما يوصله إلى ترك دينه . بهذا السعي ، بهذه الورطة يتأخّر المسلمون ، لأنهم يريدون الله ولا يتمسكون بالوسيلة إليه ، فمجرّد الإيمان بدون عمل لا يكفي ؟ إلاّ أنه ورد في آية واحدة في القرآن الكريم ذكر الإيمان دون أن يُقرن بالعمل ، وذلك في قوله تعـالى : { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الحديد /٢١] . قال البيضاوي رحمه الله في هذه الآية : لم تُقيَّد بالعمل .

لقد أُمرنا بالسعي على عيالنا ، لكن أُمرنا أيضاً أن لا نغفل عن الله ؛ فعلينا أن نتمسك بهذا .

١٢) الدنيا لا تخلو عن المشايخ الكاملين في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة . وهم الذين لم تلعب بهم الدنيا ولم يلعب بهم الناس بواسطة الدنيا .وليس كل شيخ يكون ولده شيخاً بالضرورة.

١٣) الله تعالى يحبّ عباده المؤمنين ، وقد أعدّ لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولذلك فهو يحرّضهم أحياناً بتشويقهم بالحور العين وأحياناً بجنّات النعيم وأحياناً بغيرها وهو أرحم الراحمين .

١٤) هناك مَنْ يعملُ في الدين لكنه يتكلم بالأمور العقلية فقط ، هذا لا يثمر . وأما من يتكلم بالأمور الشرعية ولا يهتم بالأمور الكلامية والتشدق فهذا ينفع .

١٥) الحب لأحباب الله عروة وثقى . لأن حُبَّ مَن يحب الله - إن شاء الله ـــ دليل على حب الله ، ولو كان حال المحب بعيداً عن أعمالهم رضي الله تعالى عنهم .

١٦) س : يقولون جُبلت النفوس على حبّ من أحسن إليها . هذا نراه حقيقة مع الخلق . ولكننا غافلون عن هذا الأمر مع الله تعالى ؟

ج : عليكَ أن تتفكَّر في نفسك : هل عندك شيء أفضل وأحسن من وجودك ؟ الجواب : لا . إذن ! الذي أوْجدَك أولى بالمحبة من جميع ما سواه ؛ لأن محبة الناس بعضهم بعضاً غالباً ما تكون بسبب الهدايا والهبات ، وهذه كلها فانيـــة ؛ أما إيجادكَ من العدم ، وتوجيهك إلى الإيمان دون مداخلة منـــك ، وجَعلُك من أمة سيّد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، فهذا إحسان ليس فوقه إحسان ؟

فعليك بالتمسك بالشريعة والسنَّة المشرَّفة حتى تكون مرضياً عنده جلّ وعلا وعند حبيبه عليه الصلاة والسلام وعند من يحبُّهما .

١٧) س : أشعر كأنّي في عطش إلى مرحلة الفناء بالشيخ ، لأن من وصفي العقلانية والسرعة في معالجة الأمور ، لا التأنّي لتكون إرادتي كما يريد شيخي ، بل كما يريد العقل ، وبالتالي أتعطش لهذا المعنى لأن الفناء بالشيخ درجة للوصول إلى الفناء بالله تعالى كما تقولون حفظكم الله فبِمَ تنصحوني ؟

ج : الفناء في الشيخ هو الأخذ بتوجيهات خادم الطريقة ، وذلك بترك طلبكَ وأخذ طلبه ، وبترك إرادتكَ وأخذ إرادته ، بشرط أن تكون هذه الإرادة مقيدة بالشريعة .

١٨) س : بذكر لا إله إلا الله تمحو كلمة التوحيد كلَّ سوى وكلَّ غيرٍ حتى تصل بي إلى عالم الأنس ، وقد أورثني ذلك شوقاً شديداً للحقيقة .

ج : ليس بعد الفروضات الإلهية عبادةٌ أحسنَ من ذكر الربّ جلّ وعلا . مَن يذكر الربَّ يخفِّف جانب البشرية ويقوّي جانب الروحانية ، ومَنْ لا يذكر الربَّ جلّ وعلا فقد غُلِب على عقله ؛ لأن هذا الذكر سيف قاطع للسِّوى ، خصوصاً إذا كان مع العشق والاشتياق والحضور التام . أما الأمور الغيبية والمرائي فليست مطلوبَنا ولا بغيتَنا ، بل مطلوبُنا عبوديةُ الربِّ تعالى .

والربُّ يرضى عن العبد بتمسكه بالشريعة واتباعه لرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فلو طار في الهواء أو انغمس تحت الماء يُخرجُ الدُّرَرَ كلٌّ ذلك لا قيمة له بدون التمسك بالشريعة . فلا تغترَّ بالمرائي والكشوفات .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤١٨ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) في رمضان يضعف البدن ، ويتعب القلبُ ويضعف عن مقاومة الخَطَرَات ، فيوسوس له الشيطان : لِمَ كُلُّ هذا الذكر ؟ أَجِبْهُ : عليك أن تكون في القبض والبسط بحالٍ واحدٍ . لا تجبه بعقلك فينقلك إلى إشكال آخر لكي يشغلك ، بل أجبه بكلام الله مثل : { إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا } [الشعراء /٢٢٧] .

ذوقُ الطّاعة في رمضان يحصل أكثر ، فيتوجّه العبد إلى العبادة ، فيتعب القلب كما تتعب الجوارح ، وهنا يستغل الشيطان هذا التعب فيلقي بخطراته .

٢) أحياناً يوسوس الشيطان للنفس ؛ والنفس تلقي لصاحبها الإشكال التالي : إذا ماتت النفس عن حظوظها فكيف تؤدي الحقوق التي عليها ؟

الجواب : إذا خرجت النفوس من البين يزول الحجاب ، وإذا زال الحجاب يحصل الموت قبل الموت ؛ وهذا الموت لا يعني تركَ الأخذ بالأسباب ؛ فإن لزوجك عليك حقاً، ولأولادك ، ولجيرانك، ولنفسك عليك حقوقاً فعليك أن تحافظ على هذه الحقوق .

٣) الاختلاف بين علماء الظاهر وأهل التصوف موجودٌ قديماً .

أهلُ الظّاهر على قسمين : قسمٌ يعملون بالكتاب والسنّة ولا يدخلون الطّريق . وهذا القسم أفضل من القسم الآخر الذين يعلمون ولا يعملون ؛ فهذا القسم ناقص .

وأهل التصوف أيضاً على قسمين :

أهل التّصوف الذين تمسّكوا حقيقةً بالكتاب والسنّة ، مع التّحلّي بالأخلاق الفاضلة والأخلاق الحميدة ، وتركوا الأخلاق الذميمة . هؤلاء أفضل من القسم الآخر أيضاً الذين يتعلقون بالأذواق مع ضعف تمسّكهم بالكتاب والسنة ، هذا القسم هباء .

لذا ! التّمسك بالكتاب والسنة مع وجود الإحسان والأذواق وترك الأخلاق الذميمة والتمسك بالأخلاق الحميدة ، هذا أفضل الكلّ ، وهؤلاء يترَقَّون في ظلّ معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

س: بعض أهل العلم الظاهر إذا عملوا بالكتاب والسنة يتذوّقون باتّباعهم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فهل يحتاج هؤلاء إلى دخول الطريق ؟

ج : نعم . بل هو فرضُ عين كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه ، لأنّهم أحياناً تُشْكِل عليهم بعض الأمور وينحرفون عن الاستقامة ، يقول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة / ١١٩] ، فهم يحتاجون إلى مربٍّ يرشدهم ويوجّههم لكي لا يكون سيرهم بأنفسهم ، بل بتوجيه مرشدٍ كاملٍ حتّى يخرجوا عن أنفسهم . فالذي يدخل السير بنفسه لا يخرج عن نفسه ، والذي يدخل السير بإشارة الآخرين يسهُل عليه الخروجُ عن نفسه .

س : أمَا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((العلماء ورثة الأنبياء)) ؟

ج : هذا صحيح ، ولكنَّ الوراثة لها وجهان : وراثةُ علوم الظـــاهر ، و وراثة علوم الأســـرار الباطنية . المتحقّق بهما هو وارثُ الرّسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وبواحدة فقط لا يكـــون وارثاً حقيقيّاً ، فلا بد أن يكون متحقّقاً بكلا الجهتين .

٤) المكمِّل هو الكامل الذي يكمِّل الآخرين ، والكاملُ هو الكامل بنفسه لكنّـــه لا يكمّـــل الآخرين بل يُستفادُ منه بقدر اتبّاعه للمكمّل صلى الله عليه وسلم . فلو كان شيخُك قطباً ومـــا تمسَّكْتَ بالكتاب والسنّة لا تستفيد منه .

شخصٌ واحد أنعم الله عليه فأصبح رحمةً للعالمين ، ووجّه الله جميع العالمين إليه ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمَن اعتقد أنه يكمِّل غيره فهو مغرور ، ومثاله مثالُ (لمبة الكاز) ، تحرق نفسها ليستفيد الآخرون . ونحن علينا أن نلتزم بالتوجيهات ونشكر السبب الذي جاءتنا عـــن طريقه بعد أن نشكر الله تعالى .

٥) لو يتحقق الشاذليون بطريقهم حقَّ التّحقق ــ بقدر الإمكان ــ يترقَّون ، فهذا المســـلك خليلي . سيّـــدنا جبريل عليه السلام قال لسيـــّدنا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام عندما ألقوه في النار : هل لك حاجة ؟ قـــال : أما إليك فلا ، وأما إليه فعلمه بحالي يغني عن سؤالي .

س : أستحيي أن أسأل الله ، لعلمي اليقيني أنّ علمه بحالي يغني عن سؤالي ، رغم تقصيري ؟

ج : هذا خطأ ، لأنّ الدعاء عبادة . فإذا جاء الدعاء ادعُ امتثالاً للأمر ، فالدّعاء مخّ العبادة ، وإذا لم يأت لا تتكلف .

٦) القواعد الأساسية للبشر هي الشّريعة الغرّاء ، وهي قواعد أبديّة أزليّـــة ؛ فالشريعة نفسُها للصّحابة الكرام وللتّابعين ولنا أيضاً .

لكنَّ درجةَ الصّحابة مرتفعة لالتقائهم بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودرجةَ التابعين كذلك لالتقائهم بالصحابة ، أما التّكليف فهو واحد . ومن جملة هذا التّكاليف أوصافُ عبـــادِ الرّحمن ، فعلينا أن نتحلى بها قدر الإمكان .

٧) قال الله تعالى :{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصّلت / ٣٠] . قرأ شيخنا - حفظه الله - ما كتبه صاحبُ صفوة التفاسير عن هذه الآية الكريمة ، ثم أضاف :

الله رؤوف رحيم بالمؤمنين ، مشفق عليهم . فَلأَنَّ المؤمن يخاف من الموت والقبر والبرزخ ويوم القيامة ومن عذاب الله ، فقد وعد الله مَن كان مستقيماً على شرعه بأن لا يخاف في الدنيا . هذه نعمة ؛ فعلينا أن نستحيِيَ من الله .

إنه سبحانه يوعدنا ويبشرنا ونحن لا نستحيِي ، مع إيماننا بأنه يعلم خائنة الأعين ومـــا تخفـــي الصـــدور . فـــإذا كـــان أحـــدنا في الطريـــق ومـــرَّت امـــرأة مـــالَ قلبُـــه إليهـــا فإنـــه ينظر ، وهو يعلم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

قال الله تعالى : { وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ } [غافر / ٢٠] ، كفى بهذا تحذيراً لِمَن خاف مقـــامَ ربِّه ، لِمَن ثبتَ عنده الحضورُ ، ويراقب الواحد القهار ، وأنّه تحت مشيئته ؛ فينـــــزجر عـــن المعاصي والمخالفات ويتّبع القرآن والسنّة والأحكام الشرعيّة حتى يكون سالماً .

فإذا لم نتّعظ بكلام الله كيف نتعظ بكلام غيره ؟

س : أحياناً يضعف خوف العبد بسبب تعلّقه برحمة الله ، فيقول : الله رحيم .

ج : الخوف من عظمةِ الربِّ لا يستلزم اليأس من رحمته . فلا بدّ أن يخاف العبد من عظمته تعالى ؛ وهذا للخواص ، أومن عذابه ؛ وهذا للعوام .

الذي استغرق في المعاصي نقول له : لا تيأس من رحمة الله ، فرحمةُ الله أوسع من معاصيك . أمّا الذي يصلي ويتصدّق وهو متعلّق بالله دمَاً وعروقاً ومع هذا يخاف من عظمة الله فهذا لا يحصل له اليأس .

٨) الذِّكرُ يجلو صدأَ القلب ، وعلامةُ ذلك أن تقلَّ الخَطَرَات ويصبح الذكر خالصاً لله تعالى { اعبد الله كأنك تراه } ، بهذا الإخلاص يطهُر القلب . والعلامةُ الأخرى توجُّع القلب بالذِّكر ؛ فذلك الألم يدلُّ على إزالة الوزر والمعاصي عن القلب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد . قيل : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : كثرة تلاوة كتاب الله ، وكثرة الذّكر لله عزّ وجلّ)) [أخرجه ابن شاهين] .

أثناء ذكر (لا إله إلا الله) علينا أن نضرب بلفظ الجلالة على القلب ، فيزيل صدأ القلب كما يزيل قرطاس (الزمبارة) صدأَ الحديد ؛ أما إذا لم يضرب الذاكر لفظ الجلالة على القلب فكأنّه يستعملُ الزمبارة في غير مكان الصدأ ، فإنه لا يفيد .

٩) قال الله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } [فصّلت / ٣٣] ، أي يدعو إلى توحيد الله بقوله وفعله وحاله . يقول الإمام الغزالي رحمه الله : مَن يدعو بحاله أفضل ممن يدعو بقاله وبفعله .

لا يمكن لشخص أن يرضي كلّ الناس ؛ لأنه لكي يرضيهم يجب عليه أن يسترسل مع الكلِّ فيذهب دينه ، ولكن عليه أن يكون مع الاستقامة . فمنهم مَن ينقد عليه ومنهم من يحبّه ؛ فعليه أن لا يؤذي ولا يظلم ، وعليه أن يصبر .

١٠) يُقال : الاستقامة صعبة .

واللهِ إن الاستقامة ليست صعبة ، فقد قال الله تعالى : { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ } [البقرة / ١٨٥] ، وقال أيضاً : { لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا } [البقرة / ٨٦] ، فلو سمعنا من الله بالإيمان يكون الأمر سهلاً علينا . لكننا لا نعيش موافقين للشريعة ، ولذا نجرُّ أنفسنا جراً إليها فيكون صعباً علينا . لكنه ليس صعباً مع الإيمان ، كما قال الله تعالى : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة / ٤٥] .

صحيحٌ أنّ العبادة كلّها مشقّة : قُمْ لصلاة الصبح واذكر حتىّ طلوع الشمس ثم صلِّ الضحى ثم نَمْ وقُمْ لصلاة الظهر فصلِّ الظهر والعصر وهكذا إلى آخره ، في هذه الأفعال مشقّة على النفس ، لكنّها تسهل بالأذواق التي تحصل من العبادات وطاعة الرب ، ويخفّف هذا التّعب بالإيمان . وإذا صار الأمر عليك ثقيلاً وجّه قلبك إلى ربّك تنشرح وتفرح بتلك المناجاة الإلهية .

العبادةُ ليست سهلةً لأنّها مخالَفةٌ للنّفس ومحارَبةٌ للشيطان ؛ وهذا صعب خصوصاً إن كان بالجسد مرض أو ثقل ، ولكنه بالأذواق يهون .

اللهم ارزقنا حلاوةَ العبادة .

١١) قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة/١١٩] . هذا أمر رب العالمين . معناه : الصادقون موجودون إلى آخر الدنيا ، فمن يدّعي أنه لا يوجد مرشد فإنه يخالف قول الله تعالى .

الصدّيقون ليسوا بمرتبة واحدة : فمنهم الأقطاب ، ومنهم الأبدال ، ومنهم النجباء ، ومنهم دون ذلك ، ولكن كلُّهم صادقون . وإذا لم نجد شخصاً من هؤلاء هل ننكر وجودهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق . . .)) [أخرجه البخاري و مسلم عن ثوبان] ، ويقول الله تعالى : { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [التوبة /١٠٠] . فاعتراض المنكرين يكون ضد الآية الكريمة والحديث الشريف .

١٢) العلوم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : مثل قشر الجوز الخارجي الأخضر ، لا يصلح لشيء ، و إذا وضع على النار يطفئها .

المرتبة الثانية : مثل القشر القاسي ، يصلح للنار ويحفظ اللب .

المرتبة الثالثة : مثل لبِّ الجوز ، وذلك اللب عليه قشرة رقيقة ، ولبُّ اللبِّ هو البذر . الجوز ينبت من هذا البذر .

١٣) لا بدّ لقبول العمل من ثلاثة شروط :

١ـــ أن يكون موافقاً للشريعة .

٢ ـــ أن يكون مع الإخلاص .

٣ ـــ أن يكون مع الإحسان .

وإذا لم نتحقق بهذه الشروط علينا بالاستغفار . لا بد أن نؤدي وظيفتنا ونهتم بأداء شروطها ، وأما القبول فهو على الله تعالى . إنْ قَبِلَ فبرحمته ، وإن لم يقبل فبعدله .

كثير من العبادة مع الغفلة لا توازي القليل من العبادة مع الإخلاص والإحسان . فحصّة الإنسان من عمله بقدر حضوره مع الله تعالى فيه .

١٤) لا تنظر إلى مَن هو أدنى منك ، ولكن انظر إلى ربك ، وراقب عملك ، هل هو موافق أم لا ؟ وإذا شرَدَ قلبُك فاستغفر وارجع إلى الله فهو أرحم الراحمين . هذا لا يمكن أن يحصل إلا بالمجاهدة ، وترك المعاصي ، وكثرةِ الذكر .

إذا بُني مبدأ الإنسان على الاستقامة فبكثرة الذكر يترقى ويكون مثل المرآة ، إذا أصابها وسخ يمسحه حتى يرى صورته فيها ، فبدون الأخذ بالأسباب لا يمكن التّرقّي ، كما أنه لا يمكن الصعود إلى المئذنة بدرجة واحدة .

١٥) علينا أن لا ننظر إلى أي شخص من المؤمنين بالاحتقار ، فقد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء /٢١٥] . ما دام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أُمر بهذا التواضع فلابد أن تكون أنت من أهل التواضع أيضاً ، لكن إذا تكبر علينا غيرنا فأهلاً وسهلاً ، ليس فيه ضرر علينا .

١٦) خالق الدّاعي هو الله ، والمحرّك لـــه كذلك هو الله ؛ فإذا تحرك الداعي يمرّ على النفس ، فيحس صاحبها برضاها أو مخالفتها ؛ كمن يأكل الثوم فيشم ريحه . وإذا مرَّ على النفس دخلت الإرادة ، فإن أخذ العبد بمخالفة النفس فهو موافق لله تعالى ، وإن أخذ بموافقتها فهو مخـــالف لله تعالى ، فإما أن يثاب وإما أن يعاقب ، وهذا مـــحل التكليف ــ أي الإرادة ــ .

وهذا الداعي إما يكون خاطراً سماوياً إلهياً وإما لّمّةً شيطانية . نفرِّق بينهما بميزان الشريعة .

١٧) مَن أراد أن لا تسيطر عليه الخَطَرَات والغفلة عن الله وعن الحضور ، عليه أن يذكر كثيراً ، إما بذكر (لا إله إلا الله) وضرب لفظِ الجلالة على القلب ، وإما بذكر الاسم المُفْرَد (الله) ، ولا يكونَ كالذين لا يذكرون الله إلاّ قليلاً . والذكر مع الغفلة لا يفيد ولا يُتْرَك .

زمامُ توجيه القلب إلى الرب ذكرُ الله تعالى .

١٨) قال الله تعالى :{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }[فاطر /٢٨] .
الخشية هي النّدم على ما وقع في الماضي من المعاصي ، والخوفُ من أن يقع في المستقبل .

وحقيقةُ الخشية تطهيرُ القلب عمّا سوى الله تنـــزيهاً للربّ .

والخشيةُ تكون بقدر معرفة المَخشي ؛ فالعالِمُ يعرف الله فيخشاه ويرجوه ، وهذا دليلٌ على أنّ العالِم أعلى درجة من العابد ، قال تعالى:{ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات /١٣] ، فبيّن أنّ درجةَ العبد بقدر تقواه ، والتقوى تكون بقدر العلم بصفاته تعالى ؛ فالعالم إذا تَركَ العملَ بعلمه فذلك قادح بعلمه ، لأن من يراه يقول : لو علم لعمل . ثم قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر /٢٨] ، فكون الله عزيزاً يوجب الخوف التام ، وكونه غفوراً يوجب الرجـــاء التام .

١٩) الله يرضى من العمل ما كان موافقاً للشريعة مع الإخـــلاص ، ونحن أعمالنا مختلطـــة ، والعمل المختلط ولو كان كثيراً لا يصلُح ، فلابد لنـــا أن نصـــحح ، والتصـــحيح بالاجتـــهاد والمجاهدة ، وذلك بمخالفة النفس ومحاربة الشيطان .

سبب الاختلاط قلّة الذِّكر ، حينئذٍ لا يستولي القلب على اللطائف الأخـــرى . وإذا غَلَبَـــت جنودُ القلب جنودَ النفس فالظَّفَرُ لـــه .

العبد المؤمن المحب لله يعبد الله ويحب أن يكون قلبه وعمله خالصاً لله تعالى ، هذه بديهية ؛ لكن أكثر الناس لا ينظفون ولا ينـــزّهون ذلك العمل بكثرة الذكر والمجاهدة . يحبُّون ويتمنَّون ، لكن لا يعملون .

فلو حافظ العبد على قلبه سَنَةً كاملة وامتنع عن المخالفات وضرَبَ على القلب بذكر الله يكون ظاهره كباطنه ؛ ولو طُلِبَ منه ذلك في التجارة لفعل ، لكن في المجاهدة لا يفعل .

لو قُلِبَ باطنك إلى ظاهرك والناس ينظرون إليك كيف يكون حالك ؟ ترى الجلد جلد ضأن والداخل ذئب .

٢٠) مَن سبَّك دَعْهُ يسبُّك ، فربُّك ينظر إليه ويعلم أن سبّك .

إن كنت أنت المتسبب في هذا السب فهو لائق بك ، وإن لم تكن فوِّضْ أمره إلى الله ولا تنشغل به . وإذا كان هذا صعباً عليك فجاهِدْ حتى تكون من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس .

من لم يكن عنده غضب فهو ناقص ، لأن الذي عنده غضب يتحمل حتى يكون من الذين وصفهم الله تعالى بقوله : { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ } [آل عمران /١٣٤] ؛ ومَن ليس عنده غضب لا يستطيع أن يدافع عن دينه وعرضه .

٢١) بعض الناس كِبْرُهُم في تواضعهم ، فإذا قبّل أحدٌ يده يحاول هو تقبيلَ رجله حتىّ يظهر للنّاس أنّه متواضع . هذا نفاق ورياء بالتواضع . ومنهم تواضعُه في ظاهرِه وداخِله ، وعلامتُه : إذا خاطبه الجاهل قال سلاماً ، كما قال الله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا } [الفرقان /٦٣] ، أمّا الصنف الأول فإذا خاطبه الجاهل يثور .

هذه الصّفات الحسنة - من كظم الغيظِ والعفوِ - من صفاتِ عباد الرحمن في كيفيّة معاملتهم مع الناس ؛ أمّا عن المعاملة مع الله فقد قال الله تعالى عنهم :{ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا }[الفرقان/٦٤] ، وهل هم مغترّون بهذه العبادة ؟ لا ، بل مع هذه العبادة يخافون من عدم القبول ، لذلك يقولون كما أخبر الله سبحانه : { رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } [الفرقان/٦٥] ،كما جاء في آية أخرى :{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون/٦٠] ، وهذا الترتيب للآيات أحسن من الحسن .

٢٢) الوحشةُ التّي بين العبد وبين الله ، وبين العبد وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لا بدَّ أن تُرْفَعَ في الدنيا باستئناسه بهما . وذاك لا يثبت إلا بتوجيه العبد نفسَه وأولادَه وأزواجَه إلى الله ورسوله في الدنيا حتى يستأنسوا بهما ؛ فإذا استأنسوا بهما في الدنيا فعند القدوم على الآخرة لا يكون هناك وحشة بين العبد والرب وبين الأمة ونبيها صلى الله عليه وسلم . وعندئذ لا ينفر العبد من الموت ولا يخاف ؛ لأنّه حصل له الاستئناسُ في الدّنيا . فالواجبُ على كلِّ مؤمنٍ أن يحرّض نفسَه وأولادَه وأزواجَه على ذلك إلى أن يحصل هذا الاطمئنان لهم في الدنيا ، و بهذا يحصل له تطبيق قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً } [التحريم /٦] .

وقد ذكر الله تعالى هذا الصنف من الناس في قوله : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت /٣٠] . مفهوم هذه الآية ومنطوقُها أن لا يخاف العبد المؤمن من الموت قبل الموت . هذا الأمر عظيم بين العبد والرب لرفع الوحشة ؛ فيَقدُم على الرب بالوصول والمعرفة . نارُ الوحشة

والغفلة بين العبد وبين الربِّ ، وبين الرّسول صلى الله عليه وسلم وبين أمّته أشدُّ من عذاب نار جهنّم .

٢٣) من أخلاقه العظيمة عليه الصّلاة والسّلام أن يصبر بفضل الله وبنور النُّبوّة ، وهو يعرف المنافقين ــ مثلَ عبد الله بن أُبيّ ــ مع علمه قطعياً بأن هؤلاء ينافقون بلسانهم ويُبْطِنون نفاقهم حفظاً على عدم إهراق دمهم وأخذ مالهم بالإسلام . وما حَمَلَهُ صلى الله عليه وسلم على هذا الصبر العظيم مع هؤلاء المنافقين إلا أخلاقُه العالية ، قال تعالى :{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم /٤] . فحقٌّ على المؤمن أن يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة له ، كما قال الله تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب /٢١] .

فعلينا أن نتحمّل الناس ونصبر عليهم تأسّياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت ظاهراً أخلاقهم مخالفةً . ولكن حقٌّ علينا أيضاً أن ننصحهم ؛ فإن قبلوا فنِعْمَ ، وإن لم يقبلوا فعلينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }[آل عمران /١١٠] ، فمَنْ قَبِلَ قَبِلَ ، ومَن لم يقبل نُفَوِّض أمرَه إلى ربّه ؛ فليس لنا أن ندخل بين العبد وربه . هذا واحد من أخلاقه العظيمة صلى الله عليه وسلم .

٢٤) قال الله تعالى : { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى } [آل عمران /١١١] . هذا الأذى الجسماني الذي يحصل للمؤمنين من قِبَلِ الكافرين هو في الحقيقة رفعٌ لدرجاتهم إذا كانوا صابرين وكانوا راضين بقضاء الله تعالى وقدره . مغلوبيّةُ المؤمنين في الدُّنيا ليست لذلِّهم بل لعزِّهم ؛ فكمَا

أنّ اللحم لا يؤكل قبل أن يُشوى ، كذلك المؤمن لا يَصْلُحُ إلا بعد تعرُّضه للمصائب وصبره عليها : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة / ٢١٤]. فسيّدنا زكريا عليه السلام التجأ إلى شجرة ودخل فيها ، واللهُ يحبُّ أن يلتجئ العبد إليه لا إلى المخلوقات ؛ فنشرُوه عليه السلام مع الشجرة ، لأنه التجأ إلى السبب مع اعتماده على الله تعالى ، وهذا ليس ضدّ التوكل ، ولكن لِحكمة ربّانيّة تَمَّ القدر .

٢٥) السرُّ هو لبُّ لبِّ القلب . فإذا كان هذا السرُّ منزَّهاً عمّا سوى الله تعالى يكون صاحبُه من المتوكّلين على الله . والأخذُ بالأسبابِ الظّاهرة لا يُنْقِصُ هذا التّوكّل .

و لا يُحكم على السرّ أنه طاهر إلا إذا مات صاحبُه على الإيمان ، لأنّه قبل الموت قد ينحرف عن الاستقامة بسبب النفس ويموت على غير الإيمان .

السرّ الطّاهر وهبٌ من الله تعالى ، لكن لابد مع ذلك من مجاهدة طويلة وصدق مع الله ومع المشايخ ومع الأحباب ومع المؤمنين والكافرين ؛ وبدون هذه المجاهدة يُطمَس السِّرُّ .

وقد يكون العمل جيداً لكن السِّرَّ فيه شيء ، فإذا جاءت فرصة يظهر هذا الشيء .

صاحب السرِّ الطاهر لا يكون عمله بدافع الخوف ولا الرجاء ، ولكن يكون عمله عبوديةً . وصاحب هذا السرِّ إذا عَرَضَ لــه أمرٌ فيه فتوى فبسرِّه يميّز صحّتها ، فإذا لم يطمئن سرُّه إليها يتركها . فالاعتبار بالسر ؛ وهذا السر لا يعبَّر عنه .

٢٦) تركُ المعاصي بالكليّة فرضُ عينٍ على كلِّ مؤمنٍ ، فعليه أن ينسلخ منها كما تنسلخ الشاة عن جلدها ، لأنّ المعاصي سمٌّ يضرُّ الإيمان . فلو عرفنا أنها سُمٌّ لابتعدنا عنها كما نبتعد عن الطعام إذا كان فيه سمٌّ ، وإذا وقعنا في المعصية في حال الغفلة علينا أن لا نُصِّر عليها ، وعلينا أن نتوب ، فالله تعالى يقبل التوبة عن عباده .

٢٧) الدُّنيا ليست خبيثة لأنها مزرعة للآخرة ، لكنَّ الإنسان يلوِّثها . مَثَلُها في ذلك كبَيْتٍ جيد مزيَّن توضع فيه بقرة فتلوثه .

فجنّة المعارف في الدنيا . هذا لبعض الناس . وكذلك فهي جهنم للبعض الآخر . قال تعالى : { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء/١١٥] ، مِنَ المفسرين مَنْ قال : جهنم هنا في الدنيا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((حُفَّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النّار بالشّهوات)) [أخرجه مسلم عن أنس بن مالك في صفة الجنّة] .

٢٨) مَن تفكّر في معنى قوله تعالى : { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق/١٦] يجد أنّ حبل الوريد متّصل ببدن الإنسان ، وإذا قُطع تذهب روحه ، والله تعالى مطَّلِع على ما يتخلل في داخل قلبه ، ومع ذلك فالإنسان لا يحسُّ بذلك ولا يطلع عليه .

كلُّ مؤمن يُقِرُّ بمعيّة الله جل وعلا ويؤمن بذلك ، لكن لَمَّا يعمل المعاصي فكأنه يخالف هذا الإيمان ؛ وذلك لأن الغفلة تحيط به حتى تغيِّبه عن تلك المعيّة . لِمَ يحصل ذلك ؟ لأنّ الإنسان يعيش مع المحسوسات ، والإيمانُ شيءٌ معنويّ غيبيّ ، فإذا غلبت الطبيعة البشرية على الطبيعة الإيمانية تسيطر الغفلة . فعلينا أن نقوِّي الطبيعة الإيمانية بالمجاهدة ، حتى نُخرِج الغفلة التي هي

حاجب بين الإيمان الغيبي بوجود الله وبين المحسوسات ، فنكون من الذين عصمهم الله ونوَّر قلوبهم .

٢٩) اليومُ أربعٌ وعشرون ساعة ؛ قسمٌ منها يذهب بالنّوم ، وقسمٌ بالأكل ، والباقي علينا أن نتفكّر فيه : هل يغلب عليه التفكّر بالدنيا أم التفكّر بالآخرة ؟ وهذا لا يعني تركَ الأخذ بالأسباب .

أحياناً أثناء العبادة يدخل الشيطان إلى القلب ويكون سبباً في اشتغاله بالدنيا ، وإذا لم يُعْطَ المجالُ للشيطان يكون طرفُ الإيمان هو الغالب . وكلُّ إنسان يتكلم بما غلب على قلبه (الدنيا أو الآخرة) .

٣٠) بعض الناس استعدادهم جيّد ولكن لا يستعملونه ، فهم مسؤولون عنه . لكن الذي ليس له استعداد إذا عمل بما يوافق الشريعة يكون سالماً ، أمّا صاحب الاستعداد إذا عمل باستعداده يترقّى إلى ما شاء الله .

٣١) قال الله تعالى عن ذي القرنين : { إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبَاً } [الكهف /٨٤ ــ ٨٥] ، السّبب الأوّل يدلّ على أن الأسباب مخلوقة : { آتَيْنَاهُ } ، أما الثاني : { فأتبع سبباً } فيدلّ على أنه لابد من الأخذ بالأسباب . فعدم الأخذ بالأسباب معصية ، والتمسك بالأسباب مع الاعتماد على الله ليس ضد التوكل ، وإلا بطَلَت الأحكام الشرعية . قدوتُنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرجه الجوع من بيته ولم يطلب من الله أن ينزِّل عليه مائدة من السماء ، مع أنه لو طَلَبَ لأُعطي .

٣٢) علاجُ الحسدِ الإيمانُ الكامل . فالحسد اعتراضٌ على المولى ؛ لأنّ الذي اكتسب الخير أو صار غنياً أو عالماً أو صالحاً لم يأخذ اللهُ منك ليعطيه . معنى ذلك أن الذي يحسد لا يرضى بما قسم الله تعالى : { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }[الزخرف /٣٢] . فعليك إذا أُعطيت كثيراً أن تشكر الله الذي أعطاك ، وإذا أعطاك قليلاً فاشكره أيضاً لأن في ذلك عينَ الحكمة ، فلو أعطاك أكثر قد يكون فيه ضرر لك . أما الغبطة فليس فيها شيء بل هي خير .

٣٣) الوصول بالقلوب لا بالقوالب ، والقالبُ كصندوقٍ وُضِعَت فيه الأشياء المقبولة ، وهذه القلوب سُلِّطَ عليها الشيطانُ والنفسُ الأمّارة بالسّوء التي يجرها الشّيطان ، ليبعداها عن الخالق . فمن أراد الله أن يحفظه ويخرجه من حِيَلِهما ومكائدهما ليصلَ بقلبه في ظلّ معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً - ولو التفت لسقط لا محالة - ولا يتعلّق بهيكله ولا بما يحتاج الهيكل إليه . والخالق هو الرزاق المدبِّر لجميع ما يتعلق بذلك الهيكل ، فعلى العبد أن يعبد الله بالله لا بنفسه ، لتحصل الاستعانة به سبحانه وتعالى . وكلما نظر يميناً أو شمالاً يقع في قلبه ما يخالف مقصدَه ومرادَه فيكون سعيُه عبثاً ؛ وما دام الله على كل شيء قديراً ، والعبدُ شيءٌ من الكل ، فالخالق قادر على حفظه إذا صحت منه النية .

٣٤) قال الله تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران /٣١] . ضروريٌ للمؤمن أن يحبَّ الله تعالى ، وحتّى يحبَّك الله يجب أن تتبع رسولَه صلى الله عليه وسلم ، وهذه المحبّة المتعلّقة بالله قديمة ليست حادثة ، ومع ذلك رتَّب المحبة القديمة على المحبة الحادثة الصادرة من الحادث . شيء غامض كبير عميق .

وكذلك قوله تعالى : { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ } [البقرة /١٥٢] ، ذِكْرُه قديم متعلّق بذاته السرمدية ، وذكرُنا حادثٌ فانٍ .

وقال تعالى : { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة /٥٤] ، فمحبته لهم سببٌ لهدايتهم إلى كثرة الذكر والإخلاص وقراءة القرآن والتمسك بالسنة . ومَنْ أصبح هكذا يكون ظاهرُهُ إنساناً وباطنُهُ ملَكاً .

٣٥) قال الله تعالى : { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا } [يونس/٥٨] . حظٌّ النفس غيرُ الفرح بفضل الله ، فاللهُ يريد أن يُظهر النِّعمة على عباده .

فنحن نفرح ــ مثلاً ــ بهذا الاجتماع وهذا اللقاء على قول (لا إله إلا الله) وفي الطّريقة الشاذلية ، فَرَحُنَا هذا بفضل الله وبرحمته .

نرجو الله أن لا يقطع هذا الفرح عنّا إلى آخر عمرنا ، وبعدَ عمرنا يدوم في ذريّتنا إلى آخر الدنيا .

٣٦) كونوا محافظين على عبادتكم وعلى صدقكم . لا تبغضوا المحبّين لأجل فعلٍ صدر منهم ، ولا تتبعوا المخالفين للطريق لأجل نعمتهم عليكم . احفظوا دينكم ومحبة إخوانكم كما تحافظون على حقوقكم وأموالكم ومودّة أولادكم .

الأخلاق الذّميمة الكبيرة ، كالحرص على الدنيا وحب الشهرة وتوجيه الإنسان الناس إلى نفسه ، كلُّ هذا مخالفٌ لما وُجِدَ الإنسانُ من أجله .

فالإنسان خليفة الله في الأرض ، وظيفته توجيه الخلق إلى الله لا إلى نفسه . لكـــن الله جعـــل وسطاءَ بينه وبين عباده ، ورئيس الوسطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي لم يوجّه أحداً إلى نفسه خلال كل حياته ، بل أدّى أمانة ربّه بشكلٍ صحيح وما نقص منها شيئاً . قال : آمنوا بي ، لأنّ الله أمر بالإيمان بالرّسل عليهم السلام . فليس لأحد أن يوجّه النّاس إلى نفســـه حتّـــى يوجّههم بعد ذلك إلى ربّه ، إلا لبعض الأقطاب الذين تولى الله إصلاحَهم ، وتولى أسرارَهم ، فهم خالصون لله ، ولا يرون أنفسهم بل يرون ربهم أولاً ، وبعد ذلك يقولون للناس ، ويقولون قول الله للناس ؛ وهؤلاء قال الله فيهم :{ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَّئِفَ فِي الأَرْضِ } [يونس /١٤] .

٣٧) الرُّوح أتت من عالم الأمر نظيفةً ، فاستأنس الجسد بها ، والجسد ظلماني . كلّ واحـــد منهما متعلّق بصاحبه .

ومن فضل الله أن الأعمال السيئة لا تُكتب على الإنسان قبل سن الخامسة عشرة ؛ لكـــن إن عمل خيراً يُكتب لـــه . بعد هذا السن : النفس والشيطان يحومان حول كعبة القلـــب ، إذ إن القلب في الجسد بمثابة الكعبة في الأرض ، وهما يطوفان حوله ليحرفانه عن الاستقامة . فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً يوجّهه إلى مَن يوجّهه إلى ربه ، وهنا تقوى الروح ويضـــعف جانـــبُ التـــراب ، ويضعف ويضعف ، حتى ترجع الرّوح إلى وصفها الأصلي . وإذا مات الإنسان يذهب الإيمان مع الروح ؛ والجسدُ الترابي يرمونه بتلك الحفرة .

فعندما يميل الإنسان إلى الحقيقة تكون جنود الشيطان أضعف من جنود القلـــب ، وســـلاحه حاضر ، لا يأكل الحرام ولا يكذب . سلاحه التخلق بأخلاق القرآن . فإذا اعتصم بكتـــاب الله وأوامره ونواهيه يكون مستقيماً . والشيطان والنفس يحاولان أن يحرفانه ، لكن محاولَتهما لنـــا لا علينا ، لأنَّنا نجاهدهما فيحصل لنَا الخير بسبب هذه المجاهدة .

بحكمةٍ من الله سُلِّط ذلك الكلب (الشيطان) وأخته (النفس) علينا حتّى يُعلَم الإنسان المستقيم من غيره .

٣٨) كثرةُ الخواطر لها علاج لتقليلها ، وذلك ـــ بعد التمسك بالكتاب والسنة ـــ بكثرة الذكر . عندئذ تكون الصلاة صلاة ، والقراءة قراءة . لكن الخواطر لا تزول نهائياً لأنها بسبب وجود الإيمان ؛ فما دام الروح بالجسد فإن الشيطان لا يتركه أبداً ، وإذا انسدَّت منافذه ضمن اللطائف والله يأتي مشاهدة ؛ فهو يعرف أنه لعين ، سُدَّت منافذه بالذكر . فيجب أن نكون حذرين منه ومتيقظين ، كحال القط إذا رأى فأراً دخل في جحر .

٣٩) مَن قال : باطني يوافق ظاهري في كلّ اللحظات ، لا يُصَدَّق ، إلاّ مَن استغرق في عظمة الله ولم يبق له وجودٌ وصار فانياً ، ومع ذلك بقي محافظاً على التكاليف الشرعية ، يجريها على جوارحه وجوباً كغيره ، وفناؤه مفوَّض إلى الله تعالى .

٤٠) الموت نوعان: واحد في الدّنيا ، وهو الموت عن الحظوظ الدّنيوية والنفسية ؛ والثاني هو الموت العادي الذي نشترك فيه مع الحيوان . فعلى المؤمن أن يموت قبل أن يموت .

٤١) سُئِلَ ـــ حفظه الله ـــ عن معنى : (وأعوذ بك منك) فأجاب : الخلاصُ من الله لا يكون إلا بالله (أي الخلاص من عذاب الله لا يكون إلا بالله) ، والوصولُ إلى الله لا يكون إلا بالله .

٤٢) الرّاحة النفسيّة في الدنيا تحصل بصحبة الأحباب والتهجّد وقراءة القرآن والذّكر بموضع خالٍ . وفي الآخرة بصحبة الرحمن .

٤٣) أحياناً المؤمنُ لا يضرُّ أحداً ومع ذلك يُسلِّط الله عليه بحكمته عبداً يؤذيه ، فيشكو ويقول : لِمَ يؤذيني ؟ نقول : هذا سيفُ الله وقدرُ الله وحكمتُه ، ليَمتحِن المظلوم فيصبر ويصل إلى مقام عالٍ ، وليزيدَ الظالِمَ عذاباً . هكذا حكمة الله .

٤٤) لو نعمل بالقرآن يكفي لنا ، لكن لا بدّ لنا من واحد يوجّهنا حتّى نخرج عن أنفسنا ، ويكون هذا الشخص صادقاً معنا في التّوجيهات ، فنأخذ بتوجيهاته ؛ ولولاه نأخذ بتوجيه أنفسنا فنتأخر .

٤٥) ارجع إلى أصلك العدم . مَن أوْجَدك ؟ ومن أوجد ما هو متعلق بك ؟

كلُّنا مفلسون حقيقةً ، لأن كلَّ ما يتعلّق بنا لله سبحانه وتعالى . فإذا حصلت هذه الفكرة يقيناً يحصل الإخلاصُ ، ويُخرِج السَّالك نفسَه من البين .

٤٦) الهداية بيد الله ، كما قال تعالى:{ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}[الكهف/١٧] ، لكنْ من طبيعتنا البشرية أننا نفرح للموافقين ، ونأسف على المخالفين . ومع ذلك لا بدّ من الأخذ بالأسباب كما أخذ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذهبَ للحروب واللهُ قادرٌ أن يأتيه بهم مسلمين بدون قتال ، لكنْ تلك حكمة الله وسنته ، حتّى يتميّز جنودُ الرّحمن عن جنود الشيطان .

٤٧) مَلَكَةُ الدين .. مَلَكَةُ التّصوف .. مَلَكَةُ فهم كلام القوم .. تقتضي أن لا يشتغل الإنسان بالعبارات ولا يتشدّق بالكلام ، لأنّ غرضه الوصول إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في ضمن ورّاثه لا ضمنَ العبارات. فنحن نرى بالمنظار المكبرِّ ، وهم يرون ـــ رحمهم الله ـــ بـــدون مكبِّرة . ومن لم يذقْ لم يَدْرِ .

٤٨) العقل يتولّى جميع لطائف الإنسان إلا القلب فلا يستطيع أن يتحكم بـــه ، لـــذا تـــأتي الخطرات . فالقلب من التقلُّب ، لا يثبت على حـــال ، ولا يستطيع العقل أن يضبط القلـــب ، لأن القلب وراء العقل .

٤٩) لا محالةَ أن الذي عنده حرصٌ على الآخرة اللهُ يعطيه ، والذي عنده حرص على الـــدنيا أكثر من الحرص على الآخرة يعطيه الله ما شاء (أي ما شاء الله) .

٥٠) الله يعطي كل شخص ما يناسبه ؛ فلو أعطى الولاية لمن لا يتحملها قد يُجَنّ ويدّعي أنه المهدي أو عيسى عليه السلام .

مثاله في ذلك كالمصباح ، إذا أُعطي فوق طاقته ينفجر . فلا بد أن نرضى بالقضاء والقدر .

٥١) أنت تعرف كل عيوبك ، ولا تعرف إلا القليل عن عيوب غيرك ؛ فاترك عيب غـــيرك واشتغل بعيوبك ، لأنه قد يتوب من عيبه وأنت تظن السوء به .

٥٢) الإنشاد يحرّك ما في القلوب من شوق واشتياق ، ولا يعطي شيئاً ، يقول الإمام الغـــزالي رحمه الله : من لم يتهيّج بالإنشاد فهو ميت .

٥٣) إذا أردت أن يحبك جميعُ أولياء الله الأحياء والأموات عليك أن تحبّ الله تعالى ؛ فيحبك مَن يحب الله تعالى .

٥٤) الذي لا يستنصح بنصيحة المؤمنين مثالُه مثالُ الأعمى إذا كان أمامه بئر ونصحه أحد أن ينحرف عنه يميناً أو يساراً فلم يستجيب فسقط في البئر .

٥٥) يجب عدمُ التسرّع بتكفير الآخرين ، لأن الإيمانَ يقين ، والكفرَ شك ، واليقينُ لا يزول بالشك .

٥٦) إذا أراد أحدٌ أن يظلمك فهو تحت قهر القهّار ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً بدون علمه وإذنه وإرادته تبارك وتعالى .

٥٧) ليس في الدنيا وأظن ولا في الآخرة ــ بعد النظر لوجه الله تعالى ــ أحلى من كلام الله ؛ فاقرؤوا القرآن بتدبّر وطبِّقُوه على أنفسكم .

٥٨) الأولياءُ هم أطبّاء القلوب وأطبّاء الدّين ، وهم يعرفون العلاج ؛ لذا يحضّوننا على الذكر حتى نقف عليه ونطَّلع على الحكمة منه . حينئذٍ لو قيل لنا : لا تذكروا ، لا نقبل ممّن ينهانا عن الذكر .

٥٩) إذا صحّت النيّة لا تضرُّ الوسوسة ؛ أي لا تُبطِل العمل ، لكن تقلِّل ثوابَه . حصّتنا من صلاتنا بقدر ما نفهم منها .

٦٠) علينا أن لا نتعمّد المعصية . لكن إذا قُدِّرَ علينا ووقعنا فيها فعلينا أن نتوب ونستغفر ونرجع إلى الله ولا نقول : لو نتوب نقع مرة ثانية ، فهذا من إلقاء الشيطان ، ولكن كلّما وقعنا نتوب ونندم ونرجع .

٦١) وجودُ العقل مهمٌّ ، لكنِ العقلُ الذي لا يتشرّب الأنانية ؛ فهو صافٍ منوَّر بنور القلبِ ، وصاحبه لا يتكلم بعقله البشري بل بعقله النوراني ، ولا يخرج عن طور الشريعة . وأيّ عقل خرج عن طور الشريعة لا يُعتَمد عليه .

٦٢) لفظُ الجلالة كلمةٌ مَن وفَّقَه الله لعرفانها ـــ يعني لمعرفتها ـــ لم يصبر عن ذكرها بلسانه ، ثمّ لا يفْتُرُ حتى يصل إلى المسمّى بـها بِجَنانه .

٦٣) الفيوضات التي تصل إلى المريد من شيخه ليست مُلْكاً للشيخ ، إنما هي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشيخُ واسطة . فكلّما كان التعلّق برسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر كانت الاستفادة منه أكبر ، وخادم الطريق تُوزَّع عن طريقه تلك الفيوضات على المريدين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلٌّ حسبَ صدقه .

٦٤) لا يمكن لأحد أن يزكّي نفسه حقيقةً لا تواضعاً ، لأنّ التّزكية من الله تعالى . قال الله تبارك وتعالى : { فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم /٣٢] .

٦٥) ترك الطبيعة البشرية أثقل على الإنسان من خروج روحه ، ولا يتحقق ذلك بقراءة الكتب ، بل لابد من العمل بتوجيهات المرشدين رضي الله عنهم .

٦٦) الموت قَطْعٌ لألسنتِنا وأبدانِنا وأعمارِنا عن الدنيا . فإذا كان ربنا راضياً عنا فهذا الانقطاع نعمة ، وإلا فبئست المصيبة .

والأولياء الكبار يخافون من سوء الخاتمة ، لأنّ الخاتمة مجهولة لنا ، وهي بيد الله تبارك وتعالى .

٦٧) كيف يغترُّ الإنسان بما أعطاه الله وسِرُّهُ يُقِرُّ بأنه خُلِق من ماء مهين .

٦٨) قال الله تعالى :{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر / ٦] ، وقال أيضاً : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات /١٠] ، فلا يليق بالمؤمن أن يتّخذ العدوَّ أخاً والأخَ عدوّاً.

٦٩) يومَ القيامة يميِّز الله بين الأشقياء والسّعداء ، ولا يكون هذا التمييز حسب العروق (عرب أو عجم) ، قال الله تعالى : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[الحجرات /١٣] .

٧٠) مِن سِمات أفراد الطريقة الشاذلية العطفُ على الفقراء والاهتمامُ بأمور الآخرين أكثر من أمورهم الشخصية . هذا لمن فهم الطريقة الشاذلية وتمسّك بالكتاب والسنة .

٧١) قل : الله ، حتى إذا خلَتِ القلوبُ عن الموهومات والمعلومات ، وصفَتِ الأسرارُ عن المعتادات والمعهودات ، فإن هذا الاسم (الله) يَرِدُ على قلبٍ مقدَّس من كل غيرٍ ، وسرٍّ مصفّى عن كلِّ كيفٍ .

عندئذ كلّما فتحتَ فمك بالذكر تنَزَّل على قلبك نور أكثر .

٧٢) إذا أدّى الإنسان عبادته بجوارحه فقط ، وكان القلب خالياً من معرفةِ الله ومن الإخلاصِ والركونِ إلى الله ــ نعوذ بالله ــ تسقط عنه هذه العبادات لكن لا يكون لـــه حصّة قلبيّة منها .

٧٣) المــؤمنُ أخو المؤمن ؛ فإن صدر من أيِّ مؤمن فعلٌ مُرْضٍ لله تعالى علينا كلُّنا أن نفرح ، وإذا أعطى ربُّنا لواحدٍ من المؤمنين مالاً أو أولاداً أو عقلاً أو علماً لابد أن نفرح ، فهو أخونا؛ أما إذا استعمله لغير ما خُلِقَ لـــه فلا نحب ذاك الانحراف ، بل نحب ذاته وإيمانه .

٧٤) الرغبةُ بالفرض فرضٌ ، والرغبةُ بالواجب واجبٌ ، والرغبةُ بالسنة سنةٌ . كلُّ هذا يجب أن يكون مميَّزاً عند المؤمن ، وعلينا أن نهتم بالشـــيء بقـــدر اهتمـــام الـــدين بـــه ، ونعطيـــه الوزن المطلوب .

٧٥) لا نستطيع أن نأخذ من الله دون رسولِه صلى الله عليه وسلم ، ولا نصل لمحبّة الله بدون اتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما يكون القلب حاضراً مع الله يراقب ماذا كان يفعـــل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتَّبعه .

٧٦) أكثرُ النّاس يخافون من الموت أكثر من خوفهم من الله تبارك وتعالى ، وعـــلاجُ ذلـــك التهجـــّدُ بالقرآن وذكرٌ بينك وبين ربـــك وصحبةُ المرشد .

٧٧) النقص صفتُنا والبعد صفتُنا ؛ فنحن مكلّفون بالعمل مع نقصاننا ، أما القبول فوظيفته سبحانه وتعالى . عليك أن تعمل حتىّ تحصل لك العبودية .

٧٨) العلاقة بين القلب الجسماني والقلب الربّاني كالعلاقة بين المغناطيس والحديد ، فإذا قرَّبته منه ينجذب إليه قبل أن يصل إليه .

٧٩) كما ربط ربُّنا كلبه الشيطانَ على طريق الوصول ، كذلك ربط لطائف الإنسان بالقلب الذي يجُرُّها ويحرِّضها ، حتى يظهر الصادق من الكاذب .

٨٠) الأدب التّام أن يكون العبد مع الله تعالى بقلبه ، ويكونَ همُّه همّاً واحداً ، وإذا وقـــع في الغفلة لا يدوم فيها .

٨١) الشّفيع هو مَن كان قولُه مقبولاً عند مَن لـــه القدرة علـــى العفـــو . قـــال تعـــالى : { يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً } [طه/١٠٩] .

٨٢) لا تُكثروا الكلام ، فإنّ كثرة الكلام تُقسّي القلب ، وأبعَدُ الناس عن الله صاحبُ القلب القاسي .

٨٣) وجودُ كتب الصّوفية المتقدّمين في بيتٍ سببٌ في حصول البركة ، مَن فَهِمَ ذلك فهـــم ، ومن لم يفهم عليه أن لا يعترض .

٨٤) الغيرة بين الفقراء تَسحب من الإنسان لذّة المناجاة ، وعلاجُها الإخلاص لله في معاملته بينه وبين الله تعالى .

٨٥) الخَطَرَات من علامة الإيمان ، بشرط أن لا تسترسل معها . صاحبُ العقل المنوّر لو يأتي الشيطان لـــه بمائة خاطر لا يسترسل معه .

٨٦) الذي يَعِظُ الناس عليه أن يُكثر من الذِّكر حتى يؤثِّر وعظُه فيهم .

٨٧) إذا حفظ الله عبداً يوجّهه إلى طريقٍ مستقيم ويجعل حركاتِه وسَكَنَاتِه موافقةً للكتاب والسنّة .

٨٨) إذا تنوّر القلبُ تمرُّ الخواطر سريعاً عليه ولا تثبت فيه ، ولا تضره إن شاء الله .

٨٩) على قدر إيمانك بشيخك تكون فائدتك .

٩٠) جنّة الدنيا صحبة أهل الله .

٩١) الحريص على الكرامة كالحريص على الدنيا .

٩٢) س : الله تعالى لا يَنسى ؛ فإن العبد ولو تاب من ذنوبه فالله لا ينساها . فكيف سيكون حال العبد يوم القيامة عندما يقف بين يديه تعالى وهو يعلم ذنوبه ولو أنها غُفرت بالتوبة ؟

ج : هذه حال الخشية . وهي الخوفُ والخجلُ والندمُ على ما مضى ، والخوفُ من الوقوع في المستقبل ، حتىّ ينزِّه العبدُ قلبَه عمّا سوى الله تعالى . وشرطُ الخشيةِ المعرفةُ ، وشرطُ المعرفةِ العلمُ ، وشرطُ العلمِ العملُ . وإذا ثبت العلمُ بوحدانيّة الله تعالى وربوبيّته يثبت العمل الموافق للعلم ، وبذلك تحصل الخشية . أما مَن يعلمُ ولا يعمل بما علم فهذا قدحٌ في علمه ، يعني نقدٌ عليه .

لذا ! كلّما ارتفعَتْ درجةُ العبد ــ ولو كان من كبار الأولياء ــ زادت معرفتُــه وخشــيتُه ، فيخــاف أكثــر مــع الخجــل :{ وَالَّــذِينَ يُؤْتُــونَ مَــا آتَــوْا وَقُلُــوبُهُمْ وَجِلَــةٌ } [المؤمنون /٦٠] . لِمَ وجلة ؟ لأنّهم يرون أعمالَهم غيرَ لائقةٍ بربِّهم فيخافون من عدم القبول.

٩٣) س : قال سيّدنا أبو الحسن الشّاذلي رضي الله عنه : حقيقةُ القُرْبِ الغيبةُ بالقرب عــن القرب لعظمة القربة .

ج : كما أنّ التقوى أنْ يتّقيَ الإنسان من تقواه ، فكذلك القرب أن يفرَّ من قربه ويترك ملاحظة قربه في قربه ؛ أي لا يتملَّك القربَ ولا يدّعي القرب لنفسه ولا يراه كما لا يرى تقواه. لا يرى قربه بل يغيب عن القرب الذي وصل إليه .

٩٤) س : كيف يمكن التخلّص من ملاحظة الخلق ؟

ج : اذكر كثيراً واقرأ القرآن وعاملِ النّاسَ كما تحب أن يعاملوك وتعلّق بالله وفوِّض أمر الخلق إلى الخالق وظُنَّ بالناس خيراً ، فأنت مأمور بحسن الظن . (إذا شئت أن تحيا سعيداً فظنَّ بالنّاس خيراً) .

على الإنسان أن يشتغل بما يتعلّق به لا بما يتعلّق بالآخرين . مثلاً : الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر لا بدَّ منه لكلِّ مؤمن ، وبما أنّ طبقاتِ النّاس وأرواحَهم ونفوسَهم وعقولَهم مختلفةٌ فمنهم من يقبل النصيحة ومنهم من لا يقبل ، فعلى النّاصح أن لا ينــزعج من عدم القبــول . هــذا الانزعاج ليس حقّه لأنّه انزعاج لنفسه . فوظيفته أن يعظهم بالموعظة الحسنة ، والقَبولُ أمْرُهُ إلى الله تعالى .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وظيفتُه التبليغ والتذكير والتبشير والإنذار ؛ فهو ليس مسؤولاً عن عدمِ قبول أبي جهل منه ، وهو لم ينـــزعج من ذلك .

فعلى الإنسان أن يقول لله ، ويبلِّغ لله ، وينصح لله ، فإذا قُبِلَ منه فهذا هداية مـــن الله ، وإلا فعدم الهداية من الله أيضاً .

لا يَخرج الإنسان عن فِخاخ النفس ، فعليه أن يحوِّل أخلاقه إلى أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين ذلك يَخلُص .

٩٥) س : كيف أصل إلى الله ؟

ج : بالتّمسّك بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليس إلا هذا . حـــافظ علـــى صلواتك الخمس ، لكن صلاة الخاشعين ، هذه مهمة ، يعني حاول حتى تكون صلاتك صـــلاة الخاشعين . قال الله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُـــمْ فِـــي صَـــلاتِهِمْ خَاشِـــعُونَ } [المؤمنون / ١ - ٢] ، ولا تسرف في الإنفاق والأكل واللباس ، ولا تتطاول بلسانك علـــى الغير ولا تغتَبْ أحداً . فبالتّمسّك بالكتاب والسنّة يكون العبد من أهل الاستقامة ، ثم بكثـــرة الذكر يترقى في ظل معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩٦) س : يقـــول سيّدي البوزيدي رحمه الله : (إن نفسي لم تَزَلْ صغيرة وأنا ابن ثمانين سنة ، وإنها تأمرني بأنواع المخالفات كما كانت تأمرني في عصر الشباب) ، فهل هذا يعني أن الـــنفس تبقى أمّارة إلى أن يموت صاحبها ؟

ج : هذا صحيح ، فإن النفس لا تموت . مَثَلُها مثَلُ الحية ؛ إذا صار الشتاء تبقى تحت التراب أو الثلج ، فإذا جاء الصيف خرجت تــدور ، فإن وجدت إنساناً تلدغه .

س : إذن كيف نَفهَمُ ترقّيَ النّفس من الأمّارة إلى اللّوامة إلى المطمئنّة ؟

ج : هذا التّرقّي لصاحبها ، أمّا هي فتبقى بوصفها .

صاحبُ الإيمان يبقى غالباً على نفسه بإيمانه ، فهو الذي يلومها لا هي التي تلومه . فــالنّفس أمّارة بالسوء ، وذاتُه تصبح لوّامة أو مطمئنّة ، وإلا لِمَ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر ((الشيخ الزاني)) ؟ معناه لم تمت تلك النفس رغم تقدم السن . الذي لم يعرف نفسه لم يعرف ربّه .

هذه الأمور تُعرفُ بالطّريقة ، أما بدونها فلا .لا يعرفُ الشخص نفسه إلا بمعــرِّف ، وهــذا المعرِّف عليه أن يتمسّك بالأكمل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينذاك تقف على بعض الأمور بقدر ما كتب الله لك من أمور السير والسلوك .

وقال حفظه الله في موطن آخر : النفس لا تخرج عن خبائثها حتى تخرج الروح من الجسد ، لأن الله وصفها بأنها أمّارة بالسوء ، وهي أشد من سبعين شيطاناً . وما يقولونه عن النفس بأنهــا تصبح لوامّة ومطمئنة ، فهذه الأوصاف لصاحبها وليست لها ، فالنفس لا تلومه بل هــو الــذي يلومها وكذلك المطمئنة . ففي هذه الحالة صاحبها يقوى عليها ولا تقوى عليه ، عندئذٍ تُطْمَس . فصاحبُها طمسها وداس عليها حتّى صارت تَقْبلُ لومه . مثال : إنسان يمشي في الطريق ونفســه تقول له : انظر إلى هذه المرأة ، فإذا كان إيمانُه قوياً يلومها ويقول لها : الله يراقبنا .

إذا غلبت الطبيعة الملكية على الطبيعة البشرية يكون المؤمن غالباً على نفسه يلومها ويضرب عليها ، وهي تكون أسيرة لـــه ؛ أما إذا كانت الطبيعة البشرية هي الغالبة ، فإنه يكون أسيراً لنفسه . مَن لا يعرف أن نفسه أخبث من نفس فرعون فهولا يعرفها . فالشيطان لم يصل إلى سيّدنا آدم إلا عن طريق نفسه ، فأخرجه من الجنة . والشيطان خرج عن أمر الله بسبب نفسه ، فقال : أنا . . أنا . . هذه أنانية حصل معها الكبر والغرور فَطُرِدَ .

وهكذا النمرود ، وفرعون ، وغيرهم صاروا هكذا بسبب النفس .

٩٧) س : هل هناك غفلة عن الله في الجنة بسبب وجود اللذائذ ممّـــا لا عـــين رأت ولا أذن سمعت كما ورد في ذكر الجنة ؟

ج : في الجنّة لا يوجد عبادة ولا يوجد تكليف حتّى توجد غفلة ، ولكن طلَبُ أهل الجنة كلهم جمالُ الله ورؤيةُ الله عز وجل .

هذه الرؤية تليقُ به سبحانه وتعالى .

٩٨) س : المؤمنُ الذي لـــه صفاتٌ ذميمة نبغضُ صفاتِه ولا نبغض ذاتَه . فهل ينطبقُ ذلـــك على الكافر بحيث نبغض كفـــرَه ولا نبغض ذاتَه ؟

ج : الكافر عبدٌ لله ، فلابد أن نشفق عليه من ناحية العبودية ؛ وإذا التقينا به وعاملناه نعامله بأحكام الشريعة ، وبغضُنا لـــه في الله أنْ نَقُدَ على كفره لأنه لا يؤمن بالله ولا برسوله صلى الله عليه وسلم .

أمّا المؤمن فله صلة بربنا تعالى وبرسولنا صلى الله عليه وسلم ، فلو كانت فيه بعض المخالفات لا نحب هذه الصفات المخالِفة ، لكن لا نكره ذاته ، بل نكره تلك المخالفات لأجل الشريعة والحق .

إذا وُجدت في المؤمن الأخلاقُ المحمَّديّة فالكافر ــ وهو كافر ــ يحب تلك الأخلاق ، و ذا كان المؤمن فيه أخلاق مغايرة لأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالكافر ينزعج من تلك الأخلاق . فإذا ذمّك أحد فقل لنفسك : هذا منك ، ولا تنزعج ؛ أما إذا مدحَك ببعض الأخلاق الحميدة فقل لها : هذه نعمة من الله ، اسكتي ، عليكِ من الله ما تستحقّين .

كلُّ ما صدر منكَ من خير أَخرِجْ نفسك مّما بينه وبين ربك ، وقل لها : كلُّ خير يأتيني فمن الله لا منكِ .

أنتَ لستَ لك ، فكيف تتملك ما ليس لك .

٩٩) س : أخاف لأنّ الله مطّلع على ظواهرنا وبواطننا في الدّنيا قبل يوم القيامة .

ج : مَن خاف من شيء فإنه يهيئ الأسباب التي تؤمِّنُه منه .

س : ما هي هذه الأسباب ؟

ج :هي التّمسّك بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم . خصوصاً أهل الطريق عليهم بالتّمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إضافةً إلى تمسّكهم بآداب الطريق .

١٠٠) س : ما هو علاج الغيظ ؟

ج : راقب الله تعالى ، ولا تصعِّر خدّك للنّاس .

فإن لم يذهب ذلك الغيظ معناه نفسكُ غالبة عليك .

وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤١٩ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) أدلّة وحدانية الله تعالى يشترك في رؤيتها جميع الناس . فمَن خلــق الســموات والأرض والجبال والبحار والنبات والإنسان ؟ جميع النّاس ــ مؤمنين وكافرين ــ يُقرُّون بأنّه الله . قال الله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَــبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَــا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحج /٦٢-٦٥] .

أما معرفة الله تعالى فهي خاصّةٌ بالمؤمن ، حيث تنتقل هذه الأدلة من رؤية البصر إلى القلــب الذي هو محل الإيمان ؛ وهذه المعرفة متفاوتة بين المؤمنين .

فإذا انتقلَت المعرفة إلى القلب وثبتَتْ فيه يزول الحجاب ويُكشَفُ ، ولا يعبَّر عنها باللســان ، وليس للفهم ولا للعقل ولا للقلب أن يتصورهــا . وهذه المعرفة لا تحصل إلا بــالمعرِّف المقيَّــد بالكتاب والسنّة .

س : ما هي أسباب الانتقال من الأدلة الحسية إلى المعرفة ؟

ج : بالخروج عن الطبيعة البشرية المخالفة ، من الحقد والحسد والتشدق بالكلام والرياء وحب الدنيا وحب الرئاسة والشح ، لأن هذه الصفات لا تكون إلا بسبب مرض القلب ، وإذا كان القلب مريضاً لا يحصل فيه شيء من المعرفة .

س : ما هي أسباب الخروج من الطبيعة البشرية ؟

ج : كثرة ذكر الله تعالى ، والإخلاص في العمل ، والإحسان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنك يراك)) [أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه] ، وليس الذكر فقط . فالذكر عبادة ، والصلاة عبادة ، والزكاة عبادة ، وقراءة القرآن الكريم عبادة ، والكلمة الطيبة عبادة ، والمعاملة الحسنة عبادة ، وتوجيه المؤمنين إلى الله لا إلى نفس الداعي عبادة. وإذا دام المؤمن على ذلك فإنه ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حق اليقين .

إذا تفكَّر الإنسان في صفات الله تعالى ينتقل إلى الذات بدون تشبيه ولا كيفٍ ، بل يكون متحيراً ؛ فالتفكّر في الصفات يقوّي الإيمان .

مثلاً : إذا أردت أن آخذ هذه السُّبحة من الأرض عليَّ أن أُفكِّر قبل أخذها بأن الله يراني ، فهل من حقي أن آخذها أم لا ؟ عندئذٍ أَزِنُ بميزان الشريعة .

٢) العلماء هم المقيَّدون بالخشية ؛ فإذا وجدْتَ عالماً متبحِّراً لكنه لا يعمل بعلمه فهذا يقدح في علمه ، أما إذا عمل بما علم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الفلاح والنجاح إن شاء الله ، وهو المشمول بقوله تعـالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر /٢٨] ، ولكن الأكمل له أن يسلك طريق القوم من أهل التصوف رضي الله عنهم ، لأن قلوب الورّاث منهم مَظْهَرٌ لسرِّ الربوبية .

كان سيدي علي بن وفا ـــ رحمه الله تعالى ـــ يقول : الْزَم الأستاذ فإنه يُظْهِرُ سِرَّ الربوبيـة ، فربَّما أوحى إليك ربك في حجاب قلب شيخك من طريق الإلهام ، فإن قلبه مظهر سرّ الربوبية ، فعلى المريد أن يقف عند أمر أستاذه ولا يتعداه ، ولا يلتفت عن أستاذه يميناً ولا شمالاً إذ ليس للمريد من يتوجه بقلبه إليه غير الأستاذ ، وليس من مرتبته صحة التوجه إلى الحق تعالى لجهله به ، إلاّ أن يكون مضطراً .

وكان يقول : من أرشدك إلى ما به تتخلّص من غضب ربّك عليك ، وتحصِّل به رضوانه فقد شفع فيك عند ربه من هذه الدار ، لكن بشرط أن تطيعه وتَقْبَل منه ما يرشدك إليه ، فإن لم تطعْه ولم تقبل منه ما أرشدك إليه فلا تنفعك شفاعته فيك ، قال تعالى في حق أقوام :{ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ } [المدثر / ٤٨ - ٤٩] .

من هؤلاء الورَّاث الشيخ محيي الدين بن عربي ـــ رحمه الله ـــ ، وهو من الأوليـاء الكبـار ، وبديع الزمان سعيد النورسي ـــ رحمه الله ـــ وهو من الأولياء الكبار المجددين ، ولو لم أقل إنه من الوراث حقيقة يكون كتماً للحقيقة ، فقد كانت أخلاقه ـــ رحمه الله تعـالى ـــ من أخلاق

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن جملتها أنه كان متحققاً بقوله تعالى : { لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر /٨٨] . هذا الأمر لا يوجد إلا في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ورّاثه الذين من جملتهم بديع الزمان ، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم آمين .

٣) بالولاية يطّلع الإنسان على حقيقة ما بلَّغه الرسولُ صلى الله عليه وسلم ، فيظهر له بعض ما أَمَرَ به الرسول صلى الله عليه وسلم .

مثلاً : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان الذي هو شعبة من شعب الإيمان : ((أن تعبد الله كأنك تراه)) ؛ هذه الرؤية لا يطَّلع عليها أحد إلاّ عن طريق الولاية ، لأن الله تعالى هو الذي يتولى هؤلاء الأولياء ، لقوله تعالى : { أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس /٦٢] ، ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا . وكذلك بالولاية يطَّلع على الآيات التي فيها ذِكر العذاب .

والإيمان يتجزأ كما جاء في الحديث : ((الإيمان بضع وسبعون شعبة . . .)) ، وبكونه يتجزأ فإن المؤمن باستكمال شعب الإيمان يترقى حتى يخاف أن يضُرَّ بالذرة (البَرُّ مَن لا يضُرُّ الذَّر) . وبترك شعب الإيمان يتدنى الإيمان حتى لا يبقى للمؤمن إيمان قوي يمنعه عن تجاوز حدود الله مِن شرب الخمر والزنا والربا والقتل والسرقة ، ولذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)) [أخرجه أحمد و البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه] . فهذا العبد عندما ترك شعب الإيمان وجزّأ إيمانه بقي منه جزء لم يمنعه من الزنا وشرب الخمر والسرقة . لذلك

إيمان المؤمنين ليس كلّه متساوياً . فيجب علينا أن نخاف من أن نذهب من الدنيا بدون إيمـــان ــــ والعياذ بالله ــــ . ومَن يضمنُ لنفسه أنه يذهب بالإيمان ؟

لذلك وجب علينا أن نخاف الله تعالى إذا ذُكرَت الآيات التي فيها الوعيد للكافرين ، مثل قوله تعالى :{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَـــهُ عَـــذَابٌ مُهِـــينٌ } [النساء /١٤] ، فهذه الآية لم تفرِّق في وعيدها بين المؤمن والكافر ، وإذا قال البعض : هـــذه الآية تتضمن الوعيد للكافر لا للمؤمن ، أقول : وهل يضمن الواحد منا أن يخرج من الدنيا على الإيمان ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل)) [أخرجه مسلم و الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه] ، ويقول صلى الله عليه وسلم : ((إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى حاف في وصيته فيختم بشر عمله فيدخل النار)) [أخرجه أحمد] ، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتى لا يكون بينها وبينه إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النـــار فيدخل النار)) .

نسأل الله حُسْنَ الخاتمة وأن يثبت قلوبنا على دينه ، إنه على ما يشاء قدير . وصلى الله علـــى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

٤) لا ترمِ ذاتك تحت نفسك الأمارة بالسوء حتى تدوس عليك ، وتُفْرِغَ فيك سُـــمَّها . لأن النفس الأمارة يخرج منها السُّم فتضرُّ بصاحبـــها ، وربما ينقل الضرر إلى الآخـــرين . والمـــؤمن الصادق في هذا الطريق يشم ريح السُّمِّ الذي يخرج من المخالفين ، فيكون على حذر من أن ينتقل إليه السم .

وهذا السم إما أن يخرج من المؤمن وإما من الكافر ، كما حصل من اليهودي شاس بن قيس الذي نفث سُمَّه في نفوس الصحابة - من الأوس والخزرج - عندما غاظه تآلُفُهم . انظر كيف انتقل إليهم ذاك السم وهم صحابة - رضي الله عنهم - . فكيف بحالك يا مسكين يا مغرور ؟ لماذا لا تلتفت إلى نفسك الأمّارة وتكون في حالة حذرٍ منها ؟ لماذا لا تلتفت إلى نفوس الآخرين المخالفين وتكون في حالة حذر منهم ؟ كيف يكون الاتّباع لمن اتَّبع هواه واتَّبع نفسه الأمَّارة وسُمَّها القاتل ؟

إذا لدغ الإنسانَ عقربٌ أو حيّةٌ فإنه يأخذ علاجاً ضد هذا السمّ حتى لا يضره ، والعلاج لسُمِّ النفس الأمارة هو ذكرُ الله واتباعُ الرسول صلى الله عليه وسلم والتمسكُ بالكتابِ والسنّةِ ومجاهدةُ النفس . وكما لا يُنْكَرُ على من عالج نفسه من لدغ عقرب أو حيّة كذلك يجب أن لا يُنكَر على المؤمن الذي يجاهد نفسه ويسلك طريق تزكيتها .

كلُّ المعاصي التي يقع فيها الإنسان سببها هذا السُّمُّ . فيجب على المؤمن أن يكون متيقظاً حتى لا يأتيه هذا السم من نفسه الأمارة أو من نفوس الآخرين .

إذا خرج السم من النفس الأمارة فإنه يُوَزَّع على وكلاء الشيطان ، وهم يهجمون على المؤمن :{ شَيَاْطِيْنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً } [الأنعام / ١١٢] .

٥) الروح جاءت من جوار الله تعالى ، وغذاؤها العبادة والذكر وتلاوة القرآن الكريم وفعل الأوامر وترك المنهيات . وهذه الروح هي إحدى اللطائف التي وضعها الله في الإنسان ، وهي لطيفة مستقلّة ، لا كما يقول البعض بأن النفس والروح والقلب والعقل والسر شيء واحد تختلف تسميته بحسب الأوصاف .

والروح الرباني غير الروح الجسماني ، لكن هناك تعلق بينهما كتعلق الحديد بالمغناطيس . الروح الجسماني ليس له قوة الترقي والعروج والتفكير بل هذا للروح الرباني ، وصاحب الروح الرباني إذا ابتدأ بالتفكير وبالعبادة وبقراءة القرآن فإنه يستشعر بأن روحه الربانية تقوى وتريد الترقي . لكن من وراء هذه الروحِ النفسُ الأمّارة تجرّها بكلاليبها إلى الوراء ، فلا بد من المجاهدة.

والروح الربانية إذا ارتقت وارتفعت فإنها لا تغيب عن نظر القلب ، وصاحبها يراها بقلبه الرباني ولو كان مغمض العينين ، ويستشعر بأن هذه الروح التي ارتقت هي روحه يقيناً ، يعرفها كما يعرف أعضاءه . وهذه الرؤية كرؤية الظل ، فهل يشك الرائي لظله بأن هذا ظله أم لا ؟ وهذا الخروج يقوى كلما قويت جنود الروح على جنود النفس . والكشف غير الخروج والعروج ؛ فللروح خروج وعروج ووصول ، وهذا الوصول بلا كيف ولا تشبيه ، ولا يمكن أن يعبَّر عنه . والذي يهمُّنا العبوديةُ ، وأن نحافظ على صلاتنا مع الخشوع ، وأن نقرأَ القرآن الكريم بتدبر ، ونطبِّقَ على أنفسنا الصفات التي وصف الله بها عباده الصالحين ، و إذا صدر منا التقصير نستغفر ونرجع إلى الله تعالى .

٦) لا بدّ للإنسان أن يتعلق بمعرفة الله جلّ جلاله ، حتى لا يوجِّه الناس إلى نفسه . والأولياء الكبار المتقدمون ـــ رحمهم الله تعالى ـــ كانوا يوجِّهون الناس إلى أنفسهم لكن ليس كما تظنُّون ، فهم يوجّهونهم إلى مظهر سرِّ الربوبية الذي يظهر في قلوبهم ، لذلك تراهم يتمسّكون بالكتـــاب والسنة . وبذلك يرى النّاس منهم أخلاقاً وأحوالاً مستمَدَّة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا الطرق الموصولة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأهل الإيمان ـــ ولو كانوا من العوام ـــ لا يتَّبعون مَن يدعو إلى نفسه لأن إيمانهم لا يقبل هذا . وبعض الأدعياء من أهل الطرق يوجِّهون الناس إلى أنفسهم ويتحدّثون للناس عـــن الكرامـــات والكشوفات .

ما هذا ؟ هل رأيتم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من خلال قولـــه تعـــالى : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } [الصافات / ٢٤] ، أنهم سيُسألون عن الكشف والكرامات ؟ لا . السؤال سيكون عن الالتزام بالشريعة . فهؤلاء الذين يتشدّقون بالكرامات يتَّبعـــون أهـــواءهم ويَدْعون إلى أنفسهم ، واللهِ هذا شِرْكٌ خفيٌّ . وبسببهم يَنقدُ الناس على الطرق ويفـــرّون منـــها فرارهم من الأسد .

٧) الطبـــيعة البشرية المخالفة مثل :حب الفلوس والمقام والشهرة خربَتْ بيوتَنا ، وخربَـــتْ آخرتَنا ، وخربَتْ عقولَنا ، وخربَتْ استعدادَنا ، وهي تلعبُ بنا . يقول بعضهم : كيف تقولـــون هذا واللهُ تعالى يقول : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَـــادِهِ وَالطَّيِّبَـــاتِ مِـــنَ الـــرِّزْقِ} [الأعراف / ٣٢] ؟

الجواب : إن الله تعالى أوصل هذه النعم لعباده لا من أجل أن تكون سبباً في بُعدهم عنه ، بل لتكون سبباً في قربهم منه جلّ وعلا .

علينا أن نقوّي جانب الآخرة لا جانب الدنيا ، وذلك باتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب / ٢١] . والوصول إلى هذه الأمور الربانية لا يكون إلاّ بالتجاوز عن الطبيعة البشرية المخالفة ، أما الأكل والشرب والزواج والولد والمعيشة فلا بدّ منه ، ولكن كلّه يُؤخذ بأمر من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم . فاستخدم نِعم الله على حسب ما أراد لا على حسب ما تريد . فالتقيد بالشرع الشريف منفعة للعبد جسيمة وكبيرة .

٨) أثناء ذكر (لا إله إلاّ الله) علينا أمران :

الأول : أن نضرب لفظ الجلالة على القلب حتى تزول الأغيار والخطرات منه .

الثاني : أن لا نتفكر في أي شيء من الأشياء ، بل بالقلب والروح ننظر إلى الله جلّ جلاله ، ونحن نُقِرُّ بوحدانيته ونصدّق بها . نحن لا نوحِّده بل نقرُّ بوحدانيته ، فما وحَّد الواحدَ من واحدٍ إذ كلُّ مَن وحَّده جاحد .

فيجب أثناء ذكر كلمة التوحيد أن يكون القلب موجَّهاً نحو الربِّ كما جاء في الحديث : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) [أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه] ، بالقَطْع إنه يراك ؛ فإذا لم تصل إلى مقام الشهود وهو ((كأنك تراه)) حيث تنتقل من إيمان علم اليقين إلى إيمان عين اليقين ، فعليك بمقام المراقبة ((فإنّه يراك)) .

٩) ليس هناك مخلوق مثل الإنسان ، فهو ضعيف ومغرور بصفاته العَرَضِية التي جاءته بعد وجوده من العدم . فإذا وقع العبد في الغرور ونسي أصله فلْيَتْفُلْ في الأرض ثم لينظر أما يجد ذلك حقيراً ؟ فالذي خُلِق منه الإنسان أحقر من ذلك ، فكيف يكون مغروراً ؟

كل ما يتعلق بك من الفضائل هو من الله جلّ جلاله ؛ فالله أعطاك عقلاً وذكاءً وسمعاً وبصراً وأدَباً وخُلُقاً ، وجعلك من أمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنعم عليك نِعَماً لا تُعدّ ولا تُحصى ، فكيف تنساه تعالى ؟ كيف تُعانِد وتتكبر وتغترُّ بنفسك ؟ الكافر لو تَفَكَّر في نفسه فإنه لا يمكن أن يُنكر ربه أو يُلحد به ، لأنه يجد نفسه أنه جاء من عدم ثم صار في أحسن تقويم ؛ فإذا كان أصله عدماً فإن الفضائل كلها التي وجدت فيه كذلك عدم . فالإنسان بفضائله عَرَضِيٌّ كلُّه ، والكلُّ من الله تعالى .

١٠) على القويّ أن لا يظلم الضعيف ، بل يعطيه المجال في الحديث ؛ والرجلُ أقوى من المرأة ، والمرأةُ لضعفها لا يمكن لها أن تدافع عن نفسها . فصاحب الإنصاف يُعِيْنُ زوجته ويعطيها المجال للحديث ويتجاوز عن خطئها ، وهذا يكون سبباً لتحصيل المودة : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً }[الروم /٢١] ؛ أما إذا حصل النقاش واشتد فإنه يخفّف من المودة . فلا بدَّ لصاحب الإنصاف أن يرجع حينئذٍ إلى الرحمة ويتحمّل ، ما لم يكن في شيء مخالف للشرع والعفَّة .

وعلى الرجل أن لا يعطي المجال للخلاف من أول الأمر ، فإذا رأى أهله غــير مســرفة فإنــه يستأمنها على ماله ، وأما إذا كانت مسرفة فلا ، لقولــه تعالى :{ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْــوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا} [النســاء /٥] . ومن إسراف المرأة أن تعطي لصغارها أكثر من الحاجة .

صفة السخاوة في الرجال جيدة ، واللهُ يرضى عن صاحبها ، لكنها في النساء مذمومة . ميزان الشريعة دقيق والالتزام به يريح الإنسان .

١١) أولياء الله تعالى موجودون في كل زمان ، ومن يبحث عنهم يدفعه الله إليهم . لكنــهم وراء الحجاب ، لا يعرفهم إلا من استعان بالله تعالى . يقولون : لا يوجــد أوليــاء ، لا يوجــد مرشدون . كيف هــذا ؟ لو بحث الإنسان عنهم لوجدهم ، لأن قدرة الله مطلَقة : { وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً } [الكهف /٤٥] .

لكن يُظهِرُهم الله تعالى بحكمته وإرادته وعلمه : { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ }[التوبة /١٠٠] ، هؤلاء موجودون إلى قيام الساعة .

لكنَّ كثيراً من الناس لا يذهبون إلى المساجد ولا يبحثون عنهم ويقولون : لا يوجد مرشدون . البُعدُ عن الكتاب والسنّة جعلهم في حجاب عنهم ، وإلاّ فالزمان عَيْنُ الزمــان ، مــا تغيَّــرت السماوات ولا الأرض ؛ والشريعة هي عين الشريعة منذ أن قال الله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُــمُ الإسْلامَ دِيناً} [المائدة /٣] ، لكن الإنسان هو الذي تغيّر .

وإذا وَجَدَ أحدُهم واحداً من هؤلاء الأولياء فإنه يريد أن يتحكم به وأن يجعله أسيراً لــه . هل يمكن أن يكون الولي بهذه المذلة ؟

١٢) الترقي استعداد ، وهذا لا يعني أنّ مَن جاهد نفسه ولم يترقّ ليس بسالك . المهمّ أن لا يغترّ الإنسان بنفسه ، وأن يكون مقيَّداً بالشرع الشريف ؛ فإذا كان ممن قال الله تعالى في حقهم : { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } [الأنعام / ١٥٢]، وممن قال فيهم : { فَــلاَ تَتَّبِعُــوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا } [النساء /١٣٥]، فهو سالك ؛أمّا إذا كان ضدَّ هذه الآيات ؛ أيْ يعمــلُ خلاف ما أُمِرَ به فهذا ليس بسالك، ولو كان يقول: أنا سالك، وعمري كلُّه قضيته في الطريق ؛ كلٌّ ذلك فارغ ، فالميزان هو الشريعة .

الذين سبقونا من أسيادنا - رحمهم الله تعالى - وصولاً إلى سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام هذا هو مقياسهم ، وليس الخصوصيات والكشوفات . فالميزان هو الشريعة ، وكلما كان الإنسان موافقاً للشريعة أكثر فهو من الأفضلين ، وأما المراتب فهي عند الله جل جلاله .

١٣) خلَقَ الله تعالى الإنسانَ وفيه النفسُ الأمارة بالسوء ، وهي خبيثة ظلمانية ، ولا ينتج عنها إلاّ ظلمة ، لكنَّ أكثرنا لا يقف على هذه الظلمة إلاّ إذا ظهرت . فمصدر الظلمة مــن الــنفس الأمارة لا من القلب الذي فيه الإيمان ، وصاحب الإيمان يقع في ظلمة النفس وإن لم يرضَ بهــا ، كمن يسقط من الجبل وهو ليس راضياً بالوقوع . فمن وقف على حقيقة نفســه فإنــه يأخــذ بزمامها : ((ليس الشديد بالصُّرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)) [أخرجــه البخاري و مسلم و غيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه] . ومَن وقعوا في ظلمة أ نفسهم منــهم مَن يندم ويتحسر ، ومنهم مَن لا يندم بل يرفع نفسه . فالقسم الأول دائماً يلوم نفسه ويضرب

عليها ولا يعطيها المجال حتى تهجم عليه أو على غيره . أما القسم الثاني فتنتشر ظلمته عليه وعلى الآخرين ، حينذاك إذا انتبه بمقتضى الإيمان فإنه يلوم نفسه ويقف عليها ، عندها لا يضر نفسه ولا الآخرين ؛ أما إذا لم ينتبه ولم يتقيد بالإيمان والأخلاق الحسنة فإنّ ضرره ينتشر .

١٤) الله تبارك وتعالى كرَّم ابن آدم وخلَقَه في أحسن تقويم ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } [الإسراء /٧٠] ، وقال : { لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين /٣] ؛ فيجب عليه أن لا يخرج عن حدّه وطوره ، لأن خروجه هذا لا يرضى عنه الله تعالى ، لذلك قال تعالى : { ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }[الحجر /٣] ، وقال كذلك : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } [محمد /١٢] ، وقال تعالى : { لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف /١٧٩] ، وقال تعالى : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } [الروم /٧] . الأكل والطعام شَغَلَهُمْ عن الاستقامة والأخلاق الحميدة ، لذلك سَقَطوا من عناية الله تعالى .

١٥) الإنسان مُبتلَى في هذه الحياة بالتكاليف الشرعية ، وخاصّة بالأسباب ؛ وأحياناً يُخطئ المؤمن فيعتمد على الأسباب ويغترُّ بها ، فإذا جاءت النتائج غير موافقة يتضايق وينسى الحكمة ، والله تعالى يقول : { لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [الحديد / ٢٣] . لذلك يجب على المؤمن أن لا يعتمد على نفسه لأنه مخلوق ، ولا يعتمد على الأسباب لأنها مخلوقة كذلك ، بل يكون اعتماده وتوكله على الله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ } [الفرقان /٥٨] . فالأخذ بالأسباب دعاءٌ فِعْلِيٌّ ، وتركُ

الأسباب خلافُ حكمة الله تعالى ؛ لأن الله تعالى خالق الأسباب ، فلا بد من أخذها بالظـــاهر ، والتوكل على الله تعالى بالقلب .

١٦) تَفَكَّر جيداً بأن قيمتك بالإسلام ، وهو عزُّك و هو الذي يرفعك إلى رضا الله تعـــالى . لكن مشكلتنا أننا لا نمشي على هذا الطريـــق ، بل نفكِّر بأن هذا تاجر . . هذا صاحب مال . . وصاحب جاه . . وصاحب عمامة كبيرة ؛ كلُّ هذه زخارف الدنيا المزيَّفة .

لقد أعطاك الله تعالى ديناً يَرفع به شأنَك في الدنيا ، ويجعلك تؤول في الآخرة إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فلا تصرف وقتك فيما لا يعنيك ، ولا تُخْدَعْ بزخارف الدنيا التي خُدِعَ فيها أكثر الناس ، ولا تُضَيِّع وقتك في التلفاز لأنه صار آلة بُعْدٍ عن الله عزّ وجل بعد النفس والشيطان . كلُّ هذا بسبب ضعف إيماننا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١٧) التحقق بالعبودية من أحكام الشريعة ، و العبودية بالله أفضل من العبودية لله ، لأن العبودية بالله يُخرج صاحبُهـــا نفسَه من البين بالكليّة .

والعبودية لها جهتان :

الأولى :عبودية بالقلب ،فتكون نيته خالصة لا تتوجه إلى طمع في الجنّة ولا إلى خوف من النار.

الثانية :عبودية بالجوارح ، يُجْرِي عليها الأحكام الشرعية الموافقة للكتاب والسنّة.

والذي يحافظ على العبودية في ظاهره وباطنه يكون خالصاً من كل الشوائب ، فـــإذا جاءتـــه الإلهامات يعرِضُها على الشرع ، فإن كانت موافقة للشرع أخذ بها ، وإلاّ يرمي بها عرض الحائط.

١٨) نحن لسنا مصدر الحقيقة ، لكن مصدرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولـــيس في يدنا إلاّ التوجيه . وأهل الطريق يطلبون أحياناً الفوائد من المرشد ، والحقيقةُ أن الأمور كلَّها بيد الله جلّ جلاله ، تأتي منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه إلى مَن اتبعه مع وجود الاعتقاد الصحيـــح . هذا هو شرعُنا المحمدي .

فكل الأمور والفوائد من الله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَـــدَّ تَثْبِيتًـــا ۝ وَإِذًا لَآتَيْنَـــاهُمْ مِـــنْ لَـــدُنَّا أَجْـــرًا عَظِيمًـــا ۝ وَلَهَـــدَيْنَاهُمْ صِـــرَاطًا مُسْـــتَقِيمًا } [النساء /٦٦] . هل هذا يأتي من الله أم من المرشد ؟ لذلك نقول : مَن يحوِّل الناسَ إلى نفسه فالفرارُ منه ضروري ، ومن يحوِّل الناس إلى الله تعالى فالتمسك به ضروري .

١٩) المؤمن لا يسترسل مع هواه ولا مع مَن اتبع هواه ، سواء أكان شريكاً أو أخاً أو جاراً أو مريداً أو زوجة ، وإلا فما معنى نزول القرآن الكريم وقراءته بدون تطبيق على النفس ؟ فحرمـــةُ الشريعة مقدَّمة على كل شيء ، ولا بدَّ من ترجيحها على الهوى .

وأيُّ مؤمن لو نظر بإيمانه إلى نفسه الأمارة فإنه يطَّلِعُ على كفرها ، ومن لم يعرف أنَّ كفرَ نفسه أشدُّ من كفر فرعون فإنه لا يفهم من دين الله شيئاً . لو تُرِكَت النفس وشأنها لقالت مثل ما قال فرعون ، فلا بدّ من لجام الشريعة نقيّد به هذه النفس الأمارة .

اللهم إنا نعوذ بك من شر نفوسنا ونفوس الآخرين .

٢٠) لا يوجد مثل حلاوة القرآن الكريم في أي عبادة من العبادات ، فحــلاوة الصــلاة في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون /٢] ، وقال : { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ . . . } [البقرة /٣] ، وحلاوة المشي في القــرآن الكــريم ، قال الله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان /٦٣]، وقال : { وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا } [الإسراء /٣٧] ، وحلاوة المعيشة في القرآن الكريم ، وحلاوة الذكر في القرآن الكريم . كلُّ ذلك بتطبيق آداب القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه .

٢١) طَلَبُ الله من عباده التعلُّق بالشريعة ، وطلبُ رسول الله من أمته اتباع السنَّة ، وإذا بُنِيَ الطريق على الشريعة وَجَبَ على المريد أن يتابع الشريعة . ومن سوء خُلُقِ المريد إذا تــابع أن لا يسلّم نفسه لخادم الطريق ، لأنه لا يستفيد بدون تسليم ، وإذا لم يستفد فإنه يحاول أن يخرج من الطريق بالجملة ، وذلك بالنقد على الطريق أو على شيخ الطريق ، ولا ينسب شــيئاً إلى نفســه الأمارة بالسوء . لذلك وجب على من أراد الدخول في الطريق أن يفتش أولاً ، فإذا وجد طلبه وجب عليه أن يسلّم .

٢٢) الإسلام شيء والمسلم شيء آخر ، فنقصان المسلم لا يدلُّ على نقصان الإســلام ، لأن الله تعالى يقول : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِــيتُ لَكُــمُ الإِسْــلامَ دِينــاً }[المائدة /٣] . فالنقصان من المسلم لا من الإسلام ، ولذلك وجب النقد على المسلم المخالف لا على الإسلام .

كذلك الطريق وأهل الطريق ؛ فالنقد لا يكون على الطريق المبني على الشــريعة بــل علــى السالك إذا كان مخالفاً .

٢٣) قال الله تعالى حكايةً عن قوم سيدنا هود عليـــه السلام : { قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَـــفَاهَةٌ وَلَكِنِّـــي رَسُولٌ مِـــنْ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُـــمْ رِسَـــالاَتِ رَبِّـــي وَأَنَـــا لَكُـــمْ نَاصِـــحٌ أَمِـــينٌ } [الأعراف /٦٦-٦٨] ، فقد بقي عليه السّلام أديباً معهم رغم أنهم كافرون . وقـــال لهـــم : { وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } ، ولم يقل لهم بل أنتم السفهاء . فلا تترك أدبك مع غير المتأدبين ، فإن هذا شأن المخلصين في أدبهم .

٢٤) الذي يتمسك بخادم الطريقة - إذا كان موافقاً للسنَّة ويطبِّق على نفسه كيفما تحرك - فهو متمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي بسنته .واللهُ تعالى يرضى عمَّن تمسَّك بالسنة. لكن أكثر أهل الطّريق يتَّبعون الأذواق والكرامات ويعتبرون أن هذا هو الميزان ، ولا يعلمون أنه لا يُطْلَبُ من العبد إلاّ الاستقامة ، ولو كان قطباً فرداً ؛ لأن الاستقامة هي الكرامة الكبرى . وأما الأذواق والكرامات والكشوفات فهي كرامة صغرى متولدة من الكرامة الكبرى .

٢٥) الواجب على المؤمن أن يقرأ القرآن بتدبر . لكنه أحياناً يقرأ القرآن فيمر على الآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى بدون انتباه ، فإذا شعر بذلك عليه أن يرجع إلى تلاوتها والتفكر فيها ، عندها يكون فهمه أوسع وأكثر . هذه هي قراءة القرآن بتدبر ، أما إذا قرأ بدون تـــدبر تكون قراءته مثل قراءة الجرائد ، لكن يحصل له ثواب القراءة .

٢٦) إذا لم يَصدُق العبد مع نفسه فَمَعَ غيره من باب أولى ، لأن نفسه أقرب إليه من غيره . و إذا لم يوجد الصدق عند العبد عليه أن لا يغتر بمدح الناس له وبوصفهم إياه بالصدق .

قـــال بعض الأحبـــاب أمـــام شيخنا حفظه الله تعالى : إذا كان الإنسان جائعاً وقال لـــه جميع الخلق إنه شبعان هل يصدقهم ؟ كذلك يجب على الإنسان أن لا يغتر ولا يصدق قول الخلق عنه أنه صاحب خُلق إذا لم توجد فيه الأخلاق المَرْضِيَّة ، فإن صَدَّقَهم دلَّ ذلك على قلّة عقلة وعـــدم معرفته بنفسه .

٢٧) ذريّة سيّدنا رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم قســـمان : ذريـــة نَسَـــبيَّة وذريـــة سَبَبِيَّة ؛ فالنسبيّة هم أهل العباء رضي الله عنهم ، والسببية هم من كانوا على سُنَّته وسيرته صلى الله عليه وسلم . والمعتَبَر في الشريعة الغرّاء مَن كان موافقاً للكتاب والسنّة ، وهو المقبول عند الله تعالى ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : ((سلمان منّا أهل البيـــت)) [أخرجـــه الحـــاكم في المستدرك و الطّبراني في الكبير عن عمرو بن عوف رضي الله عنه] ، وقال للجميع : ((مَن غشَّ فليس منّا)) [أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه] . هذا هو الميزان . فالنسبة ليست نسبة جسدية فقط بل لابدَّ من الاتباع ، لذلك قال تعالى لسيدنا نوح عليه السلام عـــن ابنـــه : { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } [هـــود /٤٦] . ورســـول الله صـــلى الله عليـــه وسلم يغضب إذا ارتُكبَت المخالفات ولو كان من ذريته ، لأن هذا حق الشرع .

٢٨) العقل عقلان : عقل دنيوي وعقل أخروي ؛ فإذا كان العقل الأخروي غالباً فإن صاحبه يشتغل بآخرته أكثر من دنياه ، وإذا كان العقل الدنيوي غالباً فإن صاحبه يشتغل بدنياه أكثر من آخرته ، وإذا كانا متوازنين فإن صاحبهما يتفكر في دنياه وآخرته ؛ فإن كانت الدنيا تضرُّ بآخرته رجَّحَ أمر الآخرة على الدنيا ، وفي الحديث : ((مَن أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته ، ومَن أحبَّ آخرتَه أضرَّ بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى)) [رواه أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه].

٢٩) بعض الناس توجد فيهم طبيعة شيطانية ؛ فإذا أحسنتَ إلى واحد منهم بالكلام والنصيحة والإعطاء ثمّ رأى فرصة فإنه يستعمل شيطانيته تجاهك . فالإحسان إلى اللئيم كالإساءة إلى المستقيم ، لذلك لا بدّ من وضع الأمور في محلّها . والإحسانُ لا يُترَك في حال من الأحوال ، ولكن لا يُعْطَى للئيم المجالُ حتى يَلدغَ مرةً ثانيةً . فأهل الإيمان لا يتركون الإحسان الذي أمرهم الله به على قدر الاستطاعة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((أفضل الفضائل أن تصل مَن قطعك ، و تعطي مَن حرمك ، و تصفح عمّن ظلمك)) [أخرجه الطّبراني في الجامع الصّغير عن معاذ بن أنس رضي الله عنه] .

٣٠) حُسنُ الظن بالله تعالى مقبول إذا لم يُوْقِع العبدَ في الغرور ؛ فإذا كان العبد يتمادى في الكذب وأكل الحرام ويتكلم بما لا يعنيه ، ويفعل ما لم يشرعه الله تعالى ويقول : أنا أُحسنُ الظنَّ بالله تعالى ، فهذا عبد مغرور وحُسن ظنِّه مذموم . وأما المؤمن الذي يفعل ما أمر الله به ويجاهد نفسه ويرى تقصيره مع الله تعالى ويحسن الظن بالله تعالى فهذا جيد مقبول . فالمؤمن يعمل ويجاهد ويُحسن الظن بالله تعالى ، أما المنافق فلا يعمل ويحسن الظن ، فهذا مردود عليه وهو مغرور .

٣١) القلب التقيُّ النقيُّ الذي كُشِفَت الحجب عنه يرى الملائكة حول العرش ويلتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أعلى عِلِّيين . ألم يقل الصحابي الجليل سيدنا حارثة رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فبِتُّ وكأني أنظر إلى عرش ربي)) ؟ وليس بين القلب والروح مُبايَنة ، لكن دائرة القلب أوسع ؛ فالروح الرباني إذا خرج فإنه يدور حيثما شاء الله ؛ أما القلب إذا أطلق فإنه يرى جميع الموجودات ، وربما يراها وهي تذكر الاسم المفرد (الله) .

٣٢) الثَّمر ما دام على الشجر فإنه لا يَغترُّ بلونه وطعمه وريحه ، وكيف يغترُّ وهو ملتصق بأصله ؟ وكذلك العبد إذا كان دائماً ينظر إلى أصله ، فإنه لا يَغْتَرُّ بعلمه ولا بعمله ولا بفضائله ، لأن أصله عدم . وأكثر أهل العلم الذين لم يسلكوا في طريق القوم ينظرون إلى أعلى ويتكبرون ، وأما السالكون فإنهم ينظرون إلى أصلهم وهو العدم ، ويعتقدون أنّ كل شيء مع الله عدم .

٣٣) مِن أخلاق المؤمنين الصالحين الصابرين الأتقياء الصبرُ على سوء خُلق النساء ، وهذا الصبر من أخلاق الرجال الكُمَّل ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضِلَع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبْتَ تُقِيمه كسرتَه ، وإن تركتَه لم يَزَل أعوج ، فاستوصوا بالنساء)) [رواه البخاري] . والمرأة التقية تكون عوناً لزوجها على طاعة الله تعالى .

٣٤) المرشد واسطَتُنا وليس قِبْلَتُنا ، ويجب عليه أن يعرف نفسه أنه واسطة ، وإلا فهو محروم ؛ لكنَّ الذين يتَّبعونه ليسوا محرومين كمحروميته . ويكون بائعاً لدينه بدنياه والعياذ بالله تعالى . ومِثلُ هذا لا يصلح أن يكون مرشداً ولا يُقال عنه إنّه مرشد . فالمرشدون الذين تكلم عنهم القوم هم من كانوا على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحرروا من النفس الأمارة بالسوء .

٣٥) إذا لم ينـــزل العبد عن عرش نفسه الأمّارة بالسوء فإنه لا يتذوق حلاوة الطاعة والعبادة ولو كان يتكلم عنها . وهذا النـــزول لا يكون إلاّ بتخفيف الطبيعة البشرية ، وتقوية القلـــب والروح ؛ وذلك بكثرة ذكر الله تعالى . فالذكر هو سُلَّم الوصول إلى محبّة الله جـــلّ جلالـــــه . كيف ينـــزل عن عرش نفسه ويدخل في حضرة ربه من لم يخرج عن الطبيعة البشرية المخالفة ؟

٣٦) الله تبارك وتعالى عالِمٌ بمَن هو مِنْ أهل الجنة ولو بدون كثرة النوافل ، لأن المعتبَر هـــو سلامة القلب . ومعروفةٌ قصة سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع الصحابي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الآن يدخل عليكم رجل من أهل الجنة)) .

فإذا كان القلب فارغاً من الشهوات ومحبة الكراسي والظهور ، وفارغاً من محبة النساء ، يكون صاحبه من أهل الجنة ولو لم تكـــن نوافله كثيرة .

٣٧) يجب أن نفكر جميعاً بأن أجَلَنَا سينتهي قريباً أو بعيداً ، لأنه ليس هناك سيف قاطع لأمل العبد من الدنيا وحرصه عليها لإخراجه من غفلته مثلَ الموت .

انظر إلى مَن كَفَرَ وذهب من الدنيا إلى نار جهنّم ـــ والعياذ بالله تعالى ـــ ، لماذا لا تَعْتَبِر وأنت مؤمنٌ بأنَّ هناك عذاباً للمخالفين ؟ لماذا لا تُقلِعُ عن المخالفات ؟ وإذا لم تؤمن بوجـــود عـــذاب للمخالفين تخرج من الإيمان .

٣٨) يجب علينا أن نمزج عبادة الله تعالى مع الإيمان حتى يتخمَّر في قلوبنا ، كما يُمزَج الماء مع الدقيق . فإذا حصل هذا المزج لا نُنْقِص شيئاً من العبادة أبداً ، لأن وجدان المــؤمن لا يتحمــل نقصان العبادة ، لأنه يتأذى بذلك . وهو بعدها لا يتفكر في الثواب ولا يخاف من العقــاب ولا يعتمد على عمله .

٣٩) لا يمكن للمؤمن أن يقطع زُنَّار نفسه ويُمزِّق الحجاب بالصلاة والزكاة والحج فقط ، بل لا بدّ له من أن يتطبّع بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فمن تطبّع بأخلاقه صلى الله عليه وسلم ــ بعد المحافظة على الفرائض ــ فإنه يقطع زنّار نفسه ويمزّق ذاك الحجاب بإذن الله تعالى .

٤٠) القضاء والقدر له جهتان :

الأولى : أنه من القاضي ، والثانية : المقضيُّ به .

والمؤمن لا يرضى بالمصائب ولا يطلبها بل يلتجئ إلى الله تعالى أن يحفظه . لكــن إذا جــاءت المصائب فلا شك أنها بقضاء الله ، فالمؤمن يرضى عن القاضي ولا يرضى بالأذى ؛ فالرضا عــن القاضي غير الرضا بالمقضيّ به .

٤١) في قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } [البقرة /١٨٦] نَقَلَهم مــن معرفة الذات إلى معرفة الصفات ، حتى لا يتفكر المؤمن في الذات ، لأن ذلك ممنوع . أما التَّفَكُّر في الصفات فمطلوب . لذلك قال تعالى : { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق /١٦] ، ولم يقل : نحن في حبل الوريد ، حتى يُبْعِد عن الفكر الاتحاد والحلول .

٤٢) إذاصدَّقتَ أن هذا الطريق موصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَكْثِر من الذكر حتى ينـــزلَ في عروقك ويدورَ في دورة الدم وتسمعَ صوت الذكر (الله) من تلك الدورة .

مشكلتُنا أننا لا نذكر الله تعالى إلاّ قليلاً ، بسبب تغلُّب الطبيعة البشرية علينا . اللهم بـيّض وجوهنا يا رب .

٤٣) يظن بعضهم أن الفضـائل والمزايا تكون في كبر العمامة والجبّة ، وهم بذلك يغتـرُّون بقيام الناس لهم وحُسنِ الأدب معهم ، ولم يعلموا أن هذا صدر من المؤمنين بمقتضى إيمانهم وحُسنِ ظنِّهم . فمَن اغترَّ بذلك فهو ساقط من عناية الله عزّ وجل . فالخادم لا يكون سيداً ، ولا ينظر إلى نفسه بعين السيادة حتى لا ينـزل إلى مرتبة الشيطان .

٤٤) لا تقيسوا خادم الطريقة بالأموات من رجال الطريق ؛ فالذين سبقونا من أسـيادنا إلى سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم مقياسهم شرع الله تعالى لا الكرامات وخرق العوائد .

فقيسوا خادم الطريق بمقياس الشرع ، لأن هذا هو الميزان . فكلما كان موافقاً للشريعة نوافقه وإلاّ فلا ، وأما المراتب فهي عند الله تعالى .

٤٥) الميزان للمؤمن السالك ليس قِدَمُه في الطريق ؛ فهذا يقول : أصبح لي خمسون سـنة في الطريق ، والآخر يقول : أصبح لي عشرون سنة في الطريق ؛كل هذا الكلام فارغ ، والمقيـاس ميزان الشريعة لا الزمـن ؛ بل القِدم يكون حجَّة على الإنسان إذا لم يلتزم بالشريعة .

٤٦) الإنسان لا يقع في الغرور إلا لقلّة معرفته بربه وبنفسه ، ولو عرف نفسه لعرف ربــه . لكن هذا لا يكون إلا بالمعرِّف المقيَّد بالكتاب والسنّة . فالإنسان يجب أن يكون أسمى من أن يقع في الغرور ، لأن حجمه صغير وما يترتب عليه كبير . فإن كان موافقاً للشرع فله الرضا والجنّة ، وإن كان مخالفاً فله السخط والنار ، والعياذ بالله تعالى .

٤٧) إذا لم تصل الهدايةُ إلى القلب فلن تتفجر فيه الأنوار المحمديــة ، والأمر متوقّف علــى المجاهدة . فلا بد من العمل بقدر الاستطاعة والاستعداد حتى تصل الهداية إلى القلب ، وإلاّ صار القلب أشد قسوة من الحجارة :{ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّــقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة /٧٤].

٤٨) العفو عن المسيء له حالتان :

الأولى : أن تعفو عنه ولا يرجعَ المسيء إلى إساءته . فهذا عفو محمود .

الثانية : أن تعفو عنه ويرجعَ إلى الإساءة ولا يغيِّر شيئاً . فهذا مثل الشيطان ، والشــيطان لا يخرج عن شيطانيته ، لذلك لا يَقبَل الإحسان ، وهو ملعون عند الله .

والإنسانُ الذي لا يرجع عن إساءته أخلاقه مذمومة .

٤٩) ما بقيَت الدنيا لأحد من الخلق صالحاً كان أم طالحاً ، فسيدنا سليمان عليــه الصــلاة السلام آتاه الله ملكاً ما كان لأحد من بعده ، لكنه لم يَدُمْ له ، وأعطى الله قارون من الكنــوز { مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ } [القصص /٧٦] ، وبعد ذلك خَسَفَ به وبــداره الأرض ؛ فكيف يغتر الواحد منا بهذه الدنيا الفانية ؟

تعلقوا بالباقي ولا تتعلقوا بالفاني .

٥٠) جميع قوى الإنسان تضعف في الكِبَرِ والشيخوخة إلاّ الحرص ، وقلّما يوجدُ في الناس من تستوي عنده الدنيا وجوداً وعدماً . فأكثرهم يفرح لوجودها ويحزن لفقدها ، وهذا خلاف ما يريده الله تعالى . والحرص على الدنيا لا يزيد في رزق الإنسان ، كما أن الزهد فيها لا يُنقص من رزقه شيئاً .

٥١) إذا كان الشيخ موافقاً للكتاب والسنّة فالله تعالى يُعينُه ويتولاه ، وبعينُ ويتولّى مريدَه الصادق المعتقِد ، لأن الله تعالى يقول : { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } [الأعراف /١٩٦] . وتولي الله ليس كتولي الشيخ ، واللهِ ليس بيدنا شيء إلا التوجيه إلى الله تعالى وإلى الكتاب والسنّة .

٥٢) الروح جاءت من جوار الله تعالى ، والجسدُ مَرْكَبُها ، وهي تعيش بمعية البدن ؛ فإذا كانت الروح الربانية حاكمة على الجسم فإنها تجعله يعيش كما أراد الله منه . ومَن حافظ على روحه ولم يلوّثها بالمخالفات والمعاصي كانت روحه طاهرة . وأفضل الأرواح على الإطلاق روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأقرب فالأقرب .

٥٣) اشتغال الناس على أصناف : فبعضهم مشغول بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم مشغول بعيوب نفسه ليتخلّص منها ويبقى في عبوديته لله عزّ وجل ، وبعضهم مشغول بعيوب الآخرين ؛ فانظر إلى نفسك من أيّ الأصناف أنت ، وطوبى لعبد شُغِلَ بعيبه عن عيوب الآخرين .

٥٤) ثمرةُ المجاهدةِ الهدايةُ إلى سبيل المعرفة ، لقول الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] ، فهل هذه الهداية رخيصة ؟ لا بدَّ من البذل والمجاهدة . فإذا أراد الواحد منّا أن يأكل ويُطعم زوجه وأولاده فإنه يجاهد حتى يحصل على ما يريد . أما سبل المعرفة فنريدها هكذا بدون تعب .

٥٥) العاقبة المحمودة المثمرة يعطيها الله تعالى بفضله وكرمه لمن آمن به وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، واتَّبَع بقدر الطاقة البشرية ، وإذا حصل منه مخالفة يتوب ويرجع ، لأن الله تعالى يقول : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ } [الشورى /٢٥] . التقصير أمر طبيعي ، لكن الغريب أن يبرر الإنسان تقصيره .

٥٦) لو صَبَر الإنسان فإنَّ كلَّ حال يزول ، ومن المحال دوام الحال . وإذا أراد الله تعالى لأمرٍ أن يدوم لا أحدَ يمنعه ؛ فعلى البشر أن يصبروا ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران /٢٠٠] .

٥٧) حبّ الدنيا إذا غلب على القلب فإن صاحبه يخاف من الموت ، وهذا أخطر شيء على المؤمن ؛ أما إذا غلب حبّ الله تعالى وحبّ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحبّ لقاء الله و لقاء رسوله صلى الله عليه وسلم ، فصاحب هذا القلب لا يخاف من الموت أبداً مع وجود تقصيراته كافّة .

٥٨) الاسم المبارك (الله) آلةٌ نورانية ، وهو موجود في قلب المؤمن ؛ فلا يُطبَع الاسم على القلب بل يَظهر حين يُضرَب به على القلب أثناء الذّكر ، وظهور الاسم في القلب مثل الكشف ، فعلى الإنسان أن لا يتعلق بالكشف بل يتعلق بالمذكور سبحانه .

إذا وصل الذاكر بذكره إلى مرتبة الإحسان لا يحتاج إلى ضرب لفظ الجلالة على القلب ، لأن الغاية من ضرب الاسم على القلب هي خروجه عن الغفلة ، ومن دخل مقام الإحسان خرج عن غفلته .

٥٩) واللهِ وأنا بعمري هذا لا أعتمد على نفسي ولا آمَنُ أن أبقى مع امرأة في مكان خالٍ حتى أتكلم معها ، فكيف يعتمدُ بعضهم على أنفسهم ويقولون انتقلت نفسي من الأمارة إلى اللوامة ؟ واللهِ إنهم لا يعرفون أنها تبقى أمارة .

٦٠) إذا حصل خلاف بين الزوجين وانزعج الزوج وكان الحق له ، عليه أن لا يعطي الزوجة المجال للخصومة ، بل يذهب ويتركها على حالها . فبذلك تشعر أنها أخطأت ، فتأخذ من ذلك الحال شيئاً من الأدب . وعارٌ عليه أن يقول لها : أطلّقك .

٦١) لا تعطوا المجال لأحد أن ينقد على الطريقة ، وهذا لا يكون إلاّ بالتمسك بالكتاب والسنّة .وكذلك لا تتركوا الأدب مع غير المتأدبين حتى لا يُسيؤوا إلى الطريقة ، ألم يقل الله تعالى: { وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ } [الأنعام /١٠٨] ؟

٦٢) الأدب مع الله تعالى يكون بالخروج عن معصية الله والموافقة لأوامره ، هذا هو ميزان الأدب . فكلُّ من كان موافقاً كان أديباً وإلا فلا ، ومن كان قريباً ولم يكن موافقاً فالقرب لا ينفعه : ((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) [أخرجه مسلم عن أبي هريرة] .

٦٣) ما دام أصلُك عدماً فكل ما يترتب على هذا الأصل عدم ، وما صدر عنك ليس أفضل من أصلك ، ولهذا أَخرِج نفسك من البين ، أي من بينك وبين ربك .

٦٤) لولا الحمقى لخربت الدنيا . وليس الأحمقُ هو قليلَ العقل ، إنما هو الحريص على الدنيا ؛ لأنه بهذا الحرص يُغَلِّب جنودَ النفس على جنود القلب ، وبذلك يكون أحمق .

٦٥) يُطلب من العبد الاستقامة ، ولا يُطلب منه الكرامة وخوارق العادة ، ونُسأل يوم القيامة عن الالتزام بالشريعة .

٦٦) القرآن الكريم يرفع أناساً ويضع آخرين ، فالذي يعمل به يرفعه الله ، والذي لا يعمل به يهلكه الله تعالى .

٦٧) مَنْ وَجَّه المسلمين ونفسه إلى الله تعالى فهو من أحسن المؤمنين . أما مَنْ وَجَّه الناس إلى نفسه فهو ضالٌّ مُضِلٌّ هالِك إن قال : أنا أوصلكم إلى الله تعالى ــ نعوذ بالله تعالى ــ .

٦٨) إقامة الصلاة بالخشوع لا يوازيها عمل آخر ، والخشوع مهم في الإسلام - بعد الإيمان - ، وهو ناتج عن ثمرة معرفة الله تعالى .

٦٩) مَن ثَبَتَ عنده الصدق فإنه لا يخون نفسه ولا غيره ولا يخون الله تعالى ولا رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . والصادق يكون من المتوكلين على الله تعالى ولا يلتفت إلى من يمدحه أو يذمه .

٧٠) رؤية الجنائز والدفن غيرُ تذكُّرِ الموت ، لأن تلك الرؤية مقيدةٌ بالبصر ، أما التذكر فمحلُّه القلب . ولذا ترانا ندفن الموتى ولا نعتبر ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((أكثروا ذكر هاذم اللذّات الموت)) [أخرجه الترمذي و النسائي عن أبي هريرة] ، يعني قاطع اللذات .

٧١) الأمور الدنيوية لا تحصل إلاّ بالكدِّ والمشقّة ، وكذلك الأمور المعنوية المتعلقة برضـــا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تحصل إلا بالمجـــاهدة ، وهذه لا تكون إلاّ بالصدق بعـــد الإيمان .

٧٢) إذا دُفِنَ في قلب الإنسان شيءٌ فلا بدَّ أن يَظهر ، إنْ خيراً فخير وإن شراً فشر ؛ لابد أن يظهر ولو بعد فترة وإن أخفاه صاحبه .

٧٣) طلب العلم يجب أن يكون لوجه الله تعالى لا من أجل طلب الشهادات ، والرزقُ على الله تعالى لا على الشهادات .

٧٤) مَن آمن بالله تعالى ربّاً وإلهاً وآمن بصفاته فإنه لا يكذب ولا يخالف ولا يعصـــي الله إلاّ بالطبيعة البشرية ، و إذا خالف فإنه يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله تعالى .

٧٥) المؤمن الصادق هو الذي يلوم نفسه الأمارة بالسوء ، ومن كان هذا وصفه فإنه لا يعتَمِدُ عليها بل يُخالفها دائماً .

٧٦) مَن تأدّب بآداب القرآن الكريم فإن شيخه يحبّه ، ورسول الله صلى الله عليـــه وســـلم يحبّه ، والله تعالى يحبّه ، ألا يكفي هذا ؟

٧٧) الذي يَخرب أذواق الطاعة وحلاوة الإيمان على المؤمن الأخـــلاقُ الذميمـــة الخبيثـــة المخالفة ، مِن حقد وحسد وتكبر في نفسه ، وهذا داء عظيم . لذلك يجب على الإنسان أن يرجع إلى نفسه حتى يعرف قدرها ، ومن عرف قدر نفسه عرف قدر ربه .

٧٨) ليس هناك مرتبة أعلى من مرتبة الإحسان ، وهذه لا تنال إلاّ بالمجاهدة . ومقامُ الشهود أفضلُ من جميع المقامات ، لأن صاحبه في حالة صحوٍ ؛ يأخذ بيدٍ الكتاب وبالأخرى السنّة ويمشي بطريق الشريعة ومقتضى الإيمان .

٧٩) الحدّة والعصبية إذا لم توجد في الإنسان يكون ناقصاً ، لأنه بهما يدافع عن دينه وعرضه وماله ، ولكن بشرط أن لا يكون عقله مغلوباً لهما ، وإلا يكون ملعبَةً للشيطان ويَخرج عن حدِّه ، فيتلفظ بألفاظ الكفر أو الطلاق والعياذ بالله تعالى .

٨٠) إذا صدرت التوبة من العبد وكان صادقاً فإنها تمحو الذنوب ، فإذا وقع في الذنب مرة ثانية عليه أن يتوب ثانية . وبالتوبة لا يصبح معصوماً بل يلوم نفسه كلّما وقع في المعصية . فعلى المؤمن أن لا يقنط من رحمة الله تعالى .

٨١) الإنسان بموافقته للكتاب والسنّة يترقى فوق الملائكة ، لأنهم لا يَترقَّون ، فهم معصومون لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا يجاهدون أمّا الإنسان فبمجاهدته لنفسه يترقى .

٨٢) الزوجة أمانة سلَّمها الله للزوج ، فكما يحب المؤمن الاستقامة لنفسه يجب عليه أن يحبَّهـا لزوجته ، لأن عليه المحافظة على دينها ودنياهـا .

٨٣) أيها المؤمن لا تغترّ بإمهال الله لك مع بقائك على معصية الله تعالى ، فإنَّ أخْذَه شديد .

٨٤) صاحب المعاصي لو راقب الله تعالى وسَجَنَ نفسه تحت مراقبة الله فإن معاصيه تـذهب بالكلِّيَّة . لكنَّ البعض يستحيي من الخلق ولا يستحيي من الله تعالى .

٨٥) ما رأيتُ شيئاً أنفع لعزّة المؤمن مثل التعفف ، فلا يَسْأَلُ في حال الفقر ولا يردُّ ما جاءه : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } [هود /٦] .

٨٦) الإيمان في أصله وَهْبِيٌّ وليس كسبياً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ((كل مولود يولــد على الفطرة)) [أخرجه الشيخان عن أبي هريرة] ، ثم يُمْهَلُ الإنسان خمس عشرة سنة ، فــإذا اشتغل بعدها بالمجاهدة يَفتح الله عليه ، وإلاّ فلا .

٨٧) الصادق لا يقول عن نفسه إنّه صادق ، بل يتَّقي صدقه .

٨٨) إذا كنت تستحيي من الله تعالى لا يصدرُ عنك كذب .

٨٩) معاني القرآن الكريم التي تأتي إلى القلب أحلى وأكثر مما يُنقل من التفاسير .

٩٠) بالصدق يطَّلع الإنسان على عيوب نفسه فيتخلص منها .

٩١) س : كيف ينتفع المريد من نظر شيخه ؟

ج : النظر يجلِبُ سرَّ ما في المرشد إلى المريد . فالله تعالى يعطي الأستاذ قابلية انتقال الفيوضات من سرِّ الربوبية من ذاته إلى ذات المريد . لكن لا بدّ من الأخذِ بالتوجيهات والتمسكِ بالكتاب والسنِّة والأخذِ بأسباب المحبة ، وهي كثيرة لا تُعَدُّ ؛ منها ترجيح أمره والائتمار به ، وأن لا يكون لــه اختيار مع شيخه ــ ما دام الشيخ ملتزماً بالكتاب والسنّة في ظاهره وباطنه ــ .

٩٢) س : كيف يكون الدخول على الله تعالى ؟

ج : الدخول على الله تعالى بالله تعالى ، ولكن لا بد من الواسطة لأنها سبب ، ومن دخل على الله بالواسطة فإنه لا يغترُّ بنفسه ، أما إذا دخل بنفسه فلا يُؤْمَنُ عليه ، لأنه قد يقع في العُجب والغرور .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤٢٠ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) تقولون (لا إله إلا الله) وكأنكم تقولون أيّة كلمة عادية . عندما تقول (لا إله إلا الله) لو تتفكر بعظمة الله وأنه ينظر إليك يُمحَى وجودُك وتَرى نفسك أمامه عدماً .

عظمةُ الله تعالى صارت أمراً عادياً عند كثير من الناس ، لكن إذا ثبتَت هذه العظمة في القلب وتفكّر الإنسان في مصنوعات الله التي هي مرآة لتجلي صفات الله ـــ والإنسانُ فَردٌ مـــن هـــذه المصنوعات ـــ حينذاك يرى أن أصلَه من نطفة ومن العدم ، فيُمحى وجودُه أمام هذه العظمـــة . عظمةُ الله تحيط بالكونين ؛ السماوي والأرضي ، كما يحيط النفَق بالإنسان إذا دخل فيه . مخالفةُ هذه العظمة شيء عظيم ، يعني : ذنبُ الإنسان وعصيانُه وجنايتُه باتجاه هذه العظمة الإلهية ليس لـــه نهاية .

فلو تفكر الإنسان في عظمة الله ومصنوعاته يترقّى ويَقْوى إيمانه ولا تستطيع نفســـه أن ترفـــع رأسها . لكن الإنسان يتمسك بالفاني ويترك الباقي إلى أن يموت ، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه : ((النّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . . .)) .

ليس هناك أفضل من الإنسان ؛ فقد خُلِق في أحسن تقويم ، وهُيِّئت لـــه صـــفاتٌ كـــالعلم والإرادة والقدرة والذاكرة ، وهُيِّئت لـــه المرافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضا الله : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَـــثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } [الإسراء /٧٠] . مع هذا يَصدر عن الإنسان فعلٌ قَذِر ؛ فليس هنـــاك

أخسّ من الإنسان :{ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً } [الفرقان /٤٤] ، { أَوَلَمْ يَـرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ } [يس /٧٧] . كلٌّ واحد خصومته علـى حسبه : فالكافر خصومته الكفر ، والمؤمن خصومته العصيان وتعدّي حدود الله ، مـثلاً : آيـةُ الحجاب نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فمَن جحد بها كفر ، ومَن ترك عصـى ، ومَن اتَّبع أطاع .

مصيبةُ المؤمن في هذا العصر النساءُ . يَخرجْنَ سافرات إلى الشباب المجنون بـالهوى . كيـف تمتزج المحافظة على حدود الله مع هوى النفس ؟ لا تمتزج . فعلينا أن نقف عنـد حـدود الله : { وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } [النور /٣٣] .

٢) النّفْسُ قد تختار شيئاً لا يوافقه اختيارُ الشخص بمقتضى إيمانـه . مقتضى الإيمـان أن لا ينظر إلى النفس بل يبقى مع إيمانه ينظر إلى الكتاب والسنّة .

مثلاً : بعض الناس يُبغضون أهل الكفر ، لكنَّ الله يحب لهم الإيمـان ؛ فإنْ لم يؤمنوا وداموا على الكفر مدّة حياتهم فعذابُهم في جهنّم دائم مدة بقائهم فيها . فنحن لا نبغض ذوات الكافرين بل نبغض كفرَهم ، لأن مراد الله منهم ما هم عليه من الكفر ، لكنَّه يَطلُب منهم الإيمان ؛ وبهذا الطلب نحن نحب أن يدخلوا في الإيمان ، مع أن دخول جميع الكافرين في الإيمان مُحال ، لِما ثَبَتَ لهم في علم الله تعالى : { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِـنَ الْجِنَّـةِ وَالنَّـاسِ أَجْمَعِـينَ } [هود /١١٩] . فالذي يحب للكافر أن يدخل في الإيمان ولا يبغض ذاتَه كيف يمكن لـه أن يبغض المؤمن ؟ لكنه يُبغض أفعال المؤمن إذا كانت مخالفة لإيمانه .

٣) بعض المخالَفات التي تصدر من الإنسان قد تكون من عدم الصدق مع الله أو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مع عباد الله ، أو من قلّة العقل . فإذا كانت من عدم الصدق علينـــا أن نُطهِّر ونُنـــزِّه ونُقدِّس أسرارنا وقلوبنا ، ونتوبَ ونرجع إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار والعزم على أن لا نعود لمثل ذلك . وإذا كان من قلة العقل فلا بدَّ لنـــا من الاستشارة ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام : ((ما خاب مَن استخار ولا ندم مَن استشار)) [أخرجه الطبراني] ، وقول الله تعالى : { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } [الشورى /٣٨] . وإذا شَكَكنا في سبب مخالفة صدرت مـــن شخص ما ، نترك الأمر لصاحبها بينه وبين الله ، حتى لا نقع بسوء الظن .

قال الله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فصّلت /٣٩] . صاحبُ المخالَفات عليه أن يكون مثل هذه الأرض التي انقطعت عنها رحمة الله تعالى من الأمطار ، فتذَلَّلَت وخشَـــعَتْ ، فكان ذلك سبباً لنـــزول الرحمة عليها . وكذلك الإنسان إذا حصل منه النقصانُ وعدمُ الاهتمام بالعبادة والغفلةُ عن الله والاهتمامُ بالدّنيا عليه أن يتذلَّل ويتضرَّع إلى الله ويستغفرَهُ ويرجعَ إليـــه سبحانه وتعالى ، ويفتح قلبه لتتنـــزَّل عليه رحمة الله جلَّ و علا .

فالكافر إذا فتح قلبه لرحمة الله جلَّ جلاله يَرجع إلى الإيمان ، والمؤمن الفاسق إذا فتح قلبه لرحمة الله جلَّ جلاله يَخرج من الفسق إلى الطاعة ، وأولياءُ الله المتقون إذا حصلت معهم الغفلةُ عن الله والتقصيرُ بسبب الطبيعة البشرية ففتحوا قلوبهم لرحمة الله جلَّ جلاله تُنَوَّر قلوبهم بهذه الرحمة .

٤) بعض العلماء يكون موافقاً لعلمه متديِّناً ، لكنّه من الناحية الباطنية (فاضـــي) فـــارغ ، وبعضهم باطنُه أقوى وعلمُه أقلّ . ليس لنا أن نَنقد على هذا ولا ذاك ، لكن على المؤمن إذا كان عنده علم أن يحرك الجانب الآخر ــ أي الباطن ــ حتى لا يدخل تحت مَن ذُمُّوا بـــأنهم علمـــاء السوء .

وعلماء السوء قسمان : قسمٌ ينتمون للطريق ومع هذا فهم فارغون ، وقسمٌ لا يميلون إلى الطريق ولا ينتمون إليه بل ينقدون عليه .

والعِلم علمان : علمٌ ظاهري وعلمٌ باطني .

العلمُ الباطني : هو الحقيقة وهو المنفعَل به وهو المستفاد به .

والعلم الظاهري : هو آلة الجوارح ، ولا مدخل لـــه في القلب .

إذا كان القلب صحيحاً يظهر أثرُه على الجوارح ؛ فالظاهر يُنـــزَّه ويطهَّر بالبـــاطن ، لكـــن الباطن لا يُنـــزَّه ولا يطهَّر بالظـــاهر ؛ يعني : باطنٌ بدون ظاهرٍ لا يوجد ، لكنْ يوجد ظـــــاهرٌ بدون باطنٍ ، مثل صلاة المنافقين .

٥) بدون إذن الله لا يدخل الإيمان إلى قلب أحد : { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ } [يونس /١٠٠] ، فإذا حصل الطلب من العبد يأتي الإذن من الله ، وإذا لم يحصل الطلب لكنْ أرادَ اللهُ يأتي الإذن بدون طلب . فليس بيد العبد شيء ، والأمرُ كله بيد الله ، لكن : ((كـــلٌّ ميسَّر لما خُلق له)) [أخرجه البخاري و مسلم عن علي] .

س : إذا كان كلّ شيء بيد الله تعالى فأين دور الجزء الاختياري ؟

ج : الدّاعي من الله ، وتحريكُ الداعي كذلك من الله . فإذا حُرِّك الدّاعي ينـــزِلُ الأمـــر إلى الإرادة ، وهذا مكان التكليف ، فإمّا أن يستعمله الإنسان بالطاعة فيكون من المفلحين ، وإمّا أن يستعمله في المعصية فيكون من المفسدين : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَـــاكِرًا وَإِمَّـــا كَفُـــورًا } [الإنسان/٣] . فالاختيار لم يُسلب من العبد ، لكنّ الجزء الاختياري ضعيف ليس لـــه وزن إلا باتجاه أحكام الشريعة .

حقيقةً ليس بيد العبد شيء إلا العبودية . وعملُ العبد لسيده الطاعةُ : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِـــنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات /٥٦] .

٦) قال الله تعالى : { إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } [العنكبوت/٤٥] ، لكن أيَّة صلاة تلك التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟ التي معها خشـــوع : { وَلَـــذِكْرُ اللَّـــهِ أَكْبَـــرُ } [العنكبوت /٤٥] ، أي : ذكر الله لعباده أكبر من ذكرهم لـــه . وقال بعض المفسرين : ذكر الله أكبر من العبادة . فإذا غَلب ذكرُ الله على قلب المؤمن المتّقي وهو يعتقد أن الله يراه ودخل في الصلاة تكون هناك مناجاته .

فالذكـــر آلةٌ لتصحيح قلب المؤمن في جميع العبادات والمعاملات والسَّكَنات والحركات . لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)) [أخرجه الشيخان] . لِمَ ؟ لأنّه باستيلاء اســـم

الله على القلب وتنويره يَصلُحُ الكلُّ ، لأن القلب حاكم في الجسد ، فإذا صلح صلح الكل و إذا فسد فسد الكل .

٧) الإنسان يُضيف كلَّ الفضائل الإلهية الواصلة إليه لنفسه إذا لم يمنعه إيمانه ؛ عندئذ يتملَّك تلك الفضائل ويغترُّ بنفسه ويغترُّ بنعم الله ويتجاوز حدود الله في التصرف بتلك النعم ، بالعطاء والأخذ وعدم مراعاة الدين فيها ، وينغمس في الدنيا ، ويغفل عن المنعم . لكنه إذا نسب تلك النعم إلى الله ولم يغترَّ بها وتفَكَّر بأنه حادث وأنَّ ما يتعلق به حادث ، حينئذ يشكر الله عليها ويفرح بفضل الله :{ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا } [يونس /٥٨] . والفرحُ بنعمة الله من جملة الشكر : { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } [الضحى /١١] ، بشرط أن لا تدخل حصّة النفس باتجاه هذا الشكر . والتوفيقُ لاستعمال النعمة فيما خُلِقَتْ له ، هذا أيضاً نعمة .

٨) الأحكام كلُّها مرتبطٌ بعضها ببعض ، ولذا قال ربنا جلَّ وعلا : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }[البقرة /٢٠٨] . فلا بدّ أن نسمع من ربنا ، وإذا انحرفنا علينا أن نعتذر منه .

كلُّ الأمور لو دقّقنا فيها نجد أنّ لها صلة بالإيمان ، وهذا الإيمان مرجِعُهُ إلى الله جلَّ وعلا . لكنَّ الشيطان ـــ لعنه الله ـــ يأتي إلى النفس بأمور مخالفة ، فإذا لم يميِّز الشخصُ بين الفضائل والقبائح يختلط عليه الأمر ، فبحسب غروره يرى لها فتوى . الشيطان يعطيه تلك الفتوى ، لكن إيمانه لا يرضى بها ؛ فإذا خالف الفتوى الشيطانية يكون قد عمل بمقتضى إيمانه . مثال ذلك : مَنْ يجعلُ خدمته الدينية للمؤمنين آلةً لكسب الرزق ويجدُ لذلك فتوى . والذي يعطيه يظن به التقوى وأنه سيضعها في مكانها . إن أُعطي بدون طلب منه فلا مانع ، أما إن حصل في ضمنه الطلب فهذا محظور .

إذا ظنَّ غيرُك بك التقوى عليك أن تتقيَ من تقواك ، فأنت أعرف منه بنفسك ، فـلا تـبرِّر لنفسك فتقع في الرياء . شهادة الآخرين لك بالتقوى ليست مهمة ، لكن المهم هو أن يُقِرَّ الله لك بالتقوى : { فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم /٣٢] .

علاجُ هذا كله التمسكُ بالشريعة ، مِنْ تَرْكِ الحرام وفعلِ الحلال وذكرِ الله على الدوام . واللهِ هذا طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩) على الإنسان أن يكون في صبره وتسليمه ورضاه مثلَ الحجـر ، يدوس عليـه النـاس والحيوانات وهو صابر ، لأن هذا مكانَهُ الذي وضعه الله به . وليس لنوع من الأحجار فضلٌ على نوع آخر ، ولو كان أكثر منه قوة وصلابة ، لأنَّ الفضل لِمَن خلقه . فكل شيء لـه فضل وله وظيفة ، والفضل الحقيقي يرجع إلى الخالق سبحانه . فالأظافر مثلاً لها وظائف ، منـها : حـكُّ الجسد ، وهذه الوظيفة لا يقوم بها عضو غيرها ، ومع ذلك فإنها إذا طالت تخـدش وتُـزعج في الأكل ، لذلك من السنّة قَصُّها . وإذا استرسلنا مع ما أنعم الله به علينا نَخْرُجُ من كل ما عندنا وننسبه إلى الله .

١٠) وظيفة الإنسان أكبر من وظيفة السماوات والأرض والجبـال : { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَـةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَـا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَـانَ ظَلُومًا جَهُولاً } [الأحزاب /٧٢] . واللهِ لا أحدَ يذهبُ عنه جهلُه وظلمه إلى أن يموت ، ولكنَّ الله يعفو .

هذا وصف الإنسان : جهولٌ ظلومٌ لنفسه ولغيره ، لكن رحمة الله أكثر .

لو تنظر بعين القرآن تجد أن الإنسان لا يخلو من شائبة من هذه الأوصاف (الجهل و الظلـــم) إما قليلة أو كثيرة . البعض يُقِرّون بذلك والبعض لا يُقِرُّون ، وإذا أَقَرّوا يكون ريـــاءً . ظـــاهراً تواضع وضمنه رياء . لو نظرت إلى سيرة الإنسان يُرى ذلك ، لأن هذا قانون إلهي . هل يمكـــن لأحد أن يغيِّره ؟ لا .

هذه الأوصاف لا تذهب ولا تُخَفَّف إلا بالمجاهدة . لذا قال ربنا : { وَالَّذِينَ جَاهَـــدُوا فِينَـــا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] . وإذا جاهد العبد نفسه فالله يعلم بطلبه ويعلـــم ســـبب مجاهدته ، هل هي لعُجْب أو لهوى أو ليكثر الأشخاص حولَه وهم يقولون شيخي شيخي ، أم هذه المجاهدة خالصة لوجه الله .

١١) المحبة مقدَّمة على العشق ، لأن المحبة ذَكَرَها الله في القرآن الكريم في آيات كثيرة ،منها : { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [البقرة / ١٦٥] ، أما العشق فلـــم يـــذكره. ولـــذا درجـــة المحبة عالية ، ليس فيها جذب ، أما العشق فيمكن أن يكون فيه جذب .

من تحقق بمحبة الله يحصل في قلبه الاشتياق للوصول (أي طلب الوصول) ، ويطلب الحضور وأحياناً يطلب الموت .

هذا بالنسبة للعبد ؛ أما بالنسبة لله تعالى فقد وُصِفَ بمحبته لعبـــاده : { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـــهُ } [المائدة ٥٤] ، { يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة /٢٢٢] ،وما وُصِف بالاشتياق . فالمحبة صفة الله ، أما الاشتياق فهو من الصفات البشرية للعبد . فالمحبة أوسع وأشمل ، وفي ضمنها الاشتياق . فلو كان ـــ مثلاً ـــ وزن المحبة مائة غرام لكان الشوق فيها غراماً واحداً .

مرتبة المحبة أعلى من جميع المراتب إلا العبدية ؛ والعبديَّةُ تحصل بالمحبة ، لأن مَن يحب الله لا يعبد إلا محبوبه ، ويضع المحبة في موضعها . أمّا مَن يحب الدنيا فهو مع إيمانه يضع محبته في غير موضعها .

فأيُّ فرق أكبر من الفرق بين محب الله ومحب الدنيا ؟ لكن من أحب شيئاً لله فمحبته تصل إلى الله .

١٢) الناس عبيد لما جهلوا ، لا يعرفون . لذا يقولون : الشيخ قال هكذا أو فعل هكذا . هذا ليس مَمْسكاً ، بل المَمْسَكُ هو الشريعة المحمدية .

كما أن الإيمان يجدَّد كذلك الطريق يجدَّد من الغشوش الصغيرة التي تدخل فيه ؛ فكلما كـــان الطريق مصفّى من المخالفات يدوم أكثر . فإذا دخل فيه شيء من المخالفات و أهمَلَهـــا شـــيخُ الطريقة فإنه يخرب ويقصر من عمر الطريق . لذا ! على المأذونين أن لا يخالفوا الكتاب والسنة في حق الطريق ولا في حق أنفسهم ، حتى لا يدخل مرض في الطريق من جانبهم ، ويدوم حتى يذهب بجسد الطريق .

ليس بيد الإنسان إلا القول والوعظ والنصيحة لهم ، والذي يخرب فهو يخرب على نفســـه ، والطريقُ مستمر . لا يُقال هذا أمر صغير لا يضُـــرُّ ، لأن مرض السرطان يبدأ صغيراً ثم يكـــبر وينتشر في الجسد .

١٣) مَن عرف ربه لم يَفُتْهُ شيء ، ومَن لم يعرف ربَّه فاته كلُّ شيء . انظر إلى أصـــلك وإلى أجهزة جسمك التي أعطاك الله إياها : العقل .. التفكير .. الحافظة .. أصلُك نطفة . مـــن أيـــن جاءت النطفة ؟

الإنسان يأكل كلَّ شيء : تفاح ، خبز ، بندورة . . . فينتج عن ذلك شيء واحد هو النطفة . ومن هذا الشيء الواحد يُخلَق كلَّ شيء في الإنسان . ثم هذه النطفة إمّا أن تسجد لله وتقـــول : (لا إله إلا الله) وتطيع الله وتحفظ حدود الله وتجتنب نواهيه ، فيقال لها اذهبي إلى الجنة ، وإمّا أن تخالف الخالق فتكون ليس كالحيوان بل أضل سبيلاً : { إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً } [الفرقان /٤٤] . والله تعالى قال : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ } [المؤمنون / ١٢-١٣] ، ليري الإنسانُ أصلَه واستقذاره وأنه خَرَجَ من مجرى البول ودَخَلَ في مجرى البول ثانيةً . الذي يفتخر مع هذا فلقلّة إيمانه وقلَّة عقله . وقال الله تعالى أيضاً : { ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِـــكَ لَمَيِّتُـــونَ (١٥) ثُـــمَّ إِنَّكُـــمْ يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ تُبْعَثُـــونَ } [المؤمنون/١٥ـــ ١٦] ،فعلينا أن نتفكر في هذا :((تفَكـــُّر ساعة خير من عبادة ستين سنة)) [أخرجه ابن حبّان] . فالقرآن الكريم يُعَلِّمنا مبدأنا و منتهانا ؛ وما بينهما شيء مدتـــه قصـــيرة أو طويلة ، على كلٍّ هو فانٍ ، ثم نُسأل عمّا فعلنا في هذه المدة الفانية . تفَكَّرْ بأنَّ ربك خلقـــك ثم ربَّاك بواسطة والديك ، وأهملك خمس عشرة سنة ما كتب عليك فيها ذنباً أصلاً ، ثم أعطاك عقلاً لتفكر في وجودك وأصلك ثم تُفَكِّرَ في خالقك . مَنْ يقدر على هذا غيره ؟

١٤) لا يمكن لأحد أن يصل إلى الله تعالى بدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالواسطة لا تُتْرَك لكنها ليست مقصودة بالذات .

مثلاً : لو أعطى رجل لآخر شيئاً من المال عليه أن يرى أن الله هو الذي أرسل إليه ذلك المال فيشكر الله . كذلك ورَّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلِّغون أقــوال وأفعــال وأخــلاق الواسطة العظمى ــ رسول الله ــ إلى الآخرين : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَــتْ لِلنَّــاسِ تَــأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } [آل عمران /١١٠] .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كالشمس يتلألأ في السماء ويُنَوِّر الكلَّ ، وليس هناك شمــس أخرى . ولذلك قال : ((أصحابي كالنجوم فبأيّهم اقتديتم اهتديتم)) [أخرجــه البيهقــي] ، فالنّجوم كلٌّ نورها مقتبَس من الشمس . هذا من فائدة الاتباع .

١٥) لكلّ واحد من الأولياء مشرب ومسلك خاص بــه . فخصوصية الإمام الغزالي رحمه الله تهذيب الأخلاق مع الرياضات .

الطريق إلى الله جلّ جلاله لا تنحصر في أشخاص ولا في أساليب ، لكن أسلوب الإمام الغزالي ما وجدت مثله عند غيره . فمَن قرأ كتبه بِتفكُّر جيّد وانتباه جيّد يرى كأنّه ــ رحمه الله ــ يتكلّم من قلبه وحاله الباطني .

مَن التزم سير وسلوك الإمام الغزالي تكون الفيوضات والــواردات عنــده قليلــة ، لكــن الكشوفات كثيرة . وهذا يحصل من التهذيب الذي يزيل الحجب عن القلب فيصبح كالمرآة . أمّا غير الإمام الغزالي من الأولياء أمثال الإمام الربّاني والأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي والشيخ عبد القادر الجيلاني ــ رضي الله عنهم ــ ففيوضاتهم أكثر من الكشوفات .

الفيوضات والواردات والعلوم : للشاذليـــة - رضي الله تعالى عنهم ـــ ، لأنهم يركّزون على كثرة الذكر ، الذي هو باب الفتح .

ومن خصوصيات الشيخ عبد القادر الجيلاني ـــ رضي الله عنه ـــ: كأنه يمشي مع الإنســـان ؛ فإذا استمدَّ به يكون عنده .

أما خصوصية أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه : فكأنه حاكم على جميع الأولياء الذين جاؤوا بعده ، فإذا كان موجوداً لا يكون لغيره وجود ، فهو مسيطر .

١٦) قيمة المرء بحسب دينه وإيمانه واعتقاده وأدبه مع خالقه ، وليســـت بحســـب مرتبتـــه الدنيوية : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات /١٣] . فكما أن الإنسان يهتمّ بظاهره من الأمور العادية كالشهادة والمقام والوظيفة ، عليه أن يهتمّ بباطنه من الصدق والإخلاص وعدم الغرور ؛ فإنَّ الله تعالى كما نهى عن المعاصي الظاهرة نهى عن المعاصي الباطنة ، لأنّ الباطن أيضاً مُعْتَمَدٌ عند الله :{ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ } [الأنعام /١٢٠] ، لكن أكثر النـــاس يغتـــرّون بالظّاهر وينـــزِّهونه ويجمِّلونه ولا يهتمّون بباطنهم بهذا القدر . فمثلاً : مَن قرأ القرآن بتدبّر تنتقل إليه الأوصاف الحميدة بشرط الإخلاص والاعتقاد وتهذيب النفس ، لأنّه بهذه القـــراءة ترتفـــع الأنوار الإلهية من القرآن إلى القارئ .

١٧) الحق مُرٌ على المخاطَب ، لكنّه إذا كان يفرِّق بين حصّة الشيطان وفضائل الرحمن فإنـــه يسلِّم له ولو كان مرّاً ، لأنه مرٌّ على نفســـه .

أمّا بالنسبة للمخاطِب فالوعظ بالآيات الكريمة أفضل من جميع المــواعظ ، وأحيانــاً يمكــن الاستشهاد بالأحاديث الموافقة للوعظ القرآني : { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق /٤٥] ، لأنّ الوعظَ القرآني ســماوي . لذا ! الرّوح المؤمنة تستفيد منه : { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ } [القمر /٥] .

١٨) بعض الأولاد ينــزعجون من نصيحة الوالدين ، فقلتُ لأحــدهم : مَــن خلقــك ؟ قال : الله . قلتُ : فإذا جاءك منه ما تَكره هل لك أن تنــزعج أو تُبغض الله ؟ قال : لا. قلتُ : كذلك عليك أن لا تُبغض والديك . إذا كان الوالد حريصاً على الدّنيا يمكن أن تنــزعج من هذا الحرص ، أما إذا كان ينصحك حتى تكون مؤمناً صالحاً فلِمَ تنــزعج؟ قال تعــالى :{ وَقَضَــى رَبــُّكَ أَلاَّ تَعْبــُدُوا إِلاَّ إِيــَّاهُ وَبِــالْوَالِدَيــْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء/٢٣].

١٩) رتبة الصادقين تأتي بعد رتبة النبيين ، كما قال تعالى : { فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّــذِيْنَ أَنْعَــمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّــالِحِينَ ... } [النســاء /٦٩] ، والصّــادقون موجودون لكنَّهم قليل ؛ هذا القليل ليس لــه غرض إلا الله والوصول إلى رضــا الله واتّبــاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا دنيا ولا فلوس ولا مداهنة ولا تَمَلُّق .

الذي خَرَجَ عن الصدق لو تقولُ لــه شيئاً موجوداً فيه حقيقةً ينــزعج ؛ لكن عليــه أن لا ينــزعج ، لأنه إن وجد فيه عليه أن يشكر الله ويشكر الناصح ، وإن لم يوجد عليه أن يحمد الله لأنه لا يوجد فيه . معناه : ليس كل معدن الإنسان مستعداً لقبول النصيحة ، لكــن بالمجاهــدة والسير والسلوك يمكن تغيير ذلك : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] .

٢٠) الإنسان خلق للعبادة : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات /٥٦] ، فلا بد أن يهيِّء الأسباب لنجاته في الآخرة بقدر طاقته : { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ } [الإسراء /١٣] .

عدم هَيُّؤِ المؤمن في الدنيا ليس بسبب عدم إيمانه ، لكن لعدم عمله بمقتضى الإيمان . ومقتضى الإيمان هو موافقة الشريعة .

٢١) الوعظ والنصيحة للمؤمنين على ترك الشرور مقدَّم على التوجيه لفعل الخيرات . فإذا تُرِكَتِ المخالفات فإن فعل الخيرات ولو كان قليلاً يستفاد منه كثيراً . رُوي عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال : (كان النّاس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافةَ أن يُدركني) .

٢٢) قال الله تعالى : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ } [إبراهيم /٢٧] . الثّبات في الدنيا : هو الموت على (لا إله إلا الله) . وفي الآخرة - أي القبر - : الثبات هو إجابة الملكين . لكنَّ الإيمان بدون عمل لا يكفي ، فقوله تعالى : { الَّذِينَ آمَنُوا } [إبراهيم /٢٧] أي : وعملوا بمقتضى هذا الإيمان . فكما أنّ العمل بدون إيمان لا يفيد كذلك الإيمان بدون عمل لا يفيد .

المؤمن سلاحه الإيمان ، فإذا لم يعمل بمقتضى إيمانه يكون مثاله كمن خرج إلى البَرِّ ومعه سلاح وهاجمه حيوان مفترس فلم يستعمل سلاحه ، فهو أحمق .

٢٣) الكرامات ليست عبادة .. الكرامات لا يُركض وراءها .. الكرامات لا تــدلُّ علــى استقامة العبد .. لكن التمسك بالشريعة يدلُّ على استقامة العبــد ، فقِسْ سيرة الناس وســيرة نفسك على الشريعة ؛ إن كانت موافقةً فهذه نعمة جسيمة ، اشكر الله عليها ، وإن كانت مخالفة ارجع إلى خالقك واستعذر منه كما تستعذر ممَّن هو أكبر منك سِنّاً أو عِلماً إذا خالفتَه ، ولله المثل الأعلى :{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ }[الشورى/٢٥] .

٢٤) قال الله تعالى : { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَــا الْمُرْسَــلُونَ (١٢) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ } [يس /١٣] ، الثالث هو شمعون .

بعد قراءة قصّة هؤلاء الرسل الثلاثة في أحد التفاسير علَّقَ عليــها ـــ حفظه الله ـــ فقــال : التّدبير لا يرفع القدر . والقصّة تدل على أن الصّدق دائماً هو الأحسن ، وإذا ترتَّبتْ عليه النجاةُ أو الهداية فهذا من فضل الله . لذا ! الصّراحة أفضل من كل شيء. أي : لا بــدَّ مــن الأخــذ بالأسباب ، لكن بالصدق .

٢٥) سببُ دوامِ الغفلة الانغماسُ في الدنيا . وإذا حصل الحضور فإنه لا يخلو من الغفلــة إلا بكثرة ذكرِ (لا إله إلا الله) أو بكثرة ذكر الاسم المفرد (الله) . ذكرُ الاسم المفرد مثلُ النــار للذهب ، تُصَفّيه من الغِشِّ ؛ ذكرُ الاسم هكذا .

فإذا ذكر العبد بكُلِّيَّته فَكُلِّيَّته تَصلُح ، ويكون الحضور غالباً عليه . ولذا ! ذِكرُ العبد بكلِّيَّتــه أفضل من الذكر بروحه فقط .

٢٦) إذا ضيّع الإنسانُ شيئاً أو أصابته مصيبة عليه أن ينظر إلى العاقبة وهي الفناء ، فهو إمّا الآن فانٍ أو سيفنى ؛ عندئذٍ لا يحزن على ما فاته ، كما قال ربنا : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(٢٢) لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } [الحديد /٢٢-٢٣] .

٢٧) تُوفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلُّنا ما رأيناه ، لكنّه خلَّف الأخلاقَ والقِيَمَ والفضائلَ والكتابَ والسنةَ ، وكلٌّ واحد من وُرّاثه يأخذ حصته من هذه الوِراثة. ومن وراثته عليه الصلاة والسلام حبُّه لأمته ؛ فالوارث الذي ليس عنده رحمة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وراثتُهُ ناقصة ، وبقدر أخذه من هذه الوراثة بما فيها الشفقة والرحمة تستفيد الأمة منه : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة /١٢٨] .

٢٨) من آداب الذكر النشوةُ مع الوَجْدِ . فالوَجْدُ في الذّكر شرطٌ في الطريقة الشاذلية .

المقصود بالوَجْدِ : النشاطُ والقوةُ في الذكر والهمَّةُ فيه .

فالذكر بدون نشاط فائدتُهُ قليلة . مَن لم يطَّلع على ذلك بنفسه يُنْكِر ويقول عن الحركة في الذكر ما يقول .

٢٩) لا يصلح أحد إلا بما أَمَرَ به الله ورسوله ؛ فمن تمسَّك بالله وبكتابه وبرسوله يخرج من الكفر ويخرج من النفاق ويخرج من الفسق ويكون صالحاً : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء / ١٤٤ ــ ١٤٥] .

٣٠) المكمِّلُ من البشر هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . مَن لم يَكْمُل لا يُكمِّل غيره ، بل يستفيد المؤمنون منه بقوة إيمانه وبارتباطـــه برســـول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعليه أن لا يغترَّ بصلاح الناس به ، لأن صلاحهم بمحمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وبتمسكهم بالكتـــاب والسنة .

هل الشيخ أصلح نفسه حتى يُصلحَ غيرَه ؟ لا . اتركوا هذا الاعتقاد .

٣١) الدعاء مطلوب ، وهو عبادة ؛ فالعبد يطلب من ربه كل شيء حتى شراك نعله .

لكنَّ الذي يُطلَب من العبد أكبر وأعلى من طلبه ، فعليه أن لا يَطلب المقام بل يطلب المغفرة ، ويطلب كل ما أَوجبَهُ الله عليه .

كيف لا يَطلبُ من الله شيئاً فيه رضاه ؟ كقوله مثلاً : اللهم طهّر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عنك وعن مشاهدتك وطاعتك ومحبتك يأرحم الراحمين .

٣٢) في طريق الصوفية لا يَصلُحُ لإرشاد المسلمين إلا مَن ذهبَ ورجعَ . ذهبَ تحت تربية مَن رُبِّيَ ، وهكذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لكن التربية ثقيلة على النفوس ، لذلك يميل الناس إلى غير المربي طلباً للأســـهل ، ويتركـــون الفائدة الأكبر. والذي يتَّبعونه يركض وراءهم بالأسهل خوفاً من تركهم إياه، لأنه يخاف علـــى دنياه .

عليه أن يقول ما يريدُ الله منهم ، فوظيفته التبليغ ؛ وذلك ليس بالضرب بل باللين والحكمة والموعظة الحسنة ، لكـــن بدون مداهنـــة :{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النحل / ١٢٥] . لا تداهن في دينك ودينهم خوفاً من ذهابهم .

٣٣) الحضور في قراءة القرآن هو التدبُّر والتفكُّر في ماذا يطلب مني ربي ؟ مع استشعاري أنه يراقبني . فالذي يقرأ بتدبُّرٍ لا يمكنه أن يقرأ بسرعة . والقراءة بدون فهم أو تدبُّر يحصـــل بهـــا الثواب وتكون عبادة ، لكن الاستفادة من القرآن تكون بفهم معانيه وأوامره ونواهيه . وقـــراءة القرآن هي محادثة مع الله .

٣٤) القلب السليم هو القلب الذي لا يوجد فيه حبُّ الدنيا . ولذا مدحَ الله صنفاً من الناس فقال : { رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًـــا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ } [النور/٣٧] . هل هذا المدح من الله لهم (فــاضـــي) ؟ لا . واللهِ فيه مَجْمعُ الدارين . هذا مدح الله لمن لا توجد محبة الدنيا في قلبه مع اشتغاله بها . إنه أمـــر عظيم .

٣٥) ارتباط الناس ببعضهم إمّا أن يكون ارتباطاً ربانياً معنوياً دينياً ، وإمّا أن يكون ارتباطـــاً دنيوياً . فإذا كان الارتباط دنيوياً ينقطع إذا انقطعت الفائدة الدنيوية ، أمّا إذا كان الارتباط ربانياً قائماً على الفائدة الدينية وليس لعلَّة دنيوية فالعلاقة تستمر سواء وُجدت فيه فائدة دنيوية أو لا . فلا مانع من وجود الفائدة الدنيوية إذا كان أصل الارتباط دينيّاً .

٣٦) الذي لم يَصحبْ مَن صَحِبَ لا يعرفُ شيئاً ويبقى جاهلاً وتغيب جوهرته وتنطفئ بشيء لا قيمة له ، بالدنيا وشهواتها : أكلٌ كثيـــرٌ .. نومٌ كثيرٌ .. لهوٌ كثيرٌ .. طاعاتٌ قليلةٌ .

يعني : الروحُ الشريفة النظيفة الطاهرة التي جاءت من جوار الله إلى هذا الهيكل حتى يؤديَ تكاليفه ويقفَ على فناء هذه الحياة صاحبُها يلوِّثُها ويَطليها (بالبويا) النجس . هذا ليس من شأن المؤمن .

٣٧) مقام الشهود أفضل من مقام المراقبة ، وبالمراقبة يصل العبد إلى الشهود ؛ فصاحب الشهود لا يتعلق بالمراقبة . (اعبد الله كأنك تراه) بعين القلب ، هذا مقام الشهود ؛ فإن لم تكن كذلك فإنك تَنزِل إلى المقام الثاني وهو المراقبة ، وهذا متعلِّق بإيمانك (فإنه يراك) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : صفة المشاهدة صفتك يمكن أن تغيب لأنها حادثة متعلقة بك ، وأما المراقبة فلا يمكن أن تزول لأنها متعلقة بالباقي ، بالله تعالى . ولكنْ من حيث المقام فإن المشاهدة أعلى من المراقبة .

٣٨) كلُّ الفضائل تأتي من الله إلى العبد مِن كَرَمِ الله وفضلِه ورحمته ، وكلُّ الخبائث تأتي من الشيطان إلى النفس ؛ فعلى الإنسان أن يميّز . هذا التمييز يحصل بالتقوى : { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } [الأنفال /٢٩] ، وهذا التمييز لو حصل فليس من العبد بل هو من الله .

٣٩) هذا السَّيلُ من الخبائث صَدُّه يكون بالإيمان . ترْسُ المؤمن الإيمان . الإيمان يُقال باللسان لكن محلّه القلب .

مدخل الشيطان على الإنسان لا يكون إلا عن طريق النفس ، والنفس أشدُّ من سبعين شيطاناً ، لأنّ الشيطان يأتي بالوساوس ، إن تتركها تذهب ؛ لكن النّفس تبقى مُصِرَّة .

٤٠) لا بدّ لأهل الطريق أن يتّبعوا مَن لا يَسأل أجراً : { اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْـرًا وَهُـمْ مُهْتَدُونَ } [يس /٢١] ، لأن الذي يطلب الأجر يجعل وظيفته الدينية آلةً للرزق الذي ضَمِنه الله لـه ، وبذلك يجعل الحقَّ واسطة . الحقُّ مقصود بالذات وليس واسطة . أما إذا أُعطي بدون مسألة فلا مانع .

٤١) تَفكَّرْ في ضعف الإنسان : لقد جاء إلى الدنيـا لا يعرف شيئاً :{ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُـمْ مِنْ بُطـُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا } [النحل /٧٨] ، ثم يكبر شيئاً فشيئاً ، فيتعلَّق بما أعطاه الله حتى يصبحَ عبْدَ نفْسِه وحظوظِه ، وينكرَ خالقه وهو الله . هذا للكافر ؛ أما المؤمن فمصيبتُه غفلته عن الله .

٤٢) قال - حفظه الله - في ليلة السابع والعشرين : هذه ليلة القدر عند أكثر العلماء، ونحن معتكفون في المسجد ، ومع ذلك لا أُثْبِتُ لنفسي يقيناً أنني أحقق هذه الخيرية : { خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَـهْرٍ } [القدر /٣] ، لأنه لتحقيقها لا بدّ من شروط ربَّما لا أُحقِّقُها، وذلك من الاحتساب والإخلاص . . . إلى غير ذلك .

٤٣) باتجاه الله تعالى لا يَصلُح شيء بدون الصدق ، سواء كان نيَّةً أو عملاً أو قولاً . ونفسُ الإنسان تتحرك خلافَ الصدق ، خلافَ الباطن ، خلافَ أمْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن مَن يؤمن بأنّ الله تعالى يطّلع على ضميره هل يمكن أن يقول لمخاطَبه خلافَ ما في باطنه ؟لا.

٤٤) طَهِّروا صدوركم من جهة الأحباب ، انصحوا لكن لا تُضمروا في قلوبكم شيئاً من الغش والغل والحسد . فالخيانة لا يرضاها الله ولا رسوله ولا أهل الطريق إذا فهموا . أهل الطريق هم أهل الله ، أهل خصوصية رسول الله ؛ يعني يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم كما اتَّبعه الأصحاب .

٤٥) بالطريق يصل العبد إلى العبوديَّة ويَعرف نفسه .كلُّ مَن يريد أن يكون عبداً لله عليه أن يكون مقصده العبديّة ، لا الكشف والكرامات والمشيخة . المشيخةُ نوعٌ من الرياء . بعض الأولياء عُرِضَتْ عليهم القطبيَّة فلم يقبلوا ليبقوا مشغولين بعبادة ربّهم ، أما نحن فنتنافس بالمشيخة .

٤٦) إذا شئتم أن تقفوا على أسرار القرآن خلِّصوا أرواحكم من نفوسكم ، والبسوا قميص الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونوِّرُوا قلوبكم بذكر ربكم . نِعْمَتُنَا جسيمة ، نفوسُنا خبيثة ، خالقُنا رحيم . نرجو الله أن يعفو عنا .

٤٧) هل يمكن للدقيق أن يتخمر بدون ماء ؟ لا . علينا أن نتخمر بماء الإسلام حتى نكون مثل الخبز . فإذا لم يلق المؤمن قلبه ويتفكر بمعاني القرآن كيف يتخمر ؟ : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق / ٣٧] .

٤٨) الطريق المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم كلُّه جيد ، لكن الذي يخرب هم الذين يدخلون الطريق فيشوّشون بعدم صدقهم وبنفوسهم . فلا بدَّ للذي يتمسّك بـالطريق مـن أن يتأسف على مخالفة الطريق أكثر من تأسفه على ما يتعلّق به من الأمور ، لأنّ هذا الطريق وصـل إليه بدون غش ، وإذا ظهر ما يخالف عليه أن يزيله بالشريعة المحمدية .

٤٩) الدنيا مزرعة للآخرة ، والآخرة لا تخرب إلا بالدنيا ، لأنها معمورة والإنسـان يخربها بيده ؛ وذلك إذا اتّخذ دنياه متاعَ غرور ، ما اتخذها مطيَّة للآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام : ((بئس العبد عبد عتا وطغى نسي المبتدأ والمنتهى)) [أخرجه الترمذي في سـننه] ، وقـال أيضاً : ((الكيِّسُ مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت)) [أخرجه الترمذي في سننه] .

٥٠) العبادة بدون معرفة الربِّ لا تُقْبَل (المقصودُ بالمعرفة هنا أصلُ المعرفة ، فمَـن لم تكـن عنده يخرج عن الإيمان) ، والعبادة بدون إحسان ـــ وإن لم تكن باطلة ـــ لكنها ناقصـة . وإذا كان القلب فارغاً من المعرفة فذاك القلب ميت .

٥١) علينا أن نؤوِّل أفعال المؤمنين ونحسن الظن بهم ولا نتجسس عليهم : { وَلاَ تَجَسَّسُوا } [الحجرات /١٢] ، ومع ذلك إذا صدرت منهم مخالفة علينا أن ننصح ، فإن قَبلوا قَبلوا ، وإن لم يقبلوا نفوّض أمرهم إلى الله . لأننا لا يمكن أن نُصلح أنفسنا فكيف نصلح غيرنا .

٥٢) الشيء المهمُّ بين المريد وخادم الطريقة هو الاعتقادُ والمحبةُ وامتثالُ الأمر . فالذي يمتثـل الأمر يذكر الله كثيراً . ولو كان عندنا محبة لكنا غير هذا . ثم قال حفظه الله : واللهِ كنتُ قبـلَ هذا إذا شربتُ ماءً بارداً أقول : ياليت شيخي موجود يشرب منه في هذا الحرِّ .

٥٣) أقربُ الطرق إلى الله تعالى التمسّكُ بالكتاب والسنة . ومِن التعصب أن يقول كل واحد : الحقُّ في طريقتي . بل عليه أن يقول : كل الطرق حقٌّ ، لكنني أُحبُّ طريقتي . فهذا يقطع أمل الشيطان في المريد بإلقاء الخيالات والوساوس ، ولا يستطيع أن يلعب به .

٥٤) الاشتغال بالنفس أهمُّ من الاشتغال بالآخرين ، ولا يمكن لأحد أن يُصْلِحَ النّاس ، وإذا اشتغل بهم يَضُرُّ نفسه . لكن عليه أن يوجِّههم بما يوافق الشريعة المحمدية ، ويُسَلِّم نفسَهُ وغيرَهُ إلى الله : { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } [الكهف /١٧] .

٥٥) إذا أردتَ أن تعمل شيئاً عليك أن ترجع إلى الشريعة ؛ فإن وجدتَ حُكمَه في كتاب الله وجدتَ ، وإلا فارجع إلى السُّنة ، فإن وجدتَ وجدتَ ، وإلا فارجع إلى مَنْ تمسك بالكتاب والسنة ، فإن وجدت في أقوالهم فخُذْ ، وإلا فاترك فهو بدعة .

٥٦) معرفة الآخرين صعبة ؛ فكما أن الإنسان لا يعرف ربه حتى يعرف نفسه كذلك لا يعرف غيره حتى يعرف نفسه . مَن لم يعرف أهل زمانه الطيبين وغير الطيبين فهو جاهل .

٥٧) إذا خالفتَ النفس وصحَّحتَ الاعتقاد وكنتَ مع الله فَحَالُكَ جيد . فالاستفادة تكون بالاعتقادِ الصحيح وتهذيبِ النفس الأمّارة . وتهذيبُ النفس الأمارة يُخرج الصدف من قشره ، والإخلاصُ كذلك . ومع هذا لا بد من الصدق .

٥٨) هل أحسستَ بفضيلة الصوم بروحك وإيمانك ؟

إذا أحسستَ به فهذا جيد ، وإلا فأنت بإيمانك صمتَ ، ولكن لم تقف على أسرار الصوم . فتأمَّل !

٥٩) إذا نظر الرجل إلى امرأةٍ وأعجبه حسنُها أو قامَتُها فإذا لم يَربط قلبه بصفات الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء /١] يدوم قلبه مع هذا النظر ، وكذلك المرأة عنـــدما تنظر إلى الرجال . فإذا مشيـــتَ بالســـوق ورأيتَ النســـاء وتحركَتْ نفسك ارجع إلى أهلك ، قال تعالى :{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْــتُمْ }[البقرة /٢٢٣] .

٦٠) الناس يكبِّرون بعض المشايخ ويكونون سبباً لوقوعهم في الخطأ والمعاصـــي والســـيئات الصغيرة ؛ وذلك بقولهم : قال الشيخ . هل هذا يعني قال الله .. قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ؟ لا بدَّ أن نتَّبع الشيخ بما هو موافق للشريعة ، وإذا خالف لا بد أن نقول ونذاكر بشكل حرٍّ .

٦١) كلُّ مولود يولد على الفطرة ، والإنسان المؤمن يلوِّث إيمانَه في الدنيا بالمعاصـــي ويَـــرُدُّ ذلك إلى القدر ؛ وهذا غير مقبول .

مثال ذلك : مَن قتل شخصاً وسُئل لم قتَلتَ ؟ يقول : قدرُ الله . هل هذا يخلّصه من فعله ؟ لا .

٦٢) قال الله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاّةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَـــيَرْحَمُهُمُ اللَّـــهُ } [التوبة /٧١] . هذه الرحمة في الآخرة ؛ أمّا رحمة الله لهم في الدنيا فهي نعمته عليهم باتصافهم بهذه الأوصاف .

٦٣) طلَبُ الله من العبد العبوديَّةُ ، وطلَبُ العبد من الله الفلوسُ.. الدنيا.. الجنةُ.. ، لكـــنَّ طلَبَ الله من العبد مُقدَّمٌ على طلَبِ العبد من الله . فإذا حَصَلَتِ العبودية في قلب الإنسان يَقوى ويَقوى ويستفيد ويستفاد منه .

٦٤) جميع الطاعات والأعمال الصالحة فيها مشقَّة على الجسم ومشقَّة على النفس ، لكن هذه المشقة تَخِفُّ إذا حصل التلذُّذ بالطاعة ، فعندما تتخمَّر الروح بلذة وذوق العبادة يزول ثقل العبادة .

٦٥) المعونةُ بقدر المؤونة ؛ فمَن كان احتياجه أكثر يكون عطاء الله له أكثر . أخرِج نفسَك والخلقَ مما بينك وبين الله ، لأنّه عندما يأتي الخير يأتيك من الله لا من الخلق .

٦٦) الله تعالى خلقَ العبادة ليَربح العبدُ من الخالق ، لا ليربح هو سبحانه وتعالى ، لأنه غني عنّا وعن عبادتنا ، وهذا تكريم للبشر : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } [الإسراء /٧٠] .

٦٧) حِفظُ القرآن جيّد ، وهو فرضُ كفاية ، لكنَّ المهمَّ تطبيقُه والعملُ به . فالقرآن الكريم يكون خصماً لمن قرأه ولم يطبِّقه ، وهو شفيع لمن قرأه وطبَّق أحكامه .

٦٨) محاربة الشيطان أسهل من مخالفة النفس ؛ فإذا هجم عليك بالخطرات والوساوس ارجع إلى أصلك يَخنس ، وإذا أجَبْتَهُ يترك هذا الخاطر ويأتي بخاطر آخر ، فلا يمكنك أن تستمر في مجادلته .

٦٩) لا يخاف من عذاب جهنم إلا مَن يُصدِّق بوجود جهنم . كذلك لو أننا استشعرنا عظمته سبحانه وتعالى لارْتَدَعْنا عن المعاصي . فعليكم أن لا يراكم ربُّكم وأنتم على المعصية .

٧٠) السرعةُ فــي صلاة التراويح من الشيطان ؛ فإذا لم يستطع الشيطــان أن يمنعَ العبدَ من صلاة التراويح يَدخل عليه من جهة أخرى ، فيجعله يُسرع في الصلاة حتى يفوتَه الحضورُ ويقعَ في الكراهة . وإذا كان هذا الشخص إماماً يسري ضرره إلى المقتدين به .

٧١) قال الله تعالى: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِــينٌ } [الذاريات/٥٠] ؛ قــال : { إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ } ما قال مِنّي . ففِرّوا به من الكفر إلى الإيمان ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومــن الغفلة إلى الحضور ، ومن الخلق إلى الخالق ، ومن أنفسكم إلى ربكم .

٧٢) إذا وُضِع الإنسان في قبره فحالُ الحشرات كأنها تُبشِّر بعضها وتقول : جاءت القسمة .. جاء النصيب ، هلُمّوا إلى طعامكم . هذه نهايتنا . ولو تَفكَّرنا في بدايتنا وكيف وُلِدْنا ضعفاء لا نعرف شيئاً ، عندئذٍ لا نغتَــرُّ بما أعطانا الله ما بين بدايتنا ونهايتنا من عقل وولد وزوجة وغير ذلك .

٧٣) كلُّ مَن يتَكلّم عليه أن يتكلَم صدقاً ، لكن ليس كلُّ ما يُعْرَفُ يُتَكَلَّم بــه . فالإنســان يعرف نقصان نفسه لكن لا يجب عليه أن يذكر هذا النقصان لجميع الناس ، بل عليه أن يدوس على خُلُقِهِ السيِّء بأمر الله وبأمر رسول الله حتى يذوب .

٧٤) الدنيا كلُّها ابتلاء وامتحان ؛ فَمِنَ الناس مَن يتمسك بعقله وبما أعطاه الله ، ومنهم من يكون محفوظاً بحفظ الله لا يغترُّ بشيء .

على العبد أن لا يغترَّ بشيء ، بل يكون مثل الحجر القوي في وسط النهر . الماءُ يجري عليــه مئات بل ألوف السنين وهو هكذا .

٧٥) على العبد أن يخرج من صفاته بالكُلِّيَّة وأن يدخل في صفات الله ، وإذا انتقل إلى القرب عليه أن يخرج من ذاته ويفني في ذات الله تعالى . إذا غطّيتَ وصْفَك بوصفه .. علمَك بعلمـــه .. وجودَك بوجوده أصبحتَ في كنفه .

٧٦) تريدون أن تُفسِّروا الخشوع والتقوى والحضور مع الله بعقولكم ، هذا لا يمكن . الطريقُ إلى ذلك هو أن تخرجوا عمّا سوى الله وأن تعمروا قلوبكم به . فكلّما تعلّق القلب بشيء يحرفُـــه عن الاستقامة .

٧٧) كما أن الإنسان يعرف شرور نفسه ويستعيذ منها ، كذلك عليه أن يستعيذ بالله تعـــالى من شرور النفوس الأمارة جميعاً . لأن النفوس ليست كلها تحت مقتضى الإيمان المنوَّر حتى يفعل أصحابـــها مثل ما يأمر الإيمان .

٧٨) أفضلية الإنسان عند الله بالإيمان فقط ، وهذا الإيمان رأس مال كبير يُبنى عليه الترقي . لذا علينا أن نعتز بالإيمان والإسلام لأنه ليس

عند الله أعزُّ منهما :{ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً} [فاطر/١٠] .

٧٩) التعلّق بأي شيء إذا زاد عن حدِّه فهو مَرَضٌ . فعلى الإنسان أن لا يترك الكل ولا يحاول أن يحصل على الكل ، لأن العمر ينتهي ولا يحصل له الكل . هذا من الحرص ، والحرصُ ضدُّ التوكل .

٨٠) لو نُعَيِّـــرُ أعمالَنا على الشريعة والكتاب ، مع الإخلاص وتهذيبِ النفس الأمارة ــ أعني خروج النفس الأمارة من البين ــ تكون العبادة كلها مرضية لله تعالى .

٨١) النساء عقْلُهنَّ ناقص ، لذا ! الشيطان يلعب بعقلهن أكثر . فعلى الرجل أن يصبر عليهن وأن لا يكون سبباً في عدم طاعتهن لـــه حتى يقعن في المعصية .

٨٢) الصفاء بيِّنٌ والعمل الذي يوصل إلى الصفاء أيضاً بيِّن ، لكن التمسك بذلك العمـــل والبقاءَ عليه إلى أن يوضع الإنسان في القبر أمر صعب .

٨٣) من خَلَصَ من لعب الدنيا ومن لعب أهل الدنيا بعدم التفاته إليهم فهو من أهل الله : ((حبّ الدنيا رأس كل خطيئة)) [أخرجه البيهقي] .

٨٤) كلُّ شيء تُعْرَف قيمتُه من قِبَل أهله ، وغَيْرُ أهله لا يعرفون قيمته ولا قدره ، لـــذلك لا يفرقون بين الحديد والجوهر الخالص .

٨٥) إذا وضعك ربُّك في مقامٍ عليك أن لا تطلب الخروج منه بنفســـك ، لكـــن يكـــون خروجك بالله أو على لسان مَن يُربّيك . هذا من حقيقة التصوف .

٨٦) إذا كنتَ حليماً فأنت مطيعٌ لله ، وإذا غضبتَ فأنت أحوج إلى حِلمه .

عندما تغضب تذكَّر الخالق ، ولا تطلب شيئاً إلا من الله تعالى .

٨٧) الصادقُ لا يقول أنا صادق ، بل يشكُّ في صدقه ولا يتصادق (أي لا يدعي الصدق). بالصدق يكون الرجل محبوباً عند الله وتابعاً لرسول الله ويَخْلُص من نفسه.

٨٨) إذا كان المريد صادقاً مع الطريق فرسول الله صلى الله عليه وسلم يجُرُّه . تأتي الفيوضات من الله إلى الرّسول إليه . فمَن كان صادقاً في طريقته ومحبّته قطعاً له ذلك .

٨٩) قال الله تعالى : { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } [الإسراء /٧٠] .

التكريم بالإيمان ، لأنه إذا لم يوجد الإيمان : { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ } [التوبة /٢٨] . هذه النجاسة معنويةٌ ليست حسية .

٩٠) المعاصي سببٌ لقطع الفيوضات الإلهية عن العبد المؤمن . على المؤمن ألا يعبد الله من أجل الفيوضات ، لكن يعبده لأنه عبدٌ له خُلق للعبادة .

٩١) كلُّ مَن تعلَّق بخادم الطريق مع المحبَّة يجري عليه ما جرى على خادم الطريق من بدايته إلى نهايته . شرطُ هذا الإخلاصُ .

الاعتقاد الصحيح بدون عمل لا يكفي .

٩٢) عملُ الخير إن كان لله فإنّه لا يَقطع عن الله ، أمّا إذا كان للنّفس فإنّه يَقطع عن الله ، ولو كان عملَ خير .

٩٣) الاستفادة من الطريقة تكون بالعمل بالتوجيهات ، وحينئذٍ كلَّ سَنَةٍ زيارةٌ واحدة أو هاتفٌ للمرشد يكفي .

٩٤) كلُّ الأخلاق الحسنة ـــ بما فيها الغيرة ـــ تُبنى على الإيمان . فإذا كان الإيمان ضعيفاً فالأخلاق أضعف ، فمَن كانت غيرته قليلة فدينه قليل .

٩٥) للدعاء أثرٌ ، لكنَّ دعاء المؤمن يُقبَل ما دام المؤمن لا يقول دعائي لا يُقبَل . والقبول إمّا أن يكون في الدنيا وإمّا في الآخرة وإمّا في كليهما إذا وافق القدرَ .

٩٦) التأسُّفُ على فوات التهجد أو الطاعات ليس جيداً ، بل على العبد أن يعتمد على الله لا على الطاعة . هذا بشرط عدم تقصيره بالأخذ بالأسباب .

٩٧) مَن يدّعي لنفسه درجات ومقامات ينعكس هذا على نفسه - بتقدير الله - فيَنــزِل . فلا بد للمؤمن أن لا يُثْبِت لنفسه شيئاً من المقامات .

٩٨) الإنشاد يحرّك ما في قلوب المنشدين والسامعين ولا يُدخل فيها شيئاً . و إذا تعلق القلب بالإنشاد يُحْجب عن الذكر .

٩٩) على الإنسان أن لا يكون تابعاً لغيره بل يكون له رأي مستقل يزنه بالشريعة.

١٠٠) الإنسان بنفسه لا يطّلع على عيبه بل بالآخَرين ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : ((المؤمن مرآة المؤمن)) [أخرجه أبو داود] ، يرى نفسه بمرآة أخيه .

١٠١) أَخْرُجُ من الدنيا ولا أشبعُ من الطريق ، وعلى رأس ذلك العبودية .

١٠٢) التصوف .. الحقيقة .. الدين .. ليس بالقيل والقال ، بل لا بدّ للمؤمن أن يستعمل وجدانه .

١٠٣) زينة العبادة أن تكون موافقة للشريعة .

١٠٤) الذكر مع الوَجْدِ أحسن لأنه لا يكون معه وساوس ولا خواطر .

١٠٥) النساء أمانة عندنا علينا أن نحافظ على دينهن وعرضهن .

١٠٦) بالمجاهدة تنقلب الطبيعة البشرية إلى الطبيعة الملكية .

١٠٧) س : كيف يحافظ العبد على صفائه وحضوره مع الله وهو يخالط النّـاس في حياتـه اليومية ؟

ج : هذا وصفٌ لورّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أجسامُهم مع الناس وقلوبهم مع الله جلَّ وعلا . هذه مرتبة عالية ، وهذا واحد من أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام : { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم /٤] ، فاختلاطه عليه الصلاة والسلام بالنّاسِ والأمورِ الدنيوية واشتغالهُ بالحروبِ والأهلِ والتبليغِ لا يشغله عن الله تعالى .

لكن بالنسبة لغيره عليه الصلاة والسلام كلٌّ واحد على حسب طاقته وطبيعته البشرية . فكلّما خفَّف جانب البشرية يقوى الجانب الروحي ، ويكون تعلقه بالله تعالى وصفاؤه وحضوره معـه أكثر ؛ وهذا الرزق المعنوي كالرزق المادي ، أعطى الله بعض الناس أكثر من بعض ، قال تعالى : { وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ } [الأنعام /١٦٥] . هكذا شـأنه جل وعلا .

لكن على المؤمن أن لا يكتفي بهذا التقسيم ، لأنه لا يعرف في الحقيقة هل لـه استعداد للترقي أم لا ، بل عليه أن يجاهد نفسه بأمـر الله : { وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] .

مَن أراد أن يكون من هذا القسم فله علاج ودواء لمرضه الذي هو فيه ، وهو :

أولاً : تهذيبُ النفس ومخالفتُها : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } [الشمس /٩-١٠] .

ثانياً : الاعتقاد الصحيح في حقّ الله جلّ وعلا وفي حق صفاته الجليلة وفيما يتعلق بالحشر والنشر والحساب والعقاب والجنة والنار ، وكلِّ الأمور الغيبية ، أعني : اعتقادَ أهل السنة والجماعة :{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } [البقرة /٣] .

ثالثاً : التمسّكُ بشرع الله جلَّ جلاله ، لا بالقيل والقال بل بحسب الحِلِّ والحُرمة ؛ وذلك بالتمسك بالكتاب المبين واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام . ويدخل في ذلك أمور كثيرة منها: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون /١-٢] ، { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ } [يونس / ١٠٩] . . . هذا كلُّه يدخل في التمسك بالشريعة .

رابعاً : بقيَ شيء آخر وهو سُلَّم للوصول إلى هذه الفضائل جميعاً ، وهو ذكر الله تعالى . فمَن دخل الخلوة فلْيُكثرْ من ذكر الاسم المفرد (الله) ، ومَن لم يدخل الخلوة فليكثر من ذكر (لا إله إلا الله) والصلاةِ على رسول الله عليه الصّلاة وأفضل السلام.

موضوعُ هذا السؤال واحدٌ من طرقِ الولاية ، وهو مقامٌ عالٍ . وطرقُ الولاية كثيرةٌ ، لكنَّ أفضلّها اتّباعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العادات والعبادات ، وعدمُ الميل إلى الكشف والكرامات ، لأنّ هذه الأمور ليست مهمّة ؛ فركعتان بعد الوضوء ــ مثلاً ــ أهَمُّ منها .

مَن وصل إلى هذا المقام عليه أن لا يرى لنفسه مرتبة ولا مقاماً ولا أي شيء ، وعليه إذا أمكن أن يتعلق بشخص يوجِّهه ، لأنه لا يمكن الوصول إلى هذه الفضائل بدون واسطة . فلو قيل : بعض الأولياء وصلوا إلى ما وصلوا بدون التمسك بالواسطة ، نقول : هؤلاء لم يتمسكوا بالواسطة ظاهراً ولكنهم تمسكوا بالواسطة باطناً ، فهم يستفيدون من أرواح الأولياء المتقدمين ، كما قال الأستاذ بديع الزمان رضي الله عنه : إني استفدت من الإمام الرباني والشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي الحسن الشاذلي وغيرهم رضي الله عنهم .

لكن لا يمكن لشخص أن يستفيد من أرواح الأولياء المتقدمين إلا إذا كان من أهل الدّيوان ؛ فإذا كان من أهل هذا المقام فهو يجتمع بهم ويسأل ويُجاب ويصحَّح له.

١٠٨) س : كيف يُعالَجُ تعلق القلب بشيءٍ ما ؟

ج : تَفكّرْ بأن قلبَك خُلِقَ لمحبّة الله لا لمحبة الدنيا ، فإذا أحببتَ الدنيا تكون قد استعملت قلبك في غير ما خُلِقَ له ، وهذا وضع شيء في غير موضعه . كلُّ قلبٍ فارغٍ عن معرفة الله فهو ميتٌ.

لا بدَّ أن تتخذ الشيطان عدواً ، بذلك تخلص منه . قد يأتي بخطرات خسيسة ليوقع بينك وبين ربك . فعلاج ذلك أن تنظر إلى أصلك أنه عدمٌ ، وبعد العدم ذاك المنيُّ ، بذلك تخجل من الله .

المهم : القلب واحد ، ومحبّته واحدة ، إما لله وإما لغيره ، فإذا كانت المحبة لله تَخِفُّ محبة ما سواه .

فعلاج العلائق القلبية ذكرُ الله حتى تغلب محبة الله على القلب .

١٠٩) س : لِمَ خصَّ ربُّنا جلّ وعلا ذكرَ الله بالكثرة في قوله تعالى :{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب /٢١] ؟

ج : لأنّ الذكر يقوّي إيمانَ المؤمن ، فينتقلُ من علم اليقين إلى عين اليقين . علمُ اليقين علمٌ مسموع ، يمكن أن يدخل فيه شكٌّ ؛أما عيُن اليقين فلا يمكن للشكوك ولا للزندقة أن تدخل فيه.

ذكرُ الله معناه الحضور مع الله . حوِّل إبرة قلبك نحو ربك . أنت تذكر وهو ينظر إليك . اذكر بِكُلِّيَّتِك ، وكلما جاء شيء حاجب بينك وبين ربك ادفع يميناً وشمالاً .

اعبدوا الله بالله لا لله ؛ فالذي يعبد بالله يكون توكله به .. عبادته به .. توفيقه به .. وكل شيء به . أما الذي يعبد الله فهو يطلب الثواب . أنتم تعرفون الطريق ولا تعملون به .

١١٠) س : عندما أقول أو أسمع :[يا مَن يرى ما في الضمير ويسمعُ] أخاف أن أكون في غفلة ؟

ج : لِمَ هذا الخوف ؟ كُنْ متيقظاً أن لا يراك ربُّك وأنت في المعاصي ، فإذا لَمْ يرك في المعاصي يراك في الطاعة ؛ هذا هو الخوف الحقيقي وهو الحضور التام . إذا كنت كما ذكرتَ ورأيت قلبك قد شردَ استغفرِ الله .

١١١) س : ما معنى قول الله تعالى : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر /٢٣] ؟

ج : القشعريرة تحصل من عظمة المُنــزِّل جلّ وعلا ؛ فإذا سمع المؤمن آية الوعيد يخاف ، و إذا سمع آية الوعد ونظر إلى نفسه بأنه مؤمن يطمئن ويحمد الله . وأحياناً تحصل قشعريرة من التفكّر بعذاب الله أو برحمته ، وأحياناً تأتي الواردات إلى قلب العبد وهو لا يشعر بها فتحصل معه رجفة .

مثال : لو قيل لكم إن زلزلة حصلت ببلد مجاور هل يحصل لكم خوف أو لا ؟ قطعاً يحصل . فلو قيل لكم بعد قيل : إن الزلزلة لم تتسبب في أي ضرر ، ألا تستريحون ؟ هذا اطمئنان الــروح والقلب .

١١٢) س : ما هي حقيقة ذكر الله تعالى للعبد في قوله تعالى : { فَــاذْكُرُونِي أَذْكُــرْكُمْ } [البقرة /١٥٢] ؟

ج : حقيقةُ ذكر الله تعالى للعبد أن يحفظه مما لا ينبغي . وذكرُ العبد لله تعالى أن يقطع علاقتــه عما سواه . هذا لا يعني أن يقطع علاقته بالأسباب بل يقطع علاقة القلب بها . ويكون توكلــه على الله .

١١٣) س : كيف نكون معَرَّضين لرحمة الله تعالى دائماً ؟

ج : الرّحمة الكبرى لعباده تشريفهم بالشرع المحمدي .

رحمة الله ليست ممنوعة عن عباده ، ولكن العبد يمنع الرحمة الخصوصية عن نفسه . مــثلاً : اللهُ تعالى خلق الكافر والمؤمن العاصي والمؤمن الصالح ، وَرَزَقَ الجميع ؛ هذا من الرحمة العامة . وأمّا الرحمة الخصوصية فهي لِمَن تمسّك بالكتاب والسنة وتحرّى رضا الله واتّباع رسول الله صــلى الله

عليه وسلم : { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّـــذِينَ هُـــمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ . . . } [الأعراف /١٥٦] .

١١٤) س : ما هو الفرق بين أهل الصحوِ وأهل التمكين ؟

ج : أهل الصحو يترقّون في المقامات لكنْ مع الصحو ، أي بدون تأثُّرِ ظاهرهم ؛ فهم يذهبون في سيرهم مع العلم والعقل ، لكنهم لم يصلوا إلى النهاية ؛ لذلك لا يُؤْمَنُ عليهم أن يمرَّ علـــيهم شيء يُخرجهم عن الصحو فيتكلمون بالشطحات .

أما أهل التمكين فهم مثل الجبال ، عندهم هذه المقامات وهذه الأمور وهم كالجبال متمكِّنون ، وصلوا إلى نهاية الطريق ثم رجعوا .

ولَمّا وَصف بعضُهم سيدَنا الشيخ ــ حفظه الله ــ بأنه من أهل التمكين ، أجاب بقوله : واللهِ لا أقول عن نفسي ولا أظن أني من أهل التمكين ، لكن هذا من حُسن ظنِّكم . لا بد أن نشـــكر الله تعالى جل جلاله . إني أحب أن يكون إيماني أقوى وأن لا أخرج من هذه الدنيا إلا مع الإيمان والنطق بالشهادة . ولكن حسن الظن بالمؤمنين جيد . الذي ترونه فيَّ بحسن ظنكم ، أنا لا أراه ، وإن وُجِدَ فهذا ليس مُلْكي حتى أتملَّكه ، لكنه من الله و رسوله وأسيادنا . هذا من بركتهم وبركة الطـــريق . كيف يتملك الإنسان شيئاً هو أمانةٌ عنده ؟ هذا خيانة .

١١٥) س : ما رأيكم في قراءة الأوراد بسرعة ؟

ج : الاستعجال من الشيطان ، لكنه أحياناً يكون من الضعف ؛ فإذا كان قلبك متعلقاً بالله ، وبقلبك وبصيرتك تنظر إلى الله ، فالسرعة لا تضرُّ . على كلٍّ : عَمَلُنا غيرُ لائقٍ بعظمة ربنا ، والقبولُ مجهول ؛ لذا نضع أعمالنا بميزان الشريعة ، فإذا وافقت فهذا جيد : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون /٦٠] .

١١٦) س : يقول الله تعالى عن البيت الحرام : { وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا } [آل عمران /٩٧] ، فهل لنا حظٌّ من ذلك الأمن في كعبة الأرواح ؟

ج :كعبة الأرواح خطٌّ الله تعالى لها خطاً واحداً مَن دخله فهو آمن . هذا الخط هو : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه } [آل عمران /٣١] ، هذا كلام الله . هل يوجد كلام أصدق من كلام الله ؟ لا . هذا الخط هو كعبة الأرواح ، وكعبة العقل ، وكعبة الفكر ، وكعبة رضا الله ؛ ورضا الله أكبر .

هذا الخط متّصل بالله عن طريق الواسطة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بشر ، ولا يمكن لنا أن نتبع الملائكة ، بل نتبع مَن اتَّبعَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بشرط ألا نتبع الخطأ ولا نسكت عنه .

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي اتبع رسول الله صلى الله عليه وسـلم بصـدقٍ صـار صدِّيقاً ، والذي عاند رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صار أبا جهل .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤٢١ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) قال الله تعالى : { الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا } [الأنفال /٦٦] . مَن استشعر بهذا لا يتجاوز عن حدّه ، وينظر إلى الأسباب أنها أضعف منه ، فلا يعتمد عليها ؛ لكنّه يأخذ بالأسباب لأنها أمر الله .

فقد خاطب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بقوله : { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ } [آل عمران /١٢٣] ، لأنهم كانوا حينذاك أجنحتُهم منكسرةٌ ومتواضعة ، وكانوا متوجِّهين إلى الله . أما في حنين عندما قال أحد الصحابة : لن نُغلَب اليوم من قِلَّة ، فقد آخذهم الله تعالى وخاطبهم بقوله : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } [التوبة /٢٥] . هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، وفيهم مَن بُشِّر بالجنة في الدنيا ؛ ليس هناك أوضح من هذا.

ومع ذلك فكثير من الناس يقرؤون هذه الآية مئات المرات ويعرفون المقصود منها لكنْ لا يعملون بمعناها ، فالعلم غير التطبيق . هذا كلُّه خلافُ مقتضى الإيمان ؛ فالإيمان موجود لكنْ لا يعملون بمقتضاه .

فعلى الإنسان إذا كان عنده عِلمٌ أو فراسة أو كرامة أو أي شيء عالٍ أن لا يعتمد عليه ، بل ينظر إلى ضعفه، كما قال تعالى : { وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا } [الأنفال /٦٦]. أين حالُنا من هذا ؟

لذا ! مَن قال عن نفسه مثلاً : أنا عالم ، فهو جاهل .

هذه الأخلاق المحمدية والأخلاق الربانية لا بدَّ للمؤمن منها ، وليس الأمر بكثـــرة الطاعـــات وكثرة الإنفاق فقط ، فهذه كلها فروع .

٢) مَن أراد الوصول إلى الله تعالى عليه أن يجاهد نفسه طلَباً لرضا الله تعالى ، لا لتحصيل رضا الشيخ . لأنَّ الهداية بيد الله تعالى ، وليس بيد الشيخ إلا التوجيه . فإذا أخذ المريـــد الصـــادق الصالح المتوجِّه إلى الله بتوجيه شيخه يصل إلى الله بقدر ما قُسم له حسب استعداده .

وما يحصل للمريد - أثناء سيره - مِن محبته لشيخه ليس أمراً مقصوداً بذاته ، بل المقصد واحدٌ وهو الله . فإذا صحَّ الإخلاص والقصد ليس هناك أفضل من ذلك .

٣) كلّ صحبةٍ من أجل الدنيا نتيجتُها الاختلاف ، إلا إذا كان بين الأصحاب خيط الله . لذا أكثر المسلمين يَشْكون من معاملة بعضهم لبعض ؛ فالأمانة صارت خيانة . وقد يخـــون بعضـــهم بعضاً باسم الدين وباسم الطريق ؛ كلُّ هذا لتباعدنا عن ديننا وشرعة رســـولنا عليـــه الصـــلاة والسلام . فقَلَّ مَن لم تلعب به الدّنيا .

لو اجتمعنا على الكتاب والسُّنَّة وصبرنا على هذا الاجتماع لفُتِحَ لنا ، قال الله تعالى: { سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد /٢٤] .

تــَرى كلَّ واحد يشــكو مــن إخوانــه . الطريــقُ لــيس هكــذا ، لكــن الطريــق أن تنشغل بالله ، وإذا وجدتَ مَن يمكن أن يَقبلَ النصيحة انصحــه ، وأَخرِجْ نفسَك من البَين ، لأنّ الهادي هو الله . فلا تنــزعجْ إذا لم يقبل ، لأنّ هذا قدرُ الله . مَن ينــزعج لعدم القبول هذا من حظِّ النّفس ، فالله تعالى قال : { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ } [لقمان /١٧] ، ولم يقــل أَجْبِرْ على المعروف . وقال الله تعالى لرسوله عليه الصّلاة والسّلام : { لَيْسَ عَلَيْكَ هُــدَاهُمْ } [البقرة /٢٧٢] .

تأثُّرُ الإنسان من عدم قبول النصيحة له شِقَّان :

١ ــ أن يشفقَ على المنصوح لعدم رجوعه عن المعاصي . هذا جيد.

٢ ــ أن يقول : لِمَ لَمْ يقبلْ مني ؟ وينــزعج منه ويلومه . هذا حظ نفس .

٤) المؤمنُ هيِّنٌ ، المؤمنُ ليِّنٌ ، المؤمن عاقلٌ ، المؤمن صابرٌ ، المؤمن يتوكَّلُ علــى الله . إذا رأى شيئاً مخالفاً ينصح ، فإن قَبِلوا قَبِلوا ، وإن لم يقبلوا يفوِّض أمرهم إلى الله .

٥) الرَّجُل هو مَن يشتغلُ بنفسه لا الذي يشتغل بغيره ، إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإن رأى في غيره عيباً ينصحه ، فإن قَبِلَ قَبِلَ ، وإن لم يقبل فالسبب هو دخول شريط الشــيطان على نفسه ، واختلاطُهُ بالفضائل الإلهية . وحتى يَخرج من هذا الاختلاط يحتاج إلى تمييز بين مــا يأتي من الشيطان وما يأتي من الله : { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } [الأنفــال /٢٩] . إذا قيل الحقُّ ولم يُقبَل هذا ظلمٌ للحقِّ .

ترى كل واحد قد أخذ برنامجاً من رأسه ، خَطَّطَه ورَسَمَه وأخذ درسه في داخله من الشيطان والنفس ، وفي ظاهره من شياطين الإنس ، فيقول : لو أفعل هكذا ماذا يقول الناس ؟ ولا يتفكر ماذا يقول الله .

هذه الأخلاقُ الذميمةُ فرضٌ على كل مسلم أن يتركها أولاً ، وبعدُ يلتجـئ إلى الله بالتوبة والإنابة : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ } [الشورى /٢٥] . فكما أنّ المؤمن الصادق يترك أكل الحرام والربا والفواحش الظاهرة ، عليه أيضاً أن يترك الأخلاق الذميمة ، لا أَنْ يعملَ صالحاً ويُضمرَ عصياناً ، قال الله تعالى : { وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ } [الأنعام /١٢٠] . كلّ هذه

الأخلاق الذميمة -من العُجب والكِبْر والرياء وعدم التوكل وعدم طلب رضا الله وغير ذلك- مذكورةٌ في القرآن الكريم .

والتوبةُ سببٌ في محبة الله للعبد : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } [البقرة / ٢٢٢] ، لكنَّ كثيراً من الناس لا يهتمّون بمحبة الله لهم . بابُ التوبة ليس مُسكَّراً بل مفتوح ، لقوله تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الأنفال / ٣٣] ، لكن لا يستغفرون .

الذي لا يُصِرُّ على المعاصي وتصدرُ منه المعصية غفلةً أو جهلاً غيرُ الذي يُصِرُّ عليها .

التوبة هي الرجوع عن المعاصي ؛ لكنْ إذا قال العبد : أتوب إلى الله وأرجع إليه ، ولم يترك الفعل ، فهذا ليس بتائب .

نحن نعرف الدّينَ لكنْ لا نخالفُ أنفسَنا ! فمِن مقتضى الإيمان عدمُ الإصرار على المعاصي .

س : ما هو الفرق بين الاستغفار والتوبة ؟

ج : التوبة هي انسلاخ العبد عن المعاصي . أما الاستغفار فيمكن للعبد أن يقع في بعض المعاصي من غير إصرار ولا يكون له علمٌ بأنه خالَفَ ، لكنه على الأقل يعرف أنه وقع في الغفلة ، فيستغفر من ذلك .

٦) هناك شريط (كاسيت) يأتي من الله تعالى وينزل على قلبك نوراً ورحمة ، فيَقوى إيمانُك ؛ وأنت تعرف أنّ هذا ليس كسبَك ، وهناك شريط آخر يأتي من الشيطان ، لا يأتي إليك مشافهة ، لأنه لا يستطيع الإفساد بنفسه ، بل يأتي عن طريق

النفس ، فيختلطُ عندك الشريطان ؛ تجتمع القبائح مع الفضائل ، فتتضرَّر ولا تميِّز ولا ترضى بذلك ؛ وهنا إمّا أن تبقى تحت سيطرة النفس والشيطان ، وإمّا أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وتحوِّلَ إبرة قلبك إلى الله ، فتَتخلص منه ، وإمّا أن تحكم بعقلك أن هذا موافق ، وعقلُك يتَّبع طبيعتَك البشرية ، وأنت تتَّبعه . فعليك أن تزن بميزان الشريعة .

٧) مَن سلَّم زمام أموره إلى نفسه كمَن سلَّم غنمه إلى الذئب ليرعاها . فإنه يأكلها أو يقتلها . لكن الذئب إذا أنهى حياة الغنم ليس عليه مسؤولية في الدنيا ولا في الآخرة، أما الإنسان فهو مسؤول ، سيفُ الشريعة مسلَّطٌ على عاتقه : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } [الصافات /٢٤] . فإذا اتَّبعنا هوى أنفسِنا تأكلُنا حتى تُذْهِبَ آخرَتَنا .

٨) المطرُ ــ أيْ عطاءُ الله ــ ليس على طلب العبد ، لكنَّه تعالى يعطــي عنــدما يريــد ولا يستشير أحداً ؛ لأنه سبحانه سميع بصير عليم ، يَعلمُ قصدَ العبد ويعلم إخلاصَه ويعلم هل عرف ربَّه أم لا .

العطاء يأتي من الله أحياناً بالتجلِّيات وأحياناً بالواردات وأحياناً بالفيوضات . فإذا أتاك شــيء من ذلك تشعر كأن حنفيَّة فُتحتْ ، فتفرح بها ، وتبقى تحت رحمته تعالى ، فيُطهَّر ظاهرُك وباطنُك بهذه التجليات .

والتجلِّياتُ إما أن تكون صفاتيِّةً أو ذاتيَّةً ؛ فمَن حصلتْ لــه التجليات الذاتية لا يمكنــه أن يتحرك لثقلها . أما التجليات الصفاتية فهي أخفُّ . واللهُ تعالى يفتحُ بلطفه ، وكــذلك بلطفــه وبرحمته يسكِّر . فلو أعطانا ربنا أكثر مما نتحمل ننقطع عن الأكل والشرب والناس ، وتحصــل عندنا الوحشة منهم ، ونذهب إلى الجبال .

٩) الوصول إلى إرضاء الرب ومعرفته ليس بيد العبد ، لكن عليه أن يطهِّر باطنَه من الكــبر والعجب والغرور والحظوظ النفسانية التي تلوِّثُــه كما يطهِّرُ ثوبَه من النجاسة للصلاة ، فإن الله سميع بصير عليم .

إذا رأى أحدُنا نجاسة على ثوب مصلٍّ يقول : صلاته فاسدة ؛ فما بالُنا واللهُ ينظر إلى بواطننــا ويرى فيها هذه الخبائث ؟

فلا بدّ للمؤمن أن يهتمَّ بتطهير باطنه كما يهتمُّ بتطهير ظاهره بل أكثر . لكن هذه الطهارة ليست على قدر همَّة الإنسان ، بل عليه أن يعتمد على الله تعالى ويتوبَ من ذنبه ، حتى يكون محبوباً عند الله : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة /٢٢٢] . فليس الأمر بكثرة الذكر ولا بكثرة الطاعة ولا بكثرة الصدقات ، لأنّ الله مطَّلِع على القلوب ، فهو سميع بصير عليم .

مَن استشعر بذلك يكون من أهل الإيمان الصادق ، ويكون تحت مراقبة الله جلّ وعلا ، ويتمسّك بأوامره ويترك نواهيه ؛ والتَّرْكُ مقدَّم على الفعل .

كثيرٌ منّا عبادتُهم الظاهرية أكثر من عبادة بعض الصحابة ، لكن أين العبادة من التطهير والإخلاص ؟

١٠) القصد من التذكير بأسماء الله الحسنى ــ السميع ، البصير ، العليم ــ أن يَنزجر المؤمن عن المعاصي ولو كان في مكان خالٍ ، ويقفَ على قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء/١] ، وليس القصدُ شرحَ أسماء الله الحسنى .

فمَن أراد أن يَقوى في دينه واستقامته عليه أن يتفكّر في صفات ربّه حتى تكون صفات ربّه مهيمنة عليه ، فإذا كان السميع البصير العليم مهيمناً عليه يعيش تحت مراقبة الله : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } [النساء/١] ، فلا يستطيع أن يقول أو يفعل شيئاً مخالفاً لله تعالى ؛ لأنّ الله تعالى يقول : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } [ق /١٦] . ما دام يعلمُ علينا أن نستحيِيَ من علمه . فلو اجتمع جاهل مع عالم يستحيي أن يتكلم في حضرته ؛ فكيف لا نستحيي من علم الله ؟

لو سألت مَن يخالف الشريعة : هل آمنت بالله ؟ يقول : نعم . هل آمنت بصفاته ؟ يقـــول : نعم . هل آمنت بأنّه يراك ؟ يقول : نعم . إذَنْ لِمَ لا تستحيي منه ؟ معناه : لا يجاهدون أنفسهم حتى يتخلّصوا من الأخلاق الذميمة . هذا تقسيم الله ؛ يُقِرّون بصفات الله تعالى لكن لا يجاهدون أنفسهم ، قال ربنا تبارك وتعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] ؛ فالهدايةُ من الله ، والطلبُ من العبـــد .

فعلى العاقل أن يتفكّر بأنّ الله كما لا يرضى لعباده الكفر ، كذلك لا يرضى لهم المخالَفـــة . فعلينا أن نسعى في رضاه .

ليس هناك أسهل من التمسّك بالكتاب والسُّنَّة . فإيمانُك بأنَّ الله يراك ويعلمُ ما في ضـــميرك ليس فيه تعب .

١١) كلّ مؤمن يحبُّ أن يرضى الله عنه ، لكنَّه يبقى على ما هو عليه ، ولا يتـــرك المعاصـــي والمخالفات ، ولا يعمل صالحاً ؛ فمن أحبَّ رضا الله عليه أن يترك ما هو عليه مـــن المعاصـــي ، ويكون صادقاً في طلبه ذاك الرضا ، و إذا وقع في مخالفة بحسب الطبيعة البشرية يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله . واللهُ مطَّلعٌ علىصدقه . قال تعالى : { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُـــونَ مِـــنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [التوبة /١٠٠] .

١٢) الإنسان في الدنيا إذا اشتغل بتجارةٍ مرَّةً أو مرّتين ولم يربح يَترك هذه التجارة. فكيـــف بالمؤمن الذي يؤمن بالله ورسوله والحشر والنشر لا يرجع عن المعاصي وهو يراها سببَ خسارته ؟

بعض المؤمنين يقولون : لا يمكن العمل بدون ربا أو بدون غش . بئس هذا الإيمان ، كما قال تعالى في حق اليهود : { قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة /٩٣] .

المؤمن الذي يفعل ذلك ينتفي عنه مقتضى الإيمان وليس الإيمان .

١٣) المحبَّةُ الصادقة تكون أولاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبواسطته إلى الله تعالى ؛ لأننا لا نقدر أن نحبّ الله رأساً ، وهو وجَّهنا إلى اتّباع رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يحبَّنا : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران /٣١]. فالإنسان لا يمكن أن يعرف الرب بدون واسطة ، والذي يدّعي أنّه يعرف الله بدون واسطةٍ دعواهُ باطلةٌ ، وإنْ كان من أهل الطريق فطريقتُهُ عاطلةٌ .

١٤) أكثر الناس يُحْرَمون من خيرات سيرهم وسلوكهم ــ وبالأساس دينِهم ــ لأنهم يفتخرون بعلمهم وتشدُّقِهم على الآخرين ، بهذا يَخسرون . لأنّ ما أعطاه الله للإنسان هو عارِيَةٌ ، فهل يحقُّ لمن استعار ثوباً ليلبسه أن يفتخر به ويتكبّر على الآخرين ؟ لا.

١٥) ليس هناك شرفٌ أعلى من شرف الدين . قال تعالى : { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } [الزخرف /٤٤] . الذكرُ هنا بمعنى الشرف . ويخطئ مَن يدّعي أنّ له شرفاً غير القرآن والسنّة والدّين . فَشرَفُ المؤمن تمسُّكُه واقتداؤه برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في أموره العادية . فمثلاً : حين يلبس ثيابه لو خطَرَ على باله أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس هكذا ، بهذا يُثاب .

لا أقول لك لا تتمسّك بمَن تمسّك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل أقول تمسك بأنّه واسطة . وإذا خالف هذا الواسطةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يكون اتِّباعه خسارةً له ولمن يتَّبعه .

١٦) مَن يذكرُ الله ليُفْتَحَ عليه هذا مخالفٌ ، لأنه إذا جاء وقت الفتح فالله لا يستشيرك . عليك أن تذكر الله ولا تطلب الفتح ولا الكشف ولا الكرامة .

فالهدف من دخول الخلوة أن يقطع المؤمن علاقته عن الناس حتى يستريحوا من فِتنته ، وبينَه وبين ربِّه يطهِّر قلبَه من الأخلاق الذميمة ، ولا يَطلبُ الكشفَ والكرامة والغرائب .

معنى هذا : أن لا يطلبَ العبدُ من الله شيئاً قبل أوانه ؛ لكن هذا غير الدعاء .

بعض الأولياء حَفظَهم الله من الكشف والكرامة .

١٧) النيَّةُ في دخول الخلوة أن نقطعَ شرورَنا عن الناس ، ونمنعَ أنفسَنا من الخلق، وبعدئذٍ إذا اشتغل صاحب الخلوة بالذكر وبقي مع ربِّه يستفيد . أما إ ذا كان متعلقاً بالخارج فيدخل الخلوة وهو بالجلوة . لذا ! التهيُّؤ للخلوة ضروري ، وكذلك في الاعتكاف .

إذا انقطع الشغل بالقرآن وبالذكر يهجم الشيطان ويَشحن النفسَ ، والنفسُ تعطي الفتيلَ فينشغل الإنسان بذلك .

وقال حفظه الله : ثبتَ يقيناً عند الفقير أن الانشغال بالدنيا والعلومِ والمشيخةِ سببٌ لعدم الفتح وللحرمان .

يَسمعون ويعتقدون ولا يعملون ، لِمَ ؟ لأنَّ انشغال القلب بالدنيا غالبٌ على لذّةِ الدين ولذّةِ الشريعة المحمّدية ولذّةِ المحبَّة الربَّانية ، لذا لا يَصلِون .

١٨) مَهما عَبَدَ الإنسانُ ربَّه جلَّ وعلا ــ إذا فتَّش بنور الإيـــمان ــ يطَّلعُ على أنَّ عبادتـــه ليست لائقة بجلال ربّه تعالى ، لأنها كلها مختلطة ومعلولة . فلْيُفكِّر الإنسانُ في صلاته ، كم كان فيها مع ربه وكم كان فيها مع الخواطر ؟ مِن حيث الفقه نقول : صلّى - لو كان مع الخواطر - لكنْ من حيث الحقيقة : حظُّه من صلاته ما فَهِمَ منها .

١٩) ليس كلُّ مَن يقرأ يَسمعُ ما قرأ ، وليس كلُّ مَن يسمعُ يَفهم قراءتَه أو سماعَه . كلُّنا نقرأ القرآن الكريم ، فلو كنا نفهمُ ما نقرأ لما كان حالُنا هكذا . ليس في الدنيا كتاب أفضـــل مـــن القرآن الكريم ، لكن يقرؤون وربما يفهمون المعاني إلا أَنهم لا يعملون بها.

فالطبيب يقرأ عن الدواء ويفهم ما يتعلق به وفي أي مرض يُوصف حتى يستعمله ؛ علينـــا أن نأخذ القرآن هكذا . فنِعْمَ الناصح القرآن .

كُلُّنا مَرَضُنا .. سرطانُنا عدمُ تطبيق القرآن على نفوسنا .

٢٠) كلُّ واحد منّا يقرأ القرآن ، لكنَّ فهمَنا للقرآن ليس بمثابةٍ واحدة ؛ فهناك مَن يذوب عندما يقرأ آية العذاب ، ويفرح حتى يكاد أن يطير عندما يقرأ آية الرحمة .

٢١) المراقبة لـــها جهتان : فأنت تراقب الله من جهتك ، ومن جهة أخرى أنت تحت مراقبة الله . لكن مراقبة الله قديمة ومسيطرة على جميع الخلق ، أما مراقبتنا فحادثة .

الغفلة لا تضرّ الإيمان لكن تنـــزل بنا عن هذه المرتبة .

٢٢) العملُ بالتصوّف صار مفقوداً ؛ فالإنسان لا يرجع عما كان مُصِرًّا عليه من المخالفـــات الشرعية ويَسأل عن أحكام التصوف ، فيقول : كيف أفعلُ حتى يُفْتَح علَيَّ ؟ نقول : أنتَ أغلقتَ على نفســـك ، كيف يُفتَح عليك ؟ فبالنسبة لأمثالنا - باستثناء البعض - السؤال عن التصوف أمر زائد ، لأنّ تطبيق الشريعة ناقص ؛ وهل يمكن للبناء أن يبنى بدون أساس ؟ الشـــريعة هـــي الأساس . فلو أنّ مئات الكشوفات والكرامات خالفَتْ أحد أحكام الشريعة نتركُهـــا جميعـــــاً ونأخذُ بالشريعة .

فأسرار هذا الدين تبقى غريبةً لا تُبيَّن ولا تؤخذ ، لأنّـــه ليس هنـــاك من يطلب ويطبِّق ، ومن يطلب فإنه يطلب لغرض ، فيكون طلبـــه معلولاً .

٢٣) دفعُ الفلوس كقَطْعِ اللحم من الجسد ، لذلك قال تعالى : { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران / ٩٢] . أَحَبُّ الأموال عند عامة الناس الذهبُ ، ولذا في الجنـــة : { يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ } [الكهف/٣١] ، وفي الدنيا : { زُيِّـــنَ لِلنَّـــاسِ حُـــبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَـــامِ وَالْحَرْثِ } [آل عمران /١٤] ، فقد قدَّم أولاً ذكر الذهب .

٢٤) بعض أهـــل الطريق أَغلقـــوا باب رحمة الله على أنفسهم ، وذلك بتوجُّههم إلى الناس وانشغالِهم بهم وفرحِهم بمدحهم واجتماعِهم عليهم .

مدح الناس لشخص يمكن أن يكون سبباً في تكبُّره ، حتى يسقط عن العبودية ويخسر الثواب ؛ فيتوجَّه إلى النّاس ولا يخطر على باله أنّ هذا رياءٌ أو شِرك . فالموظف عند الدولة هل يُقْبَل منه أن يعمل لحسابه ؟ بعضُ الناس يكون شيطاناً للآخر ، وذلك بأن يمدحه ، فيغتَرّ الممدوح حتى يسقط عن مرتبته ولا يبقى لــه قيمة عند الله . كيف تغتَرُّ بمدح الناس ؟ كلُّهم أفقر منك .

النّاس لا يحبّوننا ، لكن يحبون الله ويحبون دينهم ، لذلك اتَّبعونا ؛ فكيف نجمعهم علينا ؟ علينا أن لا نغترَّ بمن لا يعرف الحق والحقيقة ، فليس من شأن المؤمن أن يغتر بمن يمدحــه . أخلاقُنــا الذميمة مصيبةٌ علينا ، لأن الله تعالى لا يرضى بها ولا رسوله صلى الله عليه وسلم .

فعلى المؤمن الذي آمن بوحدانية الله وبوجوده وبأنّ ذاته لا تماثل ذاتاً أخــرى ، وأنّ صــفاته تعالى لا تماثل صفات أخرى ، عليه أن يكتفي بعلم الله وبأنّه يراه ؛ هذا من الإيمان .

فالذي يغترّ بمدح الناس واجتماعهم عليه يسقط عن مرتبة الإنسانيــة ، ويُعين نفسَه ويكــون آلةً للشيطان .

٢٥) علاج الكِبْرِ والعُجب أن ننظر إلى أصلنا بأنه عدم - وهل هناك شــيء أخَــسُّ مــن العدم ؟ - ثم من نطفة مستقذَرة .

مَن خلقَنا ؟ الله . مَن أخرجنا من العدم ؟ الله . فكيف يتكبر الإنسان ؟ وكيف يُعْجَبُ بنفسه ويقول : أنا .. أنا ؟ نعوذ بالله .

فكما أنّ المؤمن يحرص على أن لا يفوته شيء من الفرائض ، كذلك عليه أن يحاول أن لا يضيِّع شيئاً منها بسبب الكبر والعجب ، وأن يحافظ عليها كما يحافظ على فلوسه من الضياع .

٢٦) مَن كان مستقيماً على دينه تكون طبيعتُه دينيةً محمديةً ، ويحوِّلُ من الأخلاق الذّميمة إلى الأخـــلاق الحميـــدة ، إلى أن يتحقـــق بقـــول الله تعـــالى في الحـــديث القدســـي : ((كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)) [صحيح البخاري /٦٢٦١].

س : يريد العبد أن يتلخص من الخلق الذميم، ولكن الأمر غالب عليه ، فما العلاج؟

ج : هذا من الغفلة وغلبة النفس . وعلاجه : التمسُّكُ بالكتابِ والسُّنةِ وكثرةُ الذكر وصلاةُ الخاشعين : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون /١-٢] ، لكن الإنسان ليس ملَكاً بل هو بشر ، والأخلاقُ البشرية موجودة فيه ــ من الحقـــد والكـــبر والحسد والتعالي على الغير... الخ ــ فعليه أن يتوب ويستغفر ، قال تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران /١٣٥] . نِعْمَ الوصايا وصايا القرآن ، ونِعْمَ الوصايا وصايا السنة المحمدية ، ونِعْمَ الوصايا وصايا عباد الله الصالحين . لكنَّ النفسَ بلاءٌ علينا ، والخلق الذين يمدحون بلاءٌ آخر .

٢٧) قال الله تعالى : { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } [لقمان/١٥] ، أي : اسلك طريق مَـــن رجع إلى الله بالتوحيد والطاعة .

مَن لم يُنِبْ إلى الله اتّباعُه فاسدٌ ، فكيف أهل الدّين يتّبعون أهل الدنيا الذين استغرقوا في الدنيا ويوجِّهون النّاس إليها ؟ قال تعالى : { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } [النجم /٢٩-٣٠] ، وقال أيضاً: { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف /٢٨]. لأنّ مَن كان غافلاً لا تصل الكهرباء منه إلى غيره ، لأنه ليس متصلاً.

٢٨) يفرح الإنسان إذا أنعم الله عليه بمعنىً وخَرج من فمه وبلَّغه للمسلمين فأخذوا به ، قال تعالى : { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآَخِرِينَ } [الشعراء /٨٤] . يقول المفسرون : إذا خرج من فمنا كلام حلو علينا أن نشكر الله ونَردَّ مصدر الكلام إليه .

شَرْطُ هذا الفرح أن لا يُعجبَ الإنسانُ بنفسه ولا يغترَّ .

علينا أن نعرف ربَّنا ونتفكَّرَ في صفاته الجليلة ؛ فما دام يرانا قبل الشخص الذي يمدحنا ، وهو مطَّلِع على باطننا ، علينا أن نكتفي بعلمه ولا نغترَّ بكلام المادحين ، وعلينا أن نستغفره ونتوب إليه سبحانه وتعالى .

ولا يطّلعُ الإنسان على هذه الأمور إلا بالمجاهدة ؛ فأحياناً يأتي الرياء فينتبه الإنسان قبل أن يصل إليه ، وأحياناً يصل الرياء إليه ثم ينتبه . الحالة الأولى جيدة ، وتحصل بقطعِ العلاقة عن الناس والتعلّقِ بالله وكثرةِ الذكر مع الصلاة والصوم .. ، وهذا ليس بالأمر السهل لأننا بشر ، نفرح بالمدح ونحزن بالذم . فعلينا أن نحوِّل إلى الله ونتوب إليه .

إيمانُنا موجود ، لكنَّ أعمالَنــا مختلطــة ؛ فقد سئل الحسن البصري رضي الله عنه : هل أنت مؤمن ؟ فقال : إن كان سؤالك عن الإيمان بالله وملائكته وكتــبه ورســله واليــوم الآخــر فأنا مؤمن ، أما إذا كان ســؤالك عن : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُــوبُهُمْ } [الأنفال /٢] ، فلا أعرف .

٢٩) قال الله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُــمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا } [الجن /٢٠-٢١] . في هذه الآية تبرّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مــن نفسه بأمر الله ، مع أنه شفيع جميع الناس يوم القيامة ، { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَــنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاَغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ } [الجن /٢٢-٢٣] .

هذا الأمر العظيم من الله العظيم للرسول العظيم ؛ فكيف حال الرعية ؟ أنا وأنــت أين نكون ؟ صِفر .

فمَن وجَّه النّاس إلى نفسه يكون ظاهرهُ مؤمنٌ وباطنهُ فرعونُ .

وفي آية أخرى يقول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَــرٌ مِــثْلُكُمْ } [الكهف /١١٠] . تبرَّأ بأمر الله حتى يُصَفَّى ويُطَهَّرَ وينقطعَ عن التعلق بجميع الأسباب ، مــع قيامه بوظيفته وأخذه بالأسباب التي خلقها الله تعالى .

٣٠) مَن قــرأ القرآن ودقَّق بالقــراءة وتحقَّق بمعاني القرآن مع

الإخلاص يحصل لــه أمران :

الأول : إذا استشعر أنه يقرأ بين يدي الله تعالى واللهُ يراقبه ويسمع منه وهو يتلــو ، تســتولي عظمة الله عليه .

الثاني : مِن عظمة القرآن وإعجازِه تَنْــزِلُ على قلب القارئ السكينةُ والفيوضــاتُ الإلهيــة والأنوارُ الإلهية . كلا الأمرين من إعجاز القرآن .. من فضيلة القرآن .. من عظمة القرآن .. من بركة القرآن . نحن لا نتكلّم تخميناً ولا جزافاً ، بل وجدنا هذا حقيقة . ليس هناك بعد الإيمــان والفرائض أفضل من قراءة القرآن ، سواء فُهِم المعنى أم لم يُفْهَم .

٣١) إذا دخل الخاطر إلى القلب ولم تَرَهُ حينذاك يُقْطَع الذكر وتبقى لقلقة اللسان فلا يُستفاد منها ؛ لكنْ لا يُتْرَك الذكر لكثرة الخواطــر ، لأنه لابدّ أن يأتي يوم تذهب فيه هذه الخواطر برحمة الله ، وينـــزل الذكر إلى القلب ، لكن لابدَّ لذلك من المجاهدة : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/٦٩] ، لأن الشيطان إذا وجد فرصة من النفس يدخل ، لكـــن خطراتــه كلها فاضي (لا قيمة لها) ، فلو جُمِعَتْ لا تملأ قشرة جوز بل قشرة فستق ، ولو فَتَحْتَ عينيك لا ترى شيئاً ، والله تعالى يقول : { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفــاً } [النساء /٧٦] . علاج ذلك أن تستعيذ بالله وتضرب بلفظ الجلالة على ذلك الخاطر ، فتكون قد ســحبت (فــيش) الشيطان من (البريز) ، أما إذا كَثُرَتِ الخطرات حتى قلَّ الإيمان ، فعليك أن تأتي بالدلائل حتى تقوي إيمانك .

مع وجود الإيمان ، إذا لم يذكر المؤمنُ ربَّه كثيراً لا تكون صلاتُه صلاةً ؛ لذلك أَمَرَنا ربُّنا بكثرة الذكر ونَصَحَنا بذلك أسيادنا أيضاً لما وجدوا من ثمراته من خلال تجاربهم ومجاهداتهم وخبراتهم .

الذي تأتيه الخطرات لا نشكّ بإيمانه ، لكن قلبه لم ينتبه ؛ فانتباه القلب غير الإيمان، ومجرَّد الإيمان لا يمنع الإنسان عن الوقوع في المعاصي .فعدمُ حصول الحضورِ والمشاهدةِ ليس بسبب عدم وجود الإيمان ؛ بل سببه فراغ القلب من الانتباه ، قال تعالى : {وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } [الكهف /٢٤] . يعني الإيمان موجود وقوي ، لكنْ مع ذلك تأتي الغفلة .

إذا لم ينغمس المؤمن في الغفلة ولم يسترسل معها فإنها لا تضر إيمانه بل تضر قلبه ، أما الاسترسال مع الغفلة فإن يضرُّ الإيمان ، ولا يبقى حجاب بين الإنسان وبين المعاصي .

صفاء التوحيد كذلك مرتبط بكثرة الذكر ، فإذا كَثُرَ الذكر يثبت التوحيد ويصفو ، ويصل صاحبه إلى : ((أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك)) [صحيح مسلم /٥٩] . لذلك كل الأولياء يربطون المشاهدة والخشية والحضور بـ : (أن تعبد الله كأنّك تراه) .

صاحب الإيمان وصاحب التوحيد إذا صفا فإنه يصفو بكثرة الذكر وباتباع سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن صفاء التوحيد لا يحصل إلا بفراغ القلب من الأغيار ، وهذا لا يحصل إلا بكثرة الذكر .

٣٢) الله تعالى عالم ، يعلم الظاهر والباطن . اعتبار الظاهر بالموافقة للشريعة ، أما الباطن فالله مطّلع عليه . فإذا رأى أن عزيمتك جيدة واعتقادك جيد ، لكنك لا تقدر لضعفك - وأنت تريد - ، فباطّلاعه على طلبك يُخرجك من ذلك الضيق إلى الفضاء الواسع .

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على ذلك ، منها : { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا } [ص /٤٤] ، ومنها: { إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ } [ص /٤٦] . فإذا وجد الله في العبد الطلبَ ، لكــنْ لضعفه لم يتمكن من الوصول إلى طلبه على الرغم من مجاهدته ، فالله يعطيه إذا وجد أن ذلك لائق به ، ولا يتركه لقوَّته ، لأن القوة لا تكفي .

٣٣) إذا دخل الجدل يدخل الشيطان ، فيحصل البعد عن مقتضى الإيمان ، ويتدخل العقل . فعلى المؤمن أن يكون منصفاً ، وبالتالي يقبل الحق سواء ظهر على لسانه أو لسان خصمه .من هنا يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :(ما جادلت أحداً إلا وددت أن يظهر الحق على لسانه).

٣٤) المؤمن ليس جاهلاً ولا بعيداً عن الأحكام الشرعية ظاهراً وباطناً ، و هوعالم بــالأخلاق الذميمة ، لكن الخلاص من الأخلاق الذميمة ليس كسحب الشعرة من اللبن ، بل لا بــد مــن المجاهدة .

تسألون : كيفَ ... كيفَ ؟ ولا تعملون . كما يحفظ الإنسان جسمه من أكل السمّ ، لأنــه تيقّن أن السمّ يقتله فلا يأكله ؛ عليه أن يحفظ قلبه من الأخلاق الذميمة لأنها تُفني الدين وتفــني الآخرة . لكنك ترى أن المؤمن إذا جاءت مناسبة لاستعمال الأخلاق الذميمة يستعملها ؛ هذا من ضعف الإيمان . يسمح بخراب دينه ولا يسمح بخراب جسمه .

٣٥) المعاصي مع العلم هلاك ، أما مع الجهل فقد قال الله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء / ١٧] .

أحياناً يعمل الإنسان السوء والمعاصي ويكون بابُ قلبه مسكّراً فلا ينتبه لهذه المعاصي ــ مع علمه حقيقة بأنها معاصٍ ــ وبعدَ مدّة يُفْتَح باب قلبه فينبهه إيمانُه أنه فعل ما فعل من المعاصي أو نوى أن يفعل ؛ فحينئذٍ عليه أن يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله .

٣٦) العلم إذا لم يكن سببَ نجاة الإنسان في الآخرة يكون وبالاً عليه ؛ لذلك قيَّد الله العلم بالخشية فقال : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر /٢٨] . فإذا لم يكن عند العالم خشية لا يَعْمَلُ بعلمه ، ويكون ذلك سبباً في قدح النّاس له .

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما العلم ؟ قال : ((إمام العمل)) [رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم عن الحسن . وقال هو حديث حسن . روي من طرق شتى موقوفاً ، ورَفْعُهُ غريب جداً] . فإن لم يكن دليلَ العمل يكون دليلاً لكبر النفس .

إذا لم يستفد العالم من علمه بالتقرب إلى الله تعالى يكون علمه سبباً لبعده عن الله .

أضاف سيدنا الشيخ ــ حفظه الله ــ : واللهِ إني أخاف من نفسي أكثر من خوفي من الشيطان ، لذا فإنني كلما أدعو أقول : اللهم إني أستعيذ بك من شرور نفسي .

الاستعاذة من الشيطان مرّة ومن النفس مرّات .

الإنسان لا يَأمن على دوام إيمانه إلى أن يموت ،لذلك قال سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: { وَ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ } [إبراهيم /٣٥] . نسأل الله أن يجعل حاجزاً بيننا وبين نفوسنا حتى لا تدخل بيننا وبين إيماننا .

٣٧) قال الله تعالى : { قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ } [الأنعام /٩١] . هذه الآية نزلت في حقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والكافرين ، لكن حكمها عامّ .

فعلى الإنسان أن يترك مالا يعنيه ، لكنه ما دام في الدنيا فلا بد أن يشتغل مع الناس بالمعاملة والكلام والمعيشة ؛ فإذا وجد جماعة أو أشخاصاً مخالفين للدّين عليه نفسه : { عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة /١٠٥] ، أما إذا ما كان يشغله أمراً باطنياً فعليه أن يأخذ مَسَّاحة ويمسح جميع الأمور التي تهجم على القلب بقوله : (الله) .

لذا ! الأولياء يقولون : إذا هجمت عليك الخطرات في الخلوات أو الجلوات فاضرب عليها لفظ الجلالة يمسحها . يقيناً يمسح ، ويكون هذا تنـزيهاً للسر وتطهيراً للقلب من الأغيار ؛ فلا يمكن المسح بغير الاستعانة بالله ثم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحياناً بالخلفاء الراشدين ، لذا يقولون : مَن تذكّر سيدنا عمر رضي الله عنه تذهب عنه الخطرات ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إيهاً يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قطُّ إلا سلك فجاً غير فّجِّك)) [صحيح البخاري /٣٥٣٦] .

٣٨) الإلهام نوعان :

الأول : أن يتجلّى الله تعالى على الأحجار والجبال والأشجار فتأتي أصوات من هذه الموجودات ، يسمعها الملْهَم ، ومَن كان بجانبه لا يسمع .

والثاني : معنى بدون صوت يأتي إلى القلب ، يمرّ مثل البرق فيفهم صاحبه معناه .

أما لَمَّة الملَك فهي شيء آخر : إنها أفضال الله تتنـزل بها الملائكة على قلوب المؤمنين بأمر الله.

٣٩) الذي عنده شيء من العلم لا يسلِّم لهذا الدين ولا إلى هذا الطريق ؛ لا يطأطئ رأسه ، فلا يكون ذكره كذكر الفقراء . نقول له : يأخي ، هذا العلم لأجل أي شيء ؟ لأجل العمل . فإذا لم تعمل به يكون من حطام الدنيا ، تأكل الدنيا به ولا تعمل به ، فيكون آلة للكبر ، لكن الناس لا يعرفون هذا ، يقولون عنك عالم .

العلماء في الناس كالملح للحم يحفظه من الفساد ، فإذا فسد الملح كيف حال اللحم ؟ عندئذ يكون الذئب راعياً للغنم .

لقد رأيتُ أساتذتي علومَهم مثل البحر ، ومع ذلك كان عندهم تقوى وعمل وسخاء رغم فقرهم ؛ فعلى العالم أن يَظْهَر أَثَرُ علمِهِ في أخلاقه . نحن لا نُنكر على العلم ، لأنه ليس في الدنيا بعد الإيمان أفضل من العلم ، لكن إذا كان هذا العلم لنا لا علينا . لذلك قيّد الله العلم بالخشية ؛ فيجب على صاحب العلم أن يكون ذليلاً متواضعاً خادماً للناس ليس رئيساً عليهم . وكلُّ هذا نقرؤه في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم .

يقول أحدهم : لِمَ لا يبالي الناس بعلمي ؟ما رأينا وما سمعنا أن العلم بدون عمل يُحْتَرَم صاحبه. فالعوام الذين ليسوا متكبرين أفضل من الذين تقولون عنهم خواص - بالنظر إلى علمهم - ، لأنّ المقياس عند الله هو الصدق ، بدليل قوله تعالى : { قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ }[المائدة /١١٩]، فكانت نتيجة صدقهم أن رضي الله عنهم ورضوا عنه . رضا الله عن العبد يكون عند موافقته لدين الله تعالى وشريعته ، ورضا العبد عن الله يكون برضاه بما أعطاه من النعم الكبيرة .

٤٠) قال الله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً } [فاطر /٦] ، ولم يقـــل إن المؤمنين لكم أعداء ، بل قال : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات /١٠] . فكيف يشـــتغل المؤمن بعداوة المؤمنين ، ولا يشتغل بعداوة عدوّه الحقيقـــي ، ألا وهو الشيطان ؟

الدنيا صارت هكذا ؛ المؤمنون بعضهم عدوّ لبعض ، والكفار كلّهم أعداء للمؤمنين، وأعداء فيما بينهم .

٤١) قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِـــكَ هُـــمْ خَيْـــرُ الْبَرِيَّـــةِ } [البينة /٧] . بعض المفسرين يقولون : هؤلاء مرتبتهم أعلى من مرتبة الملائكـــة ، لأنّ كلمـــة البريّة تشمل جميع المخلوقات بما فيهم الملائكة . فهؤلاء أخلاقيتهم مَلَكيـــّة ، وجسديتهم بشريـــة .

الذي أعدّه الله تعالى للمؤمنين من أمّة محمّد صـــلى الله عليـــه وســـلم في الآخـــرة لا يُعـــدُّ ولا يُحصى ؛ أمّا في الدنيا فهو يهدِّدُهم وينصحهم ويتلطّف بهم . فمثـــلاً : لَمَّا عرف ضعفنا تجاه النساء ، رغّبنا كثيراً بالحور العين ، فقـــال : { وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُـــونِ } [الواقعـــة /٢٢-٢٣] . هذا من رحمة الله تعالى بنا ، فعلينا أن نستحيي .

س : بعض النساء تغار من الحور العين !

ج : هذه الغيرة من النفسِ وأستاذِها الشيطان ، ولا يعرفون أنه في الجنة لا يبقـــى غـــيرة ولا غيرها من الصفات الذميمة . ومن رحمة الله تعالى بنا أن قال : { وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ } [الرعد /٢٣] ؛ فإذا كان مقام الزوج أعلى من مقام الزوجة فالله تعـــالى يجمـــع

بينهمـــا بسبب الصلاح ، وهو هنا الإيمان ؛ لكن نعيم كل واحد على حسب مرتبته ، ولو كانوا في مكان واحد .

٤٢) لا بدّ للؤمن أن يقيس نفسه بالصدق ، فوجدان كل واحد منّا يعرف أنّه صادق مع الله أم لا .

فهو يعرف مثلاً : إذا حَدَّثَ هل يُفْلِتُ من فمه نوع من الكذب أوْ لا ؛ كذلك يعـــرف هـــل يحصل عنده حسدٌ للآخرين أو تكبُّرٌ عليهم أوْ لا ، وهل عنده عُجْبٌ أو بخل أو لا ؛ كلٌّ واحد يعرف ، لكن يعلمون ولا يعملون .

أقبح القبائح الرضا عن النفس ؛ فهي من ناحية صَديقة ، ومن ناحية أخرى عدوٌّ لدود ، فكيف يحاربها وهو راض عنها ؟! الحل: هو التوبة والرجوع إلى الله تعالى ، وترك المعاصي ، لأن التـــرك مقدَّم على الفعل ، فتكون النتيجة : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } [البقرة /٢٢٢] . ومَن منّا لا يريد أن يحبّه الله ؟ فلو سَأَلْتَ حتى شاربَ بالخمر : هل تريد أن يحبك الله ؟ يقول : نعم . فـــإذا ثبتت التوبة ، قطعاً تثبت المحبة بالوعد الذي وعد الله لعباده ، وإذا ثبتت محبة الله فهي عظيمـــة ، عظيمة ، عظيمة بعظمة الله . عندئذٍ اللائقُ بالمحبوب أن يدور تحت أمر الله تعالى، فإذا قال لـــه: افعل، يفعل بقدر طاقته : { لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا } [البقرة/ ٢٨٦] ، وإذا صدر عنه شيء مخالف بطبيعته البشرية فإنه يستعذر ويتوب ؛ عندئذٍ لا يخرج عن محبة الله لـــه ، فالله تعالى يقول : { الآَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا } [الأنفال /٦٦] . فمَن اعتذر لا يطرده الله من رحمته ما دام الذي صدر منه لم يكن عن إصرار . كما قال الله تعالى : { وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَـــا فَعَلُوا... } [آل عمران /١٣٥] ، لأنّ المعاصي بقضاء الله كُتبت على العبد من الأزل ، والقـــدرُ

يُطْهِرُها بوقتها ؛ فإذا أذنب العبد ثم تاب ثم وقع مرة ثانية فعليه أن يكرر التوبة كذلك ، ولا يُعَدُّ هذا من توبة الكذابين ، لأنه ليس فيه إصرار .

التوبة أمر الله ، وعودة الوقوع من أنفسنا . لذا يقولون : الغفلة عن الله تعالى مفتاح جهنم .

٤٣) باب السنّة مفتوح ، وباب الحق والحقيقة مفتوح ، ولا يمكن للنفس أن تسكّر باب الحق والحقيقة والكتاب والسنة والشريعة المحمدية على صاحبها إلا إذا استرسل معها ، لأنّ التمسّك بالشريعة أقوى ، وهو مقتضى الإيمان . فالنّفس لا يمكن أن تدخل على صاحب الإيمان إلا إذا سمح لها ، لأن الإيمان حافظ ، والملائكة حافظون . لكنّ النفس والشيطان إذا وجدا فرصة عند صاحب الإيمان يدخلان ويزيّنان له المخالفة ، فيفسد بذلك مقتضى الإيمان ، إلا إذا حفظه الله من البعد والغفلة ، فهو عندئذٍ يضرب النفس على رأسها ولا يستجيب لها .

٤٤) قال الله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } [الشورى /٥٢] . المقصود من الروح هنا : القرآن الكريم ، لأن القرآن أحيا قلوب البشر .

وجودُ الروح بالجسد دليلُ الحياة ، ودخولُ القرآن إلى القلب دليلُ حياة ذلك القلب . فيا أهل القرآن ماذا فعل القرآن بقلوبكم ؟ فإن الماء ربيع الأرض ، والقرآن ربيع القلوب .

٤٥) قال الله تعالى : { فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/٦٥] . المؤمن يطبّق حكم الله ولا ينكره ، والكافر لا يطبقه وينكره ؛ أما مَن لم يطبق ولم ينكر ، فهو مؤمن وليس بكافر ، لكنه عاصٍ . فإذا رجَّح هواه على أمر اللهِ يُخاف عليه ، لكنه لا يكون كافراً .

قد يضيق صدرُ المؤمن بحكم الله ، لكنّه يقبَل به ؛ هذا لا يضرُّ إيمانَه . أمّا أن يفرح بالحكم ولو كان خلاف مصلحته ، فهذا صعب . فقد وردعن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال : (مـــا خاصمت أحداً إلا أردت أن يظهر الحق على يديه) .

كلّما أمكن أن يُحْمَل كلامُ المكلَّفين المؤمنين على مَحمَل يخلصهم من الكفر يجب علينا ذلك ، لأن الكفرَ شكٌّ ، والإيمان يقينٌ ، واليقينُ لا يذهب بالشك . فالإيمان لا يذهب بالمعاصـــي بـــل بالإنكار .

٤٦) العبادة لدخول الجنة ناقصة ، والعبادة لخوف العقاب أيضاً ناقصة ، لكن المهمّ هو رضا الله تعالى . فإذا كنّا مخالفين لرضاه نرجو من فضله أن يعفو عنا .

قد تسوِّف النّفس وتقول لصاحبها : في المستقبل تتوب وتستغفر ، والله يعفو عنك . علينا أن لا نقبل بهذا ، لأن الإنسان - بجِرمه الصغير - إذا عمل باتجاه الخالق العظيم شيئاً لا يرضاه فهذا جُرْمٌ عظيم .

٤٧) الحضور التام الدائم ليس بيدك بل بيد الله؛ منك المجاهدةُ ، والعطاءُ من الله : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] ، فإن كنت صادقاً جاهد نفسك ، وعـــذِّبْها بالمجاهدة تجد النتيجة .

أهـــل الطريق لا يطلبون الثواب ، بل يريدون العبدية .

نعبد الله تعالى لأننا عبيد وهو خالقنا ، لكننا لا نصل إلى العبدية لأننا لا نجاهد أنفسنا ، مع اعتقادنا وتصديقنا بقوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] ، وقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }[آل عمران /٩] .

فمَن جاهد نفسه يعطيه الله بقدر استعداده ، وبقدر ما يلزم له . فالعطاء بقدر ما يشاء الله ، لا بقدر ما نشاء نحن .

كلّما كان القلب خالياً من حب الدنيا أكثر يزداد الحرص على المجاهدة أكثر ؛ فإنّ السفينة لا تجري على اليبس ، بل تجري على الماء .

٤٨) جميع النفوس أمارة ، وشرورها كثيرة ، أكثر من شرور الشيطان ، حتى نفوس أهل الصلاح ، ولكن هؤلاء لا يوافقون نفوسهم .

فمن حكمة الله أن ربط الشيطان على بابه ، فمن أراد الدخول يهجم عليه ، فإن أصغى إليه يكون ممن قال الله تعالى فيهم : { لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [السجدة /١٣] ، و إذا استعاذ بالله منه يكون ممن قال الله فيهم : { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأعراف/٢٠٠] . هذا لا يظهر إلا لمن ثَبَتَتْ عظمة الله في قلبه ، عندئذ يخاف من ذلك الرب ، الذي لا يتحرك شيء في هذا الكون ولا يسكن إلا بعلمه وإرادته وقدرته .

قال الله تعالى : { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة /٢٣٥] .

إن لم تثبت عظمة الله في قلب المؤمن لا يرجع عن الأخلاق الذميمة ، ولا يَأْمَنُ من شرّ نفسه . ومَن لم يعرف هذا الأمر فإنه يدافع عن نفسه ، ويُسلِّمها أمور مملكة جسمه ، فيصبح كمَن سلّم أمور المملكة لامرأة فاجرة فاسقة ماكرة . فكيف تصبح أمور المملكة ؟

هل يمكن لأحد أن يقول : لا يوجد عندي حسد .. لا يوجد عند كِبر ؟ يعني ينـــــزّه تلـــك النفس الخبيثة عن تلك الأمور ، والله لم يبرِّئها ، فقال تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَـــوَاهُ } [الجاثية /٢٣] .

لكن إذا ثبتت عظمة الله في القلب ، فكل هذه الصفات الذميمة تصبح مثل القـــش ، هبـــاءً منثوراً . قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فإن الجنة هي المـــأوى } [النازعات /٤٠] .

فمَن يستطيع أن يواجه عظمة الله تعالى ؟ لا بد أن تلبس لباس هذه العظمة في كل الأوقات ، كما تلبس الصوف أيام البرد ، وإذا لم يذهب البرد تبقى لابساً هذا اللباس ليقيك مـــن شـــرّه . كذلك عليك أن تلبس لباس العظمة الإلهية على الدّوام ، حتى يقيك من شرور النفس الأمّارة ، لأنّ صفاتها الخبيثة لا تفارقها .

٤٩) قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } [البقرة /٢٢٢] . هذه مرتبـــة عاليـــة ، عالية ، عالية - بعد الإيمان - . التوبة هي رجوع العبد عمّا هو عليه من المعاصي . مَن لم يرجع معناه :لم تثبت عظمة الله تعالى عنده ، لأنّ عظمة الله تعالى إذا استولت على مشاعر الإنسان يرى نفسه ذليلاً فقيراً محتاجاً ، حتى إنه لو علم أنّ رضا الله متوقّف على موته لنطق بـــ : ((أشهد أن

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) واستسلم لذلك . لأنّه يعلم أن مَن كانت حياته في الله وبالله ولله فهو لا يموت ، بل يتحول من حال إلى حال تحت هذه العظمة .

٥٠) المهم للمؤمن أمران :

الأول : أن يتمسك بالشريعة ، وأن يحاول أن لا يخالف ربه حتى يكون مظهراً لرضا الرب .

الثاني : مع تمسكه بالشريعة عليه أن يخاف من عدم القبول .

وكلا الأمرين مجهول عندنا . قد نقول : نحن متمسّكون بالشـــريعة . لكن لا نعلم هل يرضـــى ربّنا عن عملنا أم لا ، لأن رضا الله متعلّق بالإخلاص ، ونحن لا نعلم قطعياً أنّ عملنا كـــان مـــع الإخـــلاص ، وكذلك لا نعلم هل قَبِلَ مِنَّا ربنا ، أم دخل في عملنـــا شيء أسقط عنه القبول . قال تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون /٦٠] . سأَلَتْ السيدة عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الآية الكريمة فقالت : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَـــوْا وَقُلُـــوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون /٦٠] ، أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر ، وهو مع ذلك يخاف الله عز وجل ، فقال لها : ((لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدّق ، وهو يخاف الله عزّ وجلّ)) [مسند الإمام أحمد /٢٤٧٩] . كلُّ هذه الأمور من ثمرات الإيمان .

٥١) رضا الله تعالى متعلّق بالصّدق ، بدليل قوله تعالى :{ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّـــادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْـــهُ } [المائدة /١١٩] . أمّا محبّة الله تعالى فمتعلّقة باتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بـــدليل قوله تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران /٣١] ، وكذلك

بالتّوبة والإنابة بقلب خالص إلى الله عز وجل ، كما قال تعـــالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِـــبُّ التَّـــوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة /٢٢٢] .

فالاتّباع ـــ ولو كان قليلاً ـــ إذا كان مع الصدق يوصل إلى رضا الله تعالى ، أما كثرة الاتباع فإنها توصل إلى محبة الله تعالى .

٥٢) الاستعدادُ خلَقَه الله في الإنسان دون مداخلة الإنسان نفسه ؛ فبعض النّاس لهم استعداد جيّد ، لكنهم لا يستعملونه فيما خُلِقَ لـــه ، أي في أمور الدين .

مَن كان عنده استعداد يَظْهَرُ استعداده على قدر تمسّكه بالشريعة ، وإذا فُتِح الاستعداد تُفْتَح العلوم ، ويُفْتَح الذكاء والعقل ، أمّا مَن لم يكن عنده استعداد فإن كان متمسّكاً بالشريعة موافقاً للمرشد يكون سالماً ، ولو لم يحصل له الترقي .

٥٣) سِرُّ الطريق غالٍ ، لكن المبتدئ إذا كان صادقاً فإنّ الله تعالى يُظهر لـــه بعض الأمـــور حتّى يقوى اعتقادُه في الطريق ، فإذا قوي اعتقاده فإن هذه الأمور قد تظهر له أوْ لا ، فعليه أن لا يلتفت إليها .

مَن اتّصل بخادم ا لطّريقة وسلَّم له - وهو يعتقد أنّ خادم الطريقة صادق - يجري عليـــه ممّـــا جرى مع خادم الطريقة ؛ لأنّ خادم الطريق قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد . قال الله تعالى : { الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } [الفرقان /٥٩] . الخبير الأول هو الله تعالى ، والخبير الثاني هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخبير الثالث هو وارث رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم .

٥٤) مـــَن لم توجد عنده علوم التّصوّف والطّريقة والحقيقة يكون مثل الجَبَسِ الذي لم ينضج و لم يأتِ زمانه ؛ لو شققته ترى أنّه لا يُؤكل ولا يُستفاد منه ، مع أنّه ظاهراً جَبَس ، لكنْ كَبُـــرَ جسمُه دون أن ينضج داخله .

٥٥) لا تَصْفو الدّنيا لأحد ، فهي ما صَفَتْ لرسول الله صلى الله عليه وســـلم ؛ لأنّهـــا دار تكليف . ما دام ربُّنا قد قال : { لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود / ١١٩] ، هذا وعيد من الله . فكما وعد المؤمنين بالجنّة والتّوبة إذا تابوا ، كذلك وعد الكـــافرين بالنّـــار وهدَّدهم فقال : { فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } [السّجدة / ١٤] .

٥٦) قال سيّدنا أبو هريرة رضي الله عنه : [أُوتيت جرابين من العلم ، أَفضيتُ بالأوّل ، ولو أفضيت بالثّاني لقُطع منّي هذا الحلقوم] .

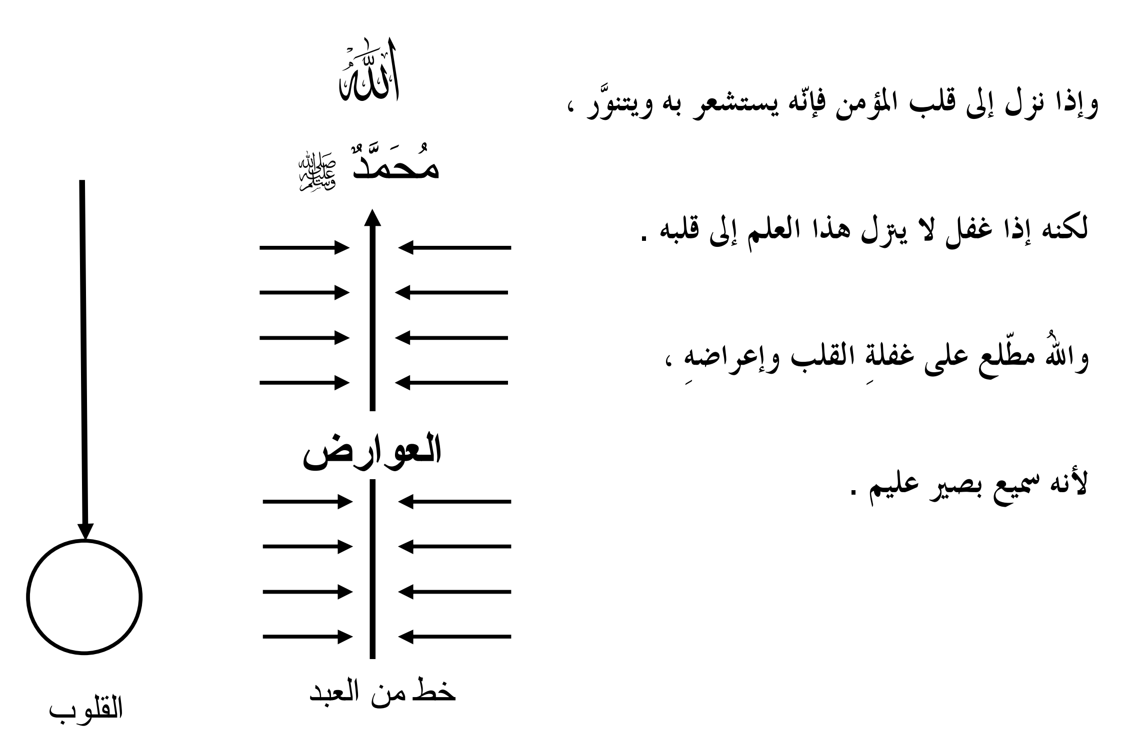
هذا العلم الإلهي الذي يعلّمـــه الله لعباده يَنـــزل مثل الغيـــم ، ليس ظلمـــةً ولا ضوءاً .

وإذا نزل إلى قلب المؤمن فإنّه يستشعر به ويتنوَّر ،

لكنه إذا غفل لا يترل هذا العلم إلى قلبه .

واللهُ مطّلع على غفلةِ القلب وإعراضهِ ،

لأنه سميع بصير عليم .



هذا من الرب إلى العبد ؛ وأما من العبد إلى الربّ فهناك خطٌّ كذلك ، لكن تأتيه الخطرات من هنا والدنيا من هنا والشّيطان والنّفس كذلك .

فعلى العبد أن يدفع و يدفع هذه حتى يصل ، عندئذٍ تنـــزل هذه العلوم من الله إلى قلبه .

فقلب الإنسان هدف للسّهام الّتي تكون سبباً لإعراض القلب . ولذا كلّ طرق الوصـــول إلى الله تعالى مسدودة إلا طريق الرّســـول الأعظم صلى الله عليه وسلم فهو مفتوح ؛ فإذا تمسّـــك العبد به يصل إلى الله بقدر ما قُسم لـــه . وكلّ ما يرتبط برسول الله صلى الله عليه وسلم متعلّق بشرع الله ، فكلّما دخلَتْ عروقُ الشّريعة في داخل الإنسان يأخذ الموافق ويمنع المخالف ، فيكون على مراد الله .

الخطّ الّذي يأتي من الله تعالى ليس له عوارض ، فإذا فُتح القلبُ تصل إليه النّفحات الرّبّانيّة ، لكن إذا أراد العبد أن يتّصل بكلّيّته كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِـــي السِّـــلْمِ كَافَّةً } [البقرة / ٢٠٨] ، تأتي العوارض والموانع .

قربُ الله تعالى من العبد بعلمه لا بذاته الشّريفة .

٥٧) الحساسيّة من الآخرين موجودة عند جميع النّاس ، لكن الذي عنده إيمان قوي يُوقِفهـــا عند حدِّها حرمةً لحدود الشريعة ، و بذلك لا يصيبه ضرر في دينه .

٥٨) الشحّ مذمـــوم ، لكنَّ الذي لا يمنع حقوق الله ولا حقوق أهله ولا حقوق الفقراء فهذا ليس بشحيح ، لكنّه ليس سخيّاً .

السخيُّ هو مَن يعطي ولا يخاف الفقر . السّخاء خلق جيّد .

٥٩) لو نتتَّبع الناس في جميع الأقوال والأفعال يذهب ديننا ، ولو نخالفهم يضربوننا .

٦٠) القرآن لم يترك شيئاً إلا ذكَره ، والسنّةُ بيّنتْ ما كان مجملاً ، والفقهاء استنبطوا الأحكام من القرآن والسنّة حتّى نَفْهَمَ ونطبّق .

٦١) ليس هناك أفضل من الشّفقة - بعد الإيمان - ، وليس هناك أفضل من العفو ، لكن ليس عن المنافقين ؛ لأنّك إن عَفَوْتَ عنهم يعودون مرّة أخرى .

٦٢) على المؤمن ألاّ يصرّ على معصية ولو كانت صغيرة : { وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا } [آل عمران / ١٣٥] ، لأنّ الصغيرة قد تُخفي تحتها سَخَطَ الله . فعلى المتّقي أن يجتنب المعاصي بالكُلِّيَّة ، سواء كانت صغيرة أم كبيرة .

٦٣) لا بدّ أن نأخذ بالأسباب دون أن نعتمد عليها ، فقد رأيتُ أنّ كثيراً من الذين اعتمدوا على علمهم وعقلهم وكثرة طاعتهم تَأخَّروا .

٦٤) الغاية من اجتماع الأحباب هي الاستفادة ؛ لذا ! نحن نحبُّ الاستفادة للأحباب أكثر من الاجتماع . فلا خيرَ في كثرة الاجتماع إذا لم يكن فيه فائدة .

٦٥) مَن كان همُّه همّاً واحداً لا يلتفت إلى ما ترى عينه ، ولا إلى ما تسمع أذنه . مصيبة المؤمن عدم العمل بمقتضى الإيمان .

٦٦) لولا الشياطين والنّفس والدّنيا لكان الإنسان شكلُهُ بشرٌ و داخلُهُ مَلَكٌ .

٦٧) الرّجوع والإنابة إلى الله صعب ؛ لأننا ضعفاء . لذا قال ربّنـــا : { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } [لقمان / ١٥] ، فلو اتّبعنا سبيل مَن أناب إلى الله نكون معه .

٦٨) كُلوا بأمر الله وانتهوا من الأكل بأمر الله ؛ لا تأكلوا مثل البهائم . ولتكن حصّتك من الدّنيا بقدر حاجتك وحاجة أهلك . لا تضيّع وقتك كلّه في الدّنيا . لا تترك نصيبك من الدّنيا ولا من الآخرة .

٦٩) تقوية الهمّة تكون بأكل الحلال والمحافظة على حدود الله تعالى ؛ فهي تحتاج إلى مجاهدة ، وليست حبّةَ أسبرين .

٧٠) إذا كان الإنسان جائعاً ، إذا أكل يشبع ؛ أمّا الذّكر فبعكسه ، كلّما ذكر يُفتح بـــاب القلب ، ويزداد اشتهاؤه للذّكر ، بشرط أن يَفْتَحَ قلبه باتّجاه الله ، وينظر بإيمانه إلى صفات الله ، وأنّه سميع بصير عليم رقيب .

٧١) لِتَعَلُّق الإنسان بنفسه يصبح كأنّه غائب عن ربّه ، يعمل بنفسه لنفسه . هذا ليس مثـــل مَن يعمل بالله ولله .

٧٢) لا تعتمدوا على هذه الصّحبة ، بل اعتمدوا على الله حتّى يرضى الله عنكم ، لا حتّـــى ترضى الصّحبة عنكم .

٧٣) الحِلم عند تجاوز حدود الشّرع في غير موضعه ، لأنّه يكون رياء ومداهنة . يقول : لكي لا يُكسَر قلبُه .. لكي لا يَنفر عنّي .

٧٤) الجُدُد في الطّريق قلوبُهم أفرغ من القدماء ، فإذا وَضَعْتَ فيها شيئاً ينبت ، لأنّهم جاؤوا بالاشتياق ، فالاشتياق يغلب على نفوسهم . مَن ثبت على ذلك يزداد ، ومَن غلبت عليه نفسه يتراجع .

٧٥) كل مَن خفَّف من طبيعته البشريّة يترقّى في طريقه إلى الله جلّ جلاله بِترقّي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا تكتفوا بالكتابة ولا بالقول ، بل طبِّقوا على أنفسكم ، تطّلعوا على ذلك إن شاء الله تعالى .

٧٦) لا بدَّ لنا من العبوديّة ؛ فما دُمْنا نُقرُّ بأن الله موجودٌ واحدٌ أحَدٌ صَمدٌ فيجب علينا أن تكون حركاتنا وسكناتنا على وِفْق رضاه .

٧٧) بقدر معرفة العبد بالرّبوبيّة تحصل له العبوديّة ، وهي طاعةُ الله وطاعةُ رسوله صلى الله عليه وسلم . والعبوديّةُ متعلّقةٌ بالصّدقِ ، والصّدقُ متعلّقٌ بالإخلاصِ ، وبهذا يصل المؤمن إلى مقام الإحسان .

٧٨) العلم الإلهي يَسري في العبد من فوق سبع طرائق . قال جلَّ وعلا : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ } [المؤمنون/١٧] . فَعِلْمُ الله متعلِّق على الدّوام بجميع الكائنات .

٧٩) إذا دخلنا في الصّلاة يأتي الشّيطان بالخواطر عن طريق النّفس ليشغلنا بها ؛ ولو جمعنا هذه الخواطر نراها لا تملأ مقعّر الكف ، فهي أمور تافهة ، لكنّ الشّيطان يكبِّرها .

٨٠) كلّما خطرت على قلبك الخواطر الشّيطانيّة قل : أعوذ بالله من الشّـــيطان الـــرّجيم . وكلّما حصلت لك الفيوضات أو التّجلّيات أو الّلطائف يحاول الشّيطان أن يدخل ، فقل : أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم .

٨١) مَن كان يَقرأُ القرآن في مكان خالٍ وأحسَّ بأنّ أحداً يسمعُه فتحرّكَتْ نفسُـــه فرَحـــاً بسماعه فهذا من مداخلة النّفس والشّيطان ؛ فعليه أن لا يدوم على هذا الفرح لأنّه يضرُّه ، بل عليه أن يرجع إلى ربّه لأنّه يعلم أنّه يراه .

٨٢) كلُّ نعمةٍ تصل إلى الإنســـان عـــن طريـــق إنســـان آخـــر يجـــبُ عليـــه تجاههـــا شكران : شكرٌ لله على إنعامه ، وشكرٌ للإنسان الّذي كان واسطة لوصول هذه النّعمة.

٨٣) القلب خُلِق لمعرفة الله تعالى ، فإذا لم توجد فيه معرفة الله وكان فيه حبُّ الدّنيا وحـــبُّ المقام والكبرُ والعجبُ والرّياءُ والرّذائلُ فهو قلبٌ ميت .

٨٤) على المؤمن أن يتمسّك بكتاب الله ؛ فهو كتاب واحد ، ثلاثون جزءاً ، ١١٤ سورة ، يكفينا أن نعمل به ونتّعظَ بما فيه . فإذا كان مجملاً في بعض الأماكن فالسّـــنّة تفصّـــل ذلـــك ، و أقوال الفقهاء كذلك .

٨٥) أكثر دقائق الأمور في القرآن الكريم لا يطّلع عليها إلا أهـــل التّصوّف ، الّذين طهَّروا بواطنهم . فإذا انجلت مرآة القلب يَظهر فيها الحقّ والباطل . فيعمل بالحق ويترك الباطل .

٨٦) الذي فهم الطّريق يرجِّح موته على خروجه من الطّريق .

إني واللهِ أحبُّ لكم أكثر مما أحبُّ لنفسي ؛ فلو تمسكتم بالكتاب والسنة والطريقة والصدق ، واللهِ كأني دخلتُ الجنة وأنا في الدنيا .

٨٧) لو تَزِن الأمرَ الإلهيَّ وتَعرضُه على الإيمان تَرى أنَّ الإيمان يلتذُّ بــــه .

٨٨) مَن يعرف الحق يعرف أهله ، ومَن لا يعرف الحق لا يعرف أهله .

٨٩) أهل البرزخ درجتُهم واعتقادُهم وإيمانُهم على ما كانوا عليه في الدّنيا .

٩٠) الاقتصاد في الكلام أفضل من الاقتصاد في المادة .

٩١) خيالات الكفر ليست بكفر .

٩٢) يقول الإمام الرَّباني رضي الله عنه : كنْ تراباً فالوردُ ينبت في التّراب .

٩٣) س : الذكر يكون باللسان ويكون بالقلب ، فهل يمكن أن تكون الصلاة على رســـول الله صلى الله عليه وسلم بالقلب ؟

ج : لا . الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القسم الذي يُتلى ، أمـــا الـــذّكر فيمكن أن يكون باللسان ويمكن أن يكون بالقلب ويمكن أن يكون بالكُلِّيَّة .

٩٤) س : صحبةُ القلب وصحبةُ الروح ، هل يمكن أن تحصل بدون صحبة الجسد ؟

ج : هـــذا متعلِّق بالاعتقاد السليم . فإذا كان الاعتقاد صحيحاً بتلك الصحبة - ولو كـــان صاحب الصحبة بعيداً - تأتي الاستفادة . لكن بعضهم يحسّون بها وبعضهم لا يحسّون .

بل يمكن أن يكون لقاء روحي بين مَن يقرأ كتاباً لأحد الصالحين المتوفَّين وبين المؤلف ، إذا كان القارئُ صادقاً ومؤلفُ الكتاب مخلِصاً . وقد يحصل لذلك المتوفّى علم بذلك ، وروحــه تشــعر بارتباط القارئ به . هذا أمر ليس عليه غبار .

كثير من الفقراء دخلوا الطريق ولم يرَوني ، لكنهم يرون مَن يرونــني . ففي الطّــريق رجــالٌ صادقون متعلّقون بالطريق ، والطريقُ بواسطتهم يعطي مَن لم يروني . فكلّ مَن كان صادقاً يأخذ من الصادق بالتسلسل حتىّ يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩٥) س : قال الله تعالى : { وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ } [الأعراف /٢٠٥] . هل معنى هذا أن الذكر الخفي أنفع ؟

ج : الذكر الخفي أنفع ، لكن لَمن وصل إليه . فالنفسُ قد تَخدع صاحبَها وتقول لــه : لقــد أصبحت من أهل الذكر الخفي ، ولا تحتاج أن تقول : (الله ــ الله) ، وأنت حاضر لا تحتاج إلى ذكر اللسان ؛ وهو في الحقيقة لم يصل إلى هذا المقام . فعليه أن يذكر بلسانه كثيراً حتى ينــــزل الذكر إلى القلب فيصبح القلب ذاكراً والجوارح كذلك .

ومن أثر ذكر الجوارح أنَّ بعضهم تتنمّل شفته أو جسمه .

٩٦) س : قد يستحيي الإنسان من الإلحاح على الله في الدعاء لما يرى من فضل الله وكرمه . فهل هذا الاستحياء في مكانه ؟

ج : الدعاء أمر الله . قال تعالى : { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر /٦٠] ، ولكن النّاس في ذلك متفاوتون ؛ فبعضهم يحصل عندهم الاستحياء من الله ؛ فإذا حصل الاستحياء على المؤمن أن يتوكّـــل على الله ولا يلحّ .

الله تعالى أَمرَ بالدّعاء ووعدَ بالإجابة ، لكن لا كما نشاء نحن بل كما يشاء هو سبحانه وتعالى . فقد يريد العبد إجابةَ دعوته حالاً ويكون في ذلك ضررٌ لـــه . فالذي يعرف الربَّ يتوكل عليه ، والذي لا يعرف الربّ قد يدعو ثم يقول : لم يُقْبَـــلْ دعـــائي . ورســـولُ الله صـــلى الله عليـــه وسلم نـــهانا عن ذلك . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لايزال يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم . ما لم يستعجل)) ، قيل : يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : ((يقول : قد دعوت ، وقد دعوت ، فلم أَرَ يستجيب لي . فيستحســـر عند ذلك ويدع الدعاء)) [صحيح مسلم] .

فعواقبُ الأمور معلومةٌ عند الله وليست معلومة عندنا ؛ فقد يكون دعاؤنا فيه ضرر لنا ، فالله يؤجّله .

٩٧) س : انتقال صفات الأبرار إلى مَن يُصاحبهم هل يحتاج إلى زمن ؟

ج : الذين استقاموا على الشريعة ، وتوكّلوا على الله ، وقلوبُهم وَجِلةٌ من ذكر الله ، ويخافون من عذاب الله ، ويرجون رحمة الله ، ويقيمون الصلاة ، وإذا كان عندهم أموال فيها حق للفقراء يدفعون ، هؤلاء هم الأبرار : { إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } [المطففين /٢٢] ، ولكنْ مَن يعرف أنـــه

من الأبرار ؟ علينا أن نَزِنَ أنفسَنا بكلام الله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال /٢-٣-٤] ، هذه شهادة الله .

أين مَن يُصغي إلى الله و إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أكثر النّاس يُصغون إلى أنفسهم. واللهِ يخونون الله ورسوله من أجل الفلوس . هل هذا حبُّ الله ؟ واللهِ كلُّه كذب .

الذي يذهب للحج ويصلي ويلتحي يظنُّ أنه أصبح من الأبرار ، لكنْ كيف حجُّه ، كيف صلاتُه ، لا يهتم بهذا . لذا أهل الدنيا لا يرضون بصحبة الأبرار ، لأنّ هذه الصحبة تَضرب على نفوسهم .

الله تعالى بيّن في القرآن الكريم صفاتِ المنافقين وصفاتِ المتقين وصفاتِ الأبرار وصفاتِ الصالحين ، لكنَّ النّاس لا يعملون . فلا بدّ من التوبة والرجوع عن المعاصي : { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ } [الشورى/٢٥] ، { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران /١٣٥] .

٩٨) س : ما هي علامات تعلّق القلب بالدّنيا ؟

ج : الاشتغال بالدنيا بقدر الحاجة غيرُ التكالُبِ على الدنيا . الاشتغال بالدنيا دعاء فِعْليٌّ ، وهو أمرٌ من الله ، يجب أن نتمسك به لأجل معيشتنا ومعيشة أولادنا ، وليستفيد منّا الآخَرون . لكنَّ البخل صفة ذميمة ، فعلينا أن نتعامل بالتسامح .

٩٩) س : نفسي تهلكني ، أدركوني (طَلَبٌ من طالب علم) ؟

ج : اخرُجْ عن علمك وضعْه في كيس وعلِّقه بالبيت ، فالنّفس لا تخرج عن أمَّاريَّتها حتى تخرج الروح من الجسد .

أنت واحد من المسلمين ، فعش باعتقاد أهل السنة والجماعة ، ولا تجادل . كلنا مسؤولون يوم القيامة عن الشريعة . الدّنيا فانية ، والإنسان كذلك فانٍ . أمّا فناء الدنيا فبخرابها ،وأمّا فناؤنا فبانتهاء عمرنا ؛حيث يموت جسمنا وتبقى روحنا حيَّةً ،ونُسأَل عما فعلنا في هذه الدنيا الفانية : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ }[الصافات /٢٤].

وجودُنا في هذه الدنيا فرصةٌ لنا ، فعلينا جميعاً أن نستفيد من هذه الفرصة ، لكي لا يضيع عمرنا وتحصل الندامة بعد فراقنا لهذه الدنيا الدنيَّة .

تمسّك بالكتاب والسنة ، وحافظ على حدود الله تبارك وتعالى ، واقرأ القرآن بتدبّر، تجدْ ثمرة ذلك في العُقبى إن كنت مخلصاً وكنت عبداً لله .

١٠٠) س : اطّلع المريد على شهوة نفسه فلم يستطع مخالفتها ؟

ج : مَن قال هذا فهو يكذب ، لأن الله تعالى صـــادق بقوله : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] .

١٠١) س : ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : ((ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)) [صحيح مسلم /١٢٥١] . ما معنى هذا ؟

ج : المعنى أنه أحياناً يُفْتَح على العبد فلا يَرى غيرَ الربِّ ، لكنْ لا بالعين ، وحينئذ يقـــول : ياليتني لا أغفل عن هذا بعد الآن ؛ فإذا سَحبَ الربُّ ذلك الفتحَ عنه يصبح جامداً مثل الحجر .

١٠٢) س : إذا وصل الإنسان إلى الحضور التام هل يستطيع أن يأكل ويشرب ؟

ج : رسول الله صلى الله عليه وسلم مشترِكٌ معنا في كثير من أمور الطبيعـــة البشـــــرية ، كالأكل والشرب والزواج والنوم . فالأمور المشروعة ليست ممنوعة ، لكن الإسراف - ولو كان في الأمور المباحة - ليس مقبولاً ، وأحياناً يكون ممنوعاً ، وقد يجـــوز فتوى لا تقـــوى . فعلـــى المؤمن أن يميز هذه الأمور ؛ وإذا حصلت الغفلة يستغفـــر ويرجـــع إلى الله ،فهو أرحم الراحمين.

١٠٣) س : هل يمكن أن يستمر الحضور مع الكلام والعمل ؟

ج : نعم ، وذلك بقوة انتباه العبد في ذكره ومراقبته .

يمكن أن لا تحصل المراقبة أثناء الكلام ، لكن كلامه فيه مراقبة ، وهو موافق للشـــرع ، فـــلا يكون هذا خلاف المراقبة . وفي المعاملة يقف عند الحل والحرمة ؛ هذا لا يُعدُّ غفلة . قال تعالى :

{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ } [الإسراء /٤٤] . يقول الإمام الشعراني رحمه الله : مـــرةً بقيتُ ثلاث ساعات أسمع كلّ شيء يذكر الله بالاسم المفرد ، إلا الحيتان فإنها تقول : ســـبحان الملك القدوس .

لِمَ نحن لا نسمع ؟ السبب أننا تخمَّرنا بحبِّ الدنيا والأكل والشهوات والمقام ، فأغلقنا ذلـــك الباب على أنفسنا ، وبقي إيمانُنا بذلك مجرَّداً . فعلى المؤمن أن يعمل بمقتضى الإيمان ليكون رجلاً صالحاً - ولو لم يطّلع على تلك الأمور - بشرط تصفية قلبه وتنـــزيه سره .

١٠٤) س : مَن كان قبرُهُ روضةً من رياض الجنة وقد عرف أنه من أهل الجنة هل يخاف مـــع الخائفين في المحشر أم يكون آمناً ؟

ج : في المحشر كل الناس يخافون من هول الحشر والازدحام وعدم تيقّنهم من النجاة .

١٠٥) س : يقولون : إنْ لم تبكِ فتباكَ ، فهل في التباكي من حرج ؟

ج : إذا جاء البكـــاء نتيجةَ احتراقٍ في الجوف فلا مانع ، بل هو محبوب ومرغوب، لكنْ قـــد تدخل فيه النفس والشيطان ؛ فإذا كنت خالياً يمكن أن يأتي العُجب ، وإذا كنت مع الجماعـــة يمكن أن يأتي الرياء .

أحياناً يأتي البكاء يُفْتَح مثل الحنفية ، ولا يستطيع صاحبه التحكم به ، حينذاك يكون بـــدون رياء ، لكن بعدَه يأتي الرياء ، نعوذ بالله .

١٠٦) س : مَن هم الراسخون في العلم ؟

ج : الراسخون في العلم هم المستنبِطون معاني القرآن بما يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والمجتهدين ؛ فليس لكلّ واحد أن يستنبط الأحكام والعلوم من القرآن . فما خرَّبَ بيوتَنا إلا الأهواءُ .

١٠٧) س : ما هو الصفح الجميل ؟ وما هو الصبر الجميل ؟

ج : الصفح الجميل : هو العفو الذي لا عتابَ معه ، مع صفاء القلب وخروج الأمر منه بالكُلِّيَّة . خروج الأمر من القلب لا يتم إلا باعتذار من أساء ،وإلا يبقى القلب متعلّقاً بذلك الشيء . لذا يجب على مَن أساء إلى شخص أن يعتذر ،حتى لا يبقى صفحه عنه صفحاً غير جميل ، فكلّما رآه يتذكّر تلك الإساءة . هذه الأمور الدقيقة لا يقف عليها مَن لم يستشعر بحقيقة الإيمان .

الصبر الجميل : هو ما لا شكوى فيه إلى الخلق . قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام : { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ } [يوسف /٨٦] .

١٠٨) س : كيف نوفّق بين قوله تعالى : { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[النحل /٣٢] ، وقوله عليه الصّلاة والسّلام : ((لن يُدْخِلَ الجنة أحداً عملُهُ)) [صحيح مسلم /٧٠٦٧] ؟

ج : السببُ الحقيقيّ في دخول الجنة هو فضلُ الله ، والسببُ العرضيُّ هو عملُ المؤمن ؛ ولا تعارُضَ بينهما ، لأن السبب العرضي لا وجود له أمام السبب الحقيقي . فعلى المؤمن أن يفوِّض إيمانه وعمله والعفوَ عنه إلى الله جلّ وعلا ، وأن ينظر إلى أصله أنّه عدم ، واللهُ أعطاه الوجود والإيمان والعمل الصالح بفضله سبحانه وتعالى . فمهما كان العبد صالحاً عابداً ولياً لا يستحق بصلاحه عطاء الله ، لأنّ ما أنعم الله به عليه أكثر مما عمل .

١٠٩) س : هل يمكن الاستفادة عن بُعْد ؟

ج : نعم يمكن . إذا تمسَّك العبد بالشريعة وتأدب بآداب أسلافنا ربُّنا يعطيه في البعد أكثر من القرب ؛ لأن الاستفادة سببها الإخلاصُ والقصدُ إلى الله تعالى والى رضاه .

١١٠) س : أُعاني من الجبن والبخل والخوف ، مع أنني أواظب على الأدعية الواردة المتعلقة بذلك ، فما العمل ؟

ج : لو تواظب على قراءة الأدعية مائتي سنة لا تذهب هذه الصفات ، فلا بدّ من المجاهدة والمعالجة . هل كسبُك هو الرزاق أم الله هو الرزاق ؟ توكّل على الله ولا تبذِّر ، فإن السخاء لا يُنقص شيئاً من المال ، والبخل لا يزيده شيئاً أيضاً .

١١١) س : ورد في سورة آل عمران قوله تعالى :{ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } [آل عمران /٢٨] ، ثم قوله تعالى : { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران/٣٠] . فما هي الحكمة من اختلاف النهايتين ؟

ج : ولله المثل الأعلى ، إذا خالفك ولدُك تقول له : ألست ستعود مساءً إلى البيت ؟! [تهديد] . لكنك عندما يعود إلى البيت تكلِّمه بالشفقة ، فتقول : يابني ! هذا يضرُّك ، لا تفعل هكذا .

١١٢) س :صفاء القلب وإشراق الروح الذي يحصل مع الإنسان أحياناً ، لا يدوم بسبب مخالطة الناس . فما السبيل للدوام على تلك الحالة ؟

ج : الدوام على هذا الحال لا يمكن ما دمنا في هذه الدنيا ، لكن الغفلة تخفُّ بكثرة الـــذكر ، لأنّ القلب يتنبه إلى أنّ الله يراقبه . هذا من وعد الله لنا بقوله : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت /٦٩] . فعلينا أن نجاهد أنفسنا المأمورةَ بأمر الشيطان حتى لا تقدر علينـــا إن شاء الله . فكلُّ مَن وصل إلى ما وصل إليه وحازَ السبْق إنما حصَّله بمخالفة نفسه ، صـــديقةِ إبليس اللعين المطرود من رحمة الله. فلا تطيعوها ، حينذاك تحصل طاعة الله .

إذا كان في بيتنا بابٌ أو شبّاك يدخل منه البرد نسكِّرُه حتى نمنع دخول البرد ، فكيف نسمح لهذا الشيطان اللعين والنفس الخبيثة أن يأتيا بما يأتِيان به ولا نسكِّر بوجههما باب قلبنا ؟

١١٣) س : قال الله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَـــأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً } [الأحزاب /٧٢] . هل يدخل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في ذلك ؟

ج : الأنبياء والرسل لا يدخلون تحت هذا الظلم والجهل ، لأن عصـــمتهم بـــالله ، ليســـت بأنفسهم . أما قول بعض الأنبياء : { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء /٨٧] وما شابه ذلك فهذا بينهم وبين الله ؛ أما نحن فلا يجوز أن نتفوَّه بشيء من هذا إلا في سياق الآيات الكريمة .

١١٤) س : قال الله تعالى : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَـــالِحًا ثُـــمَّ اهْتَـــدَى } [طه / ٨٢] . ما هي الهداية هنا ؟

ج : الهداية هنا هي الاستقامة على التوبة والإيمان والعمل الصالح ، لأنّه إذا لم يستقم لا تكون توبته توبة .

١١٥) س : قلوب المريدين تنفعل لسرِّ الإذن الذي يحمله المرشـــد . فما هي حقيقـــة هـــذا السرّ ؟

ج : لا يمكن أن يعبَّر عن حقيقة هذا السرّ ؛ فهو عبارة عن معانٍ بدون ألفاظ . لكنَّنا نُقِـــــرُّ بوجوده كما نقـــرُّ بوجود شعاع الضـــوء - مثلاً - مع أننا لا نســـتطيع أن نأخـــذه بيـــدنا. فالأسرار الإلهيّة تأتي بواسطة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم إلى المأذون بقدر ما يحتاج إليه ؛ فإذا كان المريد صادقاً يعطيه ربُّه ما يحتاج إليه أيضاً بواسطة ذلك الإذن .

١١٦) س : ما هو دور النّظر في الاستفادة من المرشد ؟

ج : النّظر بدون عمل (فاضي) ؛ فالذي ينظر دون أن يعمل كمَن ينظر إلى سبّاح ماهر يسبح في البحر ــ وهو لا يعرف السّباحة ــ هل يصبح سبّاحاً بهذّا النّظر ؟ لا . فإذا لم توجد لـــوازم النّظر فالنّظر لا يُفيد . علينا أن نراعي حقوق ربِّ النّظر .

١١٧) س: حَنِينُ العبد وشوقُهُ لله سبحانه وتعالى هل للشيطان والنّفس مداخلة فيه؟

ج : طالما نحن بشرٌ ضعفاء علينا أن نُقِرَّ بضعفنا باتجاه العدو : { وَعَلِـــمَ أَنَّ فِـــيكُمْ ضَـــعْفًا } [الأنفال / ٦٦]. فما دام الشيطان يَرانا ولا نراه ، وجنودُه كثيرٌ ، وأعوانُه من الإنس كذلك ، فنحن ضعفاء باتجاه ذلك العدو الظاهري والباطني ، وإذا لم ينصرنا الله برحمته وفضله تميل قلوبنا إلى أمّ الشيطان وهي نفسنا التي بين جنبينا ، وإذا حصل الميل إلى النفس يتداخل عندنا ما يأتي من فضائل الرّحمن إلى القلب مع ما يأتي من الشيطان إلى النفس ، فنحتاج إلى التمييز الذي يأتي عن

طريق التّمسّك بالشريعة . كما قال سبحانه و تعالى : { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } [الأنفال/٢٩]. حينذاك لا ننظر إلى عقولنا بل ننظر إلى الشرع الشّريف ؛ فإن قال : خذ .نَفعل ، وإن قال : دَع . نَترك .

١١٨) س : أيُّها أنفع وأفضل : كثرة الاستغفار ، أم لا إلـه إلاّ الله ، أم الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ج : إذا أراد العبد المؤمن أن يُطهِّر قلبه فعليه بالإكثار من الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاّ ؛ لأنّها تنوّر القلب ، وثانياً : الإكثار من (لا إله إلاّ الله) - الأفضل ألا يكون أقل من ألف مرّة في اليوم - لأنّها تُزيل الأغيار عن القلب . وقبل الصّلاة على الرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وذكر (لا إله إلا الله) يبدأ بالاستغفار مائة مرّة أو خمساً وعشرين مرّة .

وحافظ على قلبك المؤمن المطهَّر الذي لم يلوَّث بالدنيا والمعاصي بتنـزيه سرِّه ؛ وذلك بأن تضع فكرك وعقلك على باب قلبك ، حتى لا تدخل فيه الأغيار مهما أمكن . وإذا دخلت الأغيار تحصل الغفلة ، فإذا حصلت الغفلة استغفر .

وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

من

وصايا اعتكاف

عام ١٤٢٢ هجري

بسم الله الرحمن الرحيم

١) القصدُ في الدين مُهِمٌّ ، فإذا صحَّ القصدُ عليك أن تجاهد نفسك بقدر ما تتحمل الطبيعة البشرية ، لا بقدر ما تُهلك نفسَك .

لذلك فإن الأولياءَ الكمَّل والمؤمنين الصادقين يُطهِّرون بواطنَهم من الأخلاق الذميمة ، ويغسلونها بالشريعةِ والتمسكِ بالسُّنةِ والإخلاصِ . فإذا طُهِّر الباطن بالماء المنزَّل – وهو أحكام الله – فالقالبُ كالمركب ليس له اعتبار بدون الباطن ، حينئذ يخلِّص العبدُ روحَه من سيطرة نفسه الأمّارة ، لأن الروح جاءت من عند الله ، وهي تطلب العروج . نفسُهُ تَبقى معه لكنَّه يتغلَّبُ عليها .

فالمؤمن يترقى بمجاهدة نفسه حتى يصل إلى ما قدَّر الله له من الهداية ، ويكون ولياً لله ، وإن لم تظهر عليه خوارق العادات من الكشوف والكرامات . بعد ذلك يمكن أن يصل ذلك الولي إلى مقام الفناء بالله ، حينذاك لو ضُرِب أو قُتِل يقول : لا إله إلا الله ، لأنه يرى أن الله هو الذي يقتله بيد ذلك الظالم ، يعني أن ما يجري عليه هو قضاء الله وقدرُه . ولكن هنا علينا أن ننتبه إلى أن القاتل الظالم يبقى مسؤولاً أمام الله، مصيرُه جهنم إلا إذا تاب . وبعد ذلك يمكن لهذا الوليّ أن يعرج وينتقل من الفناء إلى البقاء ؛ وفي كلا المقامين يكون ولياً من أولياء الله تعالى جل جلاله ، متمسِّكاً بالشريعة والسنة النبوية ، لا يدعو الناس إلى نفسه بل إلى ربهم ، وبهذا يترقى حتى يصل إلى ما شاء الله ؛ فمنهم من يصل إلى المنتهى ومنهم من يصل إلى الوسط ومنهم من يرجع بعد

ذلك . فإذا كان قد وصل إلى المنتهى فهو فانٍ بالله باقٍ به ، يَجمع الناس على الله لا على نفسه ؛ فتكون دعوتُه لهم أفضلَ من العبادة النافلة .

هذا الشيخ له وجهان : وجهٌ متعلّق بالله تعالى ، ورقَبَتُه تحت الشرع الشريف ، وهو يتضـــرَّع إلى الله :{ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـــافِرِينَ } [آل عمران/١٤٧] ، والوجهُ الآخر يوجِّه الناس إلى الله . هذا هو وارثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إرثيَّتُهُ اتِّباعُ سُنَّتِه واتِّباعُ قرآنِه واتِّباعُ أصحابِه .

نِعْمَ الدينُ ، ولكن لا نطبِّقُ على أنفسنا .

كيف نترك قول ربنا : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/٦٩] ونعمـــلُ بالدنيا - مع عدم معرفتنا بها - ؟ الدنيا تُعرَفُ بالله لا بالناس : { وَمَا الْحَيَاةُ الـــدُّنْيَا إِلا مَتَـــاعُ الْغُـــرُورِ } [آل عمران/١٨٥] .

عليكم أن تتحركوا في الدنيا بقدر معيشتكم ، وما كُتِب لكم يصل إليكم ولو كنتم تحت البحر أو فوق الجبل . لِمَ تتحركون في الدنيا ولا تتحركون بما تصلون به إلى الهداية ؟

الهداية شعبة من شعب الإسلام ؛ فكما أن شعب الإيمان كثيرة ، كذلك الإسلام كُلٌّ له شعبٌ كثيرة ، والهدايةُ شعبة من شعب الإسلام .

فإن كنتَ لا تطلب مقاماً ولا كشفاً ولا كرامة ولا مشيخة ، إنما طلبُك أن يكون ربُّك راضياً عنك فقط - وهذه المرتبة ليس فوقها مرتبة لا في الدنيا ولا في الآخرة - فالطريقُ إلى ذلك يتألف من ثلاثة أجزاء :

١ - الاعتقاد الصحيح الموافق لاعتقاد أهل السنّة والجماعة .

٢ - التمسك بالشريعة واتباع سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ - الإخلاص في العمل .

أَحلِفُ بالله ـــ كما يحلف الأولياء الكمَّل ـــ أن الله يرضى عنك إن تحقَّقْتَ بهذه الأوصاف .

ولكن أكثر الناس في هذا العصر يتَّبعون العامَّةَ ، فصارت محاسنُ الإسلام عندهم قبائح .

٢) هذا الجسد الذي نُرَبِّيه ونُحبُّه ونطبِّبُه سيضعونه في القبر ، فلا يمرُّ عليه سبعة أيام إلا ويَخرب بالكلِّيَّة ، فمصيرُهُ جيفةٌ . وكلُّ الناس سواء أهل الصلاح أو أهل الطلاح يذوقون عذاب القبر ، لكن كلٌّ على حسب عمله . هذا مصيرنا ، ومع ذلك بعض المؤمنين يمشون على الأرض مشية المتكبرين ؛ واللهِ إني أخاف من مشيتهم : { وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحَاً } [لقمان/١٨] . إنّك ستدخل تحت الأرض فكيف تفتخر عليها ؟ ربُّك يراقبُك والأرضُ تنتظرُك ، ما هذا الغرور ؟

كثرةُ الرجاء وقتها في حالة الاحتضار حين سكرات الموت ، أما أن تمشي على الأرض مِشـــيةَ المتكبرين ، وتقول : اللهُ غفورٌ رحيمٌ ، فهذا غرور . مَن توكَّل على رحمة الله ومغفرته بدون عمل فهو مغرور .

علينا أن نعمل بقــدر طاقتنــا ووســعنا ، ومــع ذلــك فــإذا وضــعنا الميكروســكوب (المجهر) على عيوننا ونظرنا إلى عبادتنا نرى أنها كلَّها مختلطةٌ ، ليست لائقةً بربِّنا جلَّ وعلا .

فعلى المؤمن أن يُقدِّم آخرتَه ودينَه ومحبَّتَه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبعدَ ذلك يشتغل بدنياه ، فهذا مشروع . وإذا كانت نيَّتُه صحيحةً يكون شغله عبادة . ليس هناك شيء أفضل من ذلك ، تتسبَّبُ لمعيشة أولادك ويكون لك عبادة . أمّا مَن كان يعمل بغير نِيَّــةِ التقــوى فهــو كالبهائم .

ما ترك الله تعالى شيئاً يحتاجه العبد إلا ذكَرَهُ في القرآن الكريم ، وبلَّغَه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيَّنَه المفسِّرون ؛ فوصلنا الدين بدون غش والحمد لله ، فعلينا أن نضعه أَمامَنا ؛ أما الدنيا فإنها تأتي وراءَ المؤمن ، تتْبَعُه كما يتبع الحمارُ صاحبَه .

المؤمنون الذين لم تلعب بهم الدنيا قلَّة ، وهم الذين وصفهم الله تعالى في القرآن الكريم بآيــات كثيرة منها :{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَــاهِلُونَ قَــالُوا سَلامًا... } [الفرقان/٦٣] ، ومنها : { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْــحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } [الذاريات/١٥-١٨] .

علينا أن نفرح بهذه الأوصاف الجليلة لا بالدنيا . لكننا نرى التاجر يفرح بما ربح من تجارته ولا يفرح فيما يُطبِّق على نفسه من صفات عباد الرحمن ، لأنّ الدنيا غَطَّتْ على عينيه : { كَلا بَــلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/١٤].

لا يمكن النجاة ولا النجاح إلا بالله وبطريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣) مِن آداب الطريق أن لا يعترض المريد على شيخه وأن لا يقول له : لِمَ فعلتَ كذا ، ولِمَ فعلتَ كذا ؟ فقد يكون فِعْلُ الشيخ من باب الاجتهاد في الطريق . ففي قصتَي بئر معونة وبعث الرجيع - مثلاً - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عدداً من أصحابه - معظمُهم من حُفّاظ القرآن الكريم - إلى بعض القبائل ليُعلِّموهم دينهم ويُقْرِئوهم القرآن فقتلوهم . هذا رسول الله الذي يوحى إليه حصل معه ذلك ، فكيف غيره لا يقع في مثل ذلك !

مَن يُنكر على شيخه يُحرَم من بركات الطريق . ولتحصيل الاستفادة لابدَّ للمريد من محبة شيخه ؛ فبالمحبة أصبح سيدنا أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ الصديقَ الأكبر .

ولذا ! أقول لأحبابنا : الذي لا يرضى عنا عليه أن يخرج إلى طريق آخر حتى لا يتضرر بضياع عمره بدون فائدة . لأن بقاءه معنا شكلاً لا يفيد .

٤) الشرعُ الشريف يأمر المؤمن أن يأخذ دينَه عن الذين استقاموا ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((يا ابن عمر ! دينَك دينَك ، إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمَّن تأخذ ، خذ الدين عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا)) . فالذي يؤخذ عنه الدين لابد أن يوزَنَ بالشريعة ؛ هل أقوالُه لمصلحته أم لنصح المسلمين ؟ هل لشُهرتِه أم لتوجيه الناس إلى ربهم ؟

لذا قالوا : التعرف على الله سهل ، أما التعرف على أولياء الله فهو صعب . فإذا عرفَ المؤمنُ أن من يأخذ عنه الدين موافق للشريعة ولأوامر الله تعالى عليه أن يُسلِّم له تسليماً ؛ فإن لم يوجد التسليم لا توجد الفائدة . وبعد التسليم لا بدَّ من المحبة ؛ فإذا ثبتت المحبة يتَّبعه ويأخذ بأوامره

الموافقة للكتاب والسنة بحسب الاستطاعة والقابليَّة. عندئذ منهم من يصل إلى منتهى الطريق ، ومنهم من يبقى في الوسط ، ومنهم من يستفيد ولكن لا يترقى ، وذلك بحسب الاستعداد .

٥) بعض الذاكرين يتفاعلون مع القصائد ويتواجدون فيحصل لهم نوع من الحضور بسبب الاعتقاد الوجودي لا الشهودي .

مثلاً ، عندما يقولون : (لا إله إلا الله) يتفكرون بأنه لا موجود إلا الله ، وإذا داوموا على هذه الكلمة الطيبة يحصل لهم خيالات تتعلق بمعنى : لا موجود إلا الله ؛ هذا هو الإيمان الوجودي . وأما صاحب الإيمان الحضوري والشهودي فلا يتعلق بالخيالات ولا بـ : لا موجود إلا الله ، ولكن بحضوره وشهوده ينظر إلى ربه وهو متعلق به . هذا أفضل من الإيمان الوجودي .

شروط هذه الحالة التحققُ بالفناء والبقاء والجذب والسلوك ، وهذا دليل الولاية .
[لالفناء : هو الانقطاع عما سوى الله ، والبقاء : هو أن يبقى بالله تعالى] .

فمن حصَل له الفناء المطلق والبقاء المطلق فهو دليل ولايته ؛ لكن لابد لهذا الفناء والبقاء أن يدوم ، وشروط دوامه أن لا تتعلق به أشواكُ الدنيا وأشواك النفس وأشواك الخلق ؛ فإذا حصل هذا فهو من الولاية .

ولكن هناك فَرْقٌ بين ولاية الأمة المحمدية وولاية الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ فولاية الصحابة الكرام أصليَّة وولايةُ أولياء الأمة المحمدية ظلِّيَّة ، وظل الشيء ليس كأصله ؛ لذا ! فالصحابة الكرام لا يحصل لهم الفناء ولا البقاء ، وليس لهم سلوك ولا جذب ، لأنهم باتباع الأصل وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم تحصل لهم الولاية الأصلية . فكيف تصل ولاية

الظل إلى ولاية الأصل ؟ ولذا ! أكبر الأولياء لا تصل ولايته إلى ولاية أصغر الصحابة ، لأن ولاية الصحابة أصلية وولاية القطب والفرد ظلِّيَّة .

٦) أُمَّةُ محمد عليه الصلاة والسلام كلُّهم أولياء ولكن لا يعرفون ؛ لأنهم يعرفون الدنيا بالدنيا وبالخلق ولا يعرفون الدنيا بالله ؛ وإذا عرفوا الدنيا بخالق الدنيا يرون أنها لا قيمة لها عنـــد الله . فالشيء الذي لا يحبه خالقه كيف تتعلق به !

ولذا ! فكلٌّ المؤمنين أولياء ، لكنَّ حبَّ الدنيا وحبَّ المشيخة وحبَّ المال وحبَّ الجاه هو الذي غطى الولاية .

٧) الإنسان يأتي للدنيا مرةً واحدةً ؛ ففي هذه المرة لابد له من الاعتقاد الصـــحيح – وهـــو اعتقادُ أهل السنة والجماعة – والتمسكِ بالشريعة والسنة النبوية . فكيف تخالفُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وتطلبُ الشفاعة منه ؟ وكيف تخالفُ الله تعالى

وتطلبُ محبتَّه ؟ وبالمخالفة يمكن أن يقع غضب الله . ولذا طُلِب منا الاستغفارُ والتوبةُ، فقـــال تعالى :{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/٣١] . فالتوبة واجبـــة من كل ذنب ؛ لأن من وقع في معصية يُفتح له باب إلى الكفر ، لكن لا يكون كافراً .

هذا هو الإسلام الذي رضيَه الله لنا عنـــدما قـــال : { وَرَضِـــيتُ لَكُـــمُ الإِسْـــلامَ دِينَـــاً } [المائدة/٣] . فكيف نرضى أن نترك هذا ونبقـــى مع النفس .. مع الدنيا .. مع المشيخة .. مع الجاه ؟ فاللهُ وجَّهنا إلى الإيمان وجعلنا من أمة سيد المرسلين وأعْلَمَنا أن هذا حلالٌ وهذا حـــرام . هذه أفضل نعمة ، فعلينا أن نشكر الله عليها .

٨) واللهِ لو لم يكن إيمانُنا ضعيفاً لكان هذا الوصف في القرآن الكريم يكفي ، وهو قوله تعالى : { وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [التوبة/١٠٠] . هذا الوصف لا يوازيه مُلْك الدنيا .

ربُّك أعطاك هذا فكيف تخالفه ؟

الاتباع بإحسان هو التخلق بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام وبأخلاق الصحابة الكرام والسيرُ على سيرهم . فالله تعالى وعد المؤمنين إن كانوا على اتِّباع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام أن يرضى عنهم .

علينا أن لا نتجاوز حدود الله في أرضه . فلو كان لك مزرعة وتجاوَزَ جارُك عليك شبراً فإنك لا ترضى ؛ فكيف ترتاح وأنت تتجاوزُ حدود رب العالمين .

٩) مَن عمل عملاً مخالفاً للشريعة فقد تجاوَزَ حدود الله ؛ فيمكن أن يقع عليه غضب الله ويمكن أن يعفو عنه . هذا ليس وظيفتَنا .

وظيفتُنا أن لا نتجاوز حدودَ الله . قال تعالى : { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [الأنعام/١٥] . العصيانُ هنا يشمل الصغائر والكبائر ، لأن المعصية ولو كانت صغيرة فهي مخالَفة لله تعالى . فالذي يحبُّ الله ويحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤمنُ بيوم القيامة وبالحساب يجتنب المعاصي ؛ وإن وقع في معصية ــ بقضاء الله عن غير قصد منه ــ يستغفر ويرجع إلى الله ، فيعفو عنه إن شاء؛ لكنْ إن أصرَّ فهذا مصيبة .

١٠) قال الله تعالى :{ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التوبة/١٠٢] ، فمَن كان يعمل عملاً خالصاً لوجه الله ودخل فيه شيء من الخطرات أو الوساوس بسبب ضعفه يُرجى أن يعفو الله عنه ؛ فالله يعامل العبد بقدر صدقه معه . وكذلك إذا كان القصدُ من العمل مختلِطاً لكنَّ صاحبَه تاب إلى الله عز وجل فإنه يُرجى له العفو أيضاً . ولذا يُطلب منا الاستغفار بعد كل عبادة .

١١) القرآن الكريم أَمْرٌ عظيم ، لكنَّ الناس يعلمون ولا يعملون به : { قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ } [ص/٦٧-٦٨] .

كلُّ المؤمنين - حتى الفاسقين - يؤمنون بأن هذا القرآن جاء من عند الله ، ومع ذلك لا يعملون به .

يومَ القيامة يكون القرآن شفيعاً لمن آمن به وعمل به ، فالله تعالى أعطى الشفاعة لمحمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وللقرآن الكريم لمن عمل به .

١٢) إذا لم يكن القلبُ مملوءاً بالكِبْرِ والعُجْبِ والرِّياءِ تأتي إليه الفضائل الإلهية ؛ فالمانع للفضائل الإلهية هو ما يصل إلى القلب من المخالَفات عن طريق النفس والشيطان .

١٣) إذا ثبت عندك الإيمان أنَّ الله يراك ويعلم ما في داخلك عليك أن تعمل بمقتضى هذا الإيمان ؛ فإن كنتَ تاجراً – عندما تعرض البضاعة على الزبون – تفكَّر بأن الله يراك ، حينذاك لا تخادع ولا تراوغ أحداً . وهكذا كل واحد في مجال عمله .

١٤) خِذلانُ المؤمنين في الدنيا وذُلُّهم ليس له قيمة ، لأن هذه الدنيا ولو دامت لأحد مائة سنة تنتهي ؛ فهي لا تتسع لعذاب الكافر وكذلك لا تتسع لجزاء المؤمن ، لأن مدهّا قصيرة والعمرَ قصير ؛ لذا يبقى كلا الأجرين في الآخرة . فالكافر يبقى دوماً في جهنم والمؤمن يبقى دوماً في الجنة .

١٥) الصحبة (المجالسة) تقوم مقام العبادة ، بشرط قابلية المنصوح وصدقه مع الناصح ومحبته له ولمشربه ؛ فإذا كان عند المنصوح قابلية مع التسليم والمحبة والإخلاص فإن الصحبة تكون أفضل من العبادة النافلة .

الذي يمشي ويسلك في الطريق يأخذ الفيوضات الإلهية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وُرَّاثه - رضي الله تعالى عنهم - بقدر إخلاصه ؛ فلا بدَّ من المجاهدة، لأن الإنسان الذي يلبس الحرير ويدخل بين الأشواك تتعلق ثيابه بها ،فإذا خاف على أثوابه يبقى هناك إلى أن يموت ، وإذا قال : إني لا أريد أن أموت بين هذه الأشواك ، فإنه يمزق هذه الألبسة ويخرج من بين الأشواك لِيَسْلَم على نفسه . فالإنسان المتعلق بأشواك الخلق يقول : لو أفعل هكذا ماذا يقول الناس عني ؟ فيبقى بين الأشواك ولا يصل إلى مطلبه ، أما من مزَّق هذه التعلقات ولم يصغِ إلى أحد فإنه ينجو بنفسه .

وهنا ذَكَرَ أحدُ الحاضرين أن سيدَنا عمر - رضي الله عنه - سأل سيدَنا أبيَّ بن كعب - رضي الله عنه - عن التقوى ، فقال : هل سلكتَ طريقاً شائكاً يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : كيف فعلتَ ؟ قال : شمَّرتُ واجتهدتُ . قال : كذلك طريق التقوى .

١٦) الأساسُ في الطريقِ والسيرِ والسلوكِ تزكيةُ النفس ، لأن الذي يدخل الطريق كان قبل ذلك مؤمناً ، فدخل الطريق ليترك الأخلاق الذميمة ؛ فإذا ترك الأخلاق الذميمة تأتي مكانها الأخلاق الحميدة ، حينئذ تحصل تزكية النفس ؛ وإذا تزكَّت النفس يكون ظاهرُ الإنسان هيكلاً إنسانياً وباطنُه هيكلاً نورانياً ملَكياً يُضيء مثل المصباح .

١٧) الإنسانُ ليس حُرّاً في كلِّ شيء ، لكنْ له اختيار ؛ وهذا الجزء الاختياري - وإن كان ضعيفاً - فضَعفُه بالنسبة إلى الله ، لكنه بالنسبة إلينا ليس ضعيفاً ، لأن الضعيف معذورٌ ، ونحن لسنا بمعذورين بل مكلَّفين ؛ فإذا خالفْنا الحقَّ نكون ظالمين: { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [النحل/١١٨] .

التوسُّط في كل الأمور جيد ، والزيادة والنقص كلاهما ضَرَرٌ ؛ فالطعام إذا زاد عن الحد يسبب المرض ، وإذا نقص يسبب الضعف ، وكذلك النوم إذا كان كثيراً يكون غفلةً ، وإذا كان قليلاً يسبب الضعف . مَن عَرَفَ هذا الضعف في جسده وفي نفسه وفي عقله وفي علمه وفي كل ما يتعلّق به يُقِرُّ بأنه ليس له شيء إلا بالله ؛ حينذاك لا يقول : أنا ، ولا يُعجَب بنفسه ، ولا يتكبر ، ولا يغتر بالعمامة والجبة . ولذا يقولون : من عرف نفسه عرف ربه .

١٨) التقوى على مراتب : فتقوى العوام : عن الشرك ، وتقوى الوسط : عن المعاصي ، وتقوى الخواص : عمّا سوى الله . قال الله تعالى : { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانَاً } [الأنفال/٢٩] أي تمييزاً ، فيميَّز لك الفرقُ بين الحقِّ والباطلِ بفضل الله تعالى ، بما أنعم عليك من التقوى ، حتى لا تنحرف عن الاستقامة لا قليلاً ولا كثيراً .

١٩) أمورُ الطريق تَظهر كثيراً للمبتدئين ، خصوصاً ما حصل في سير وسلوك خادم الطريق ، يمكن أن يحصل للمريدين الصادقين ؛ لكنْ بعد ما يتقدَّمون تغيبُ هذه

الأمور ولا يَلتفتون إليها ، لأنها تصبح تافهةً بالنسبة لطلبهم ، وهو رضا الله ورضا رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يكونوا في صف الذين رضي الله عنهم ، لأن الولاية ليست بظهـــور خوارق العادة . فهناك كثير من الأولياء الكمَّل ليس لهم خوارق ، وهذا أفضل لهم ، لأن التعلق بخوارق العادة مثل تعلق التاجر بالمادة ، كلاهما دنيوي ، ويكون سبباً للشهرة بين النـــاس ؛ وإذا حصلت الشهرة فليس كل إنسان يملك نفسه .

حتى التعلق بشيخ الطريق إذا كان من أجل خوارق العادات فهو غلط ؛ لكنَّ المريد يتعلق بخادم الطريق من أجل أن يُعِينَهُ ويوَجِّهَه إلى الله ورسوله بالدعاء والتلقين والتوجيه والاستمداد .

٢٠) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا انتبهوا ندموا فإذا ندموا لم ينفعهم الندم)) . نحن الآن في الدنيا في خسارة ، وعندما يموت الإنسان يندم ويقول : لِمَ لَمْ أذكر الله ؟ لِمَ لَمْ أصلِّ ؟ لِمَ لَمْ أتمسك بالقرآن ؟ فعلينا أن ننتبه قبل الموت ، وربُّنا جل وعلا قادر أن يكمِّل نَقصنا وخسارتَنا بالاستغفار والتوبة والرجوع إليه جل وعلا .

معاصينا وذنوبنا لا تذهب بالستر والإخفاء عن الخَلْقِ بل تبقى ، فإذا تكلم الإنسان يفوح من كلامه ريح يدل على أنه يتكلم على حسب نفسه لا على حسب إيمانه ولا على حسب تقواه ولا على حسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢١) الحرصُ على العبادة نوعٌ من الرياء ؛ أما العبادة الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع التوكل على الله فهي مقبولة .

فالنفس تفرح بمدح الناس ، أو الإنسان في نفسه يفرح بالعبادة . أما إذا قال : الحمد لله الذي وفقني للعبادة مع تقصيري ونقصاني ، نرجو الله أن يُتمِّم هذا النقص .

٢٢) خذوا أخلاق القرآن وزِنوا بها أوصافَ نفوسكم ؛ هـــل هـــي مثـــل نفـــس فرعـــون أم لا ؟ واللهِ مثله ، لكنَّ إيمانَنا لا يرضى بأوصاف هذه النفس .

قال لي أحد الأولياء - رضي الله عنه - : واللهِ منْ لَمْ يعرف أن نفسه أخبثُ من نفس فرعون لا يحصل له شيء . لكنْ كلٌّ واحد يدافع عن نفسه . في الدنيا يمكن له أن يجادل ، أما في الآخرة فإن الله يُسَكِّرُ فمَه ويُنطِق جوارحَه .

الجاهل الذي لا يرضى عن نفسه ليس جاهلاً ، والعالِم الذي يرضى عن نفسه ليس عالماً .

٢٣) كما أنّ الإنسان إذا توسّخَتْ ثيابُه يُنظِّفُها بالغسيل ، فكذلك عليه أن ينظِّف باطنَـــه . فإذا كان الإنسان يذكر الله وباطنُه متعلق بشيء ما (يدخل فيه ما سوى الله) - سواء انتقل من ذلك التعلق إلى تعلق آخر ، أو بقي مع عين التعلق إلى نهاية ذكره - فإنه لم يَذكر ، وإذا دام على هذا الذكرِ القليلِ الفائدةِ يحصل معه الملَلُ ، لأنّه لا يتذوق لذة الذكر ، وقلبُه لا يُفتَح بالحضـــور والشهود والإيمان الحقيقي . وقد يخطر على باله: إنك خُلِقْتَ من ماء مَهين ؛ واللهُ أعطاك العلـــم والقرآن والجسد والعقل ووفَّقَكَ لطاعته وأنت متعلق بهذه الأمور ، فيحصل معه المَلل ، فيكـــون كمن يتاجر ويقع في الخسارة بشكل متكرر أو كحمارِ الرَّحى يدور في مكانه فييأس ؛ حينـــذاك

يترك الطريق قلبياً ، وإذا لم يَخَفِ الناس يتركه ظاهرياً أيضاً ، فيخرج من الطريق أو ينقد عليه ، ونفسُهُ رئيسةٌ لا يَنقد عليها ؛ وبذلك يكون قد ترك التمسك بالإسلام وليس التمسك بـــالطريق فقط ، لأنّ الطريق مبني على الشريعة ، ووظيفته تقوية الإخلاص حتى يكون العمل مقبولاً .

٢٤) بالذكر الكثير يَلينُ القلب وتُقطَع الخَطَرات ، فالخَطَرات مرحلةٌ . سئل أحدهم : هل لك خطرات ؟ قال : لا ، واللهِ منذ عشرين سَنَةً لا يأتي على قلبي خَطَرات . بعضُ النـــاس هكـــذا ، وبعضهم من يحتاج إلى المجاهدة حتى يصرف الخطرات . فإذا ارتفع من مقام الخطرات والوساوس ينتقل إلى الحال ، والحالُ لا يدوم بل ينتقل من حالٍ إلى حـــالٍ ، وكلما انتقل يزداد إيماناً بـــالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ؛ عندئذ يرى الكشف والكرامات كأنها نارٌ ، حتى لا تفرحَ نفسُه بها ، ويدوم على ذلك حتى يصل إلى الانتهاء أو إلى الوسط بقدر ما قَدَّر الله له .

٢٥) نَفْسُ الإنسان تحب أن يطَّلعَ الناس على حاله وعلى عبادته وعلى مقامه وغير ذلك ؛ لذا يُمنَع المريدُ من ذكرِ ما يحصل معه في سيره وسلوكه لغير خادم الطريق ، حتى لا يسمح للشيطان والنفس أن يسرقا منه ذلك بوقوعه بالرياء والكبر والأنانية .

٢٦) الله يُخفي أولياءَه بين الناس ، لكنَّه إذا أحبّ شخصاً دلَّه على واحدٍ منهم حتى يلازمه .

كما أنّ الأولياء الذين لا تظهر على أيديهم خوارق العادة أفضل من الذين تظهر على أيديهم الخوارق ؛ كذلك الولي المخفِيُّ أفضل من الولي الظاهر . لأنّ الظاهر قد يكون لنفسه حَـــظٌّ في ولايته ، ولكنْ إذا أظهره الله فهو يُعينه . وقد يكون الإظهار للتجربة والامتحان ، فـــإن جرَّبـــه وأعانه هذا نعمة .

الأفضلية عند الله بالتقوى لا بالظهور ولا بخوارق العادات .

٢٧) ليلةُ القدْرِ خاصةٌ بالمؤمنين - نرجو الله أن نكون منهم - ، ولكن الله تعالى قيَّد رحمته بقوله : { إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف/٥٦] ، وقال أيضاً : { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً ثُمَّ اهْتَدَى } [طه/٨٢] . عليك أن تقول لنفسك : هل أنتِ من هذا القسم ؟ فلا بد للمؤمن أن يطهِّر نفسه من الخباثة والنجاسة . عليك أن تَزِنَ نفسك بهذه الآيات ، وتتمسك بالشريعة ، وتجتنب المعاصي ؛ فإن كان الله قد حفظك من المعاصي الكبيرة ، فإنّه يكفيك أنّك تقع في المعاصي الصغيرة وفي الغفلة ؛ والغفلةُ عن خالقنا مفتاحُ جهنم .

يقول بعض الأولياء : من فعل سيئة يُفتَح له باب جهنم ، لكنّه إذا تاب يُغلَق .

عارٌ علينا أن يرانا ربُّنا ونحن نعصيه ؛ هذا لا يليق بإيماننا ، ولكن إذا قُدِّرتْ علينا المعصية ، فعلينا أن نبادر إلى التوبة .

٢٨) مرضُ النفس يمكن أن يذهب بالصحبة والمجاهدة ، لكنْ على السالك أوّلاً أن يتنبَّه إلى مرضه ، فإذا اطَّلع عليه تكون إزالته سهلة ، لكنه لا يذهب بالكلِّيَّة بمجاهدةِ ساعةٍ ، بل يصبح متنبِّهاً لمرضه ، فقَبْل أن يصل إليه الرياء – مثلاً – يراه من بعيد ، فيتهيَّأ بالاستغفار والتوبة ؛ وكذلك العُجب والكِبر والخيانة والتشَدُّق . الوقوفُ على هذا من شأن الصالحين . فبَعد أن يقف المريد على مرضه لا بدَّ له من المذاكرة حتى يستفيد من شيخه .

نرى البعض مملوءاً بالرياء من رأسه إلى قدمه ، فلا نتّبعه ولا نعطيه المجال ؛ هذا معالجةٌ له .

٢٩) الطريق ليس متعلّقاً بالأشخاص ، ولو كان متعلّقاً بالأشخاص لما دام من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن ؛ لكنْ هناك حلقةٌ نورانية فيها أنواع المحبين والمحبوبين والمريدين .

رئيس هذه الحلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن أراد أن يدخل تلك الحلقة عليه أن يدخل عن طريقهم وبإذنهم .

٣٠) قال الله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } [آل عمران/١٠٢] ، وقال في آية أخرى : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن/١٦] .

التخفيف في قوله : { مَا اسْتَطَعْتُمْ } هو لفعل الفضائل ،لكنَّ المعاصي يجب أن تُجتَنَب بالكلِّيَّة ، فليس في ذلك تخفيف. يفسِّرُ هذا قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)) .

إذا كانت اللطائف الإنسانية المنوَّرة تحت مراقبة رب العالمين يكون ترك المخالفات سهلاً ، فتركُ المعاصي أسهلُ من إتيان العبادة على البشر ، لكنَّ المقصودَ بالعبادة هنا حقيقتُها ؛ ظاهرُها وباطنُها ؛ ولذلك قالوا : الإتيانُ بفضائل الأعمال ــ مثل الخشوع والحضور ودفع الوساوس ــ صعبٌ ، لأنّه ليس في وسع العبد ، بل لابد من الخطرات ، فعليه أن يجاهدها .

أضاف - حفظه الله - قائلاً : سِنِّي سبع وسبعون سنة . منذ أن وَعيت ما رأيت أسهل من التمسك بالشريعة .

التمسكُ بالشريعة سهل ، لكنْ بسبب الغفلة يكون صعباً .

٣١) قال الله تعالى: { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر/٩].

لو نظرتَ بنورِ الشريعة ونور الحقيقة إلى نفسك أوَّلاً وإلى الآخرين ثانياً تَرى أنَّ مع كلٍّ واحد شُحّاً ، لكنْ منهم مَن يَتّبع شحــّه ، ومنهم مَن لا يَتَّبِع .

ليس رزقنا هو الموجود عندنا ، لكن رزقنا عند الله ، وبقدر ما نُنفِق يعطينا الله مِن خزائنه .

٣٢) كلُّ مَن كان اعتقادُه في حق الله قوياً ولم يبقَ على الاعتقاد التقليدي الذي أخذه في حال الطفولة من والديه فالله تعالى هو الذي أعطاه هذا ، فإذا قال : (الله) ، وهو بقلبــه يعتقــد عظمتــه يَتحــيَّر - والتحيُّرُ دليلُ قوة الإيمان - حينذاك يأتيه : { لَــيْسَ كَمِثْلِــهِ شَــيْءٌ } [الشورى/١١] . عظَمتُه تملأ الكون بالعلم والإحاطة والقدرة لا بالجسم .

٣٣) مَن كان يحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرفُ بإيمانــه واعتقــاده أنّ النجــاة والنجاح والفلاح باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل بالسُّنَّة . ففي حال حياته صلى الله عليه وسلم هو رائدٌ لجميع المسلمين ، وبعد انتقاله سُنَّتُه قائمة مقامه . فعلى المؤمن أن يعتقــد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرٌ ، فكيف يُخالف أمرَه ؟ في نظر المؤمنين رسول الله صــلى الله عليه وسلم كأنّه حيٌّ ، لأنّ وظيفتَه موجودةٌ وحِلَّه وحرامَه موجودٌ ، فعلينا أن نتّبــع الحِــلَّ ونترك الحرام .

٣٤) كلُّنا نركض وراء شيء ربُّنــا ما أعطى له قيمة (هو الدنيــا) ؛ فلو تَفكَّرنا في الكرة الأرضية وما فيها من مخلوقات وسيارات ومنشآت ... هل فَناؤُها بقيام القيامة إســراف ؟ لا ؛

لأنّها ليس لها قيمة ، وقد أُعطِيت لاحتياج الإنسان ، فإذا ذهب الإنسان لم يبقَ لها لزوم . فـــالله أعطانا هذه النعم لنأخذ منها احتياجنا حتى نتقرّب منه لا لنَبعُد عنه .

٣٥) الإسرافُ في المباح غيرُ مرغوب ، وليس من دأب المؤمنين الصالحين . فكما أمرنـــا الله تعالى بالأكل بقوله : { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا } [الأعراف/٣١] نهانا عن الإسراف بقولــه : { وَلا تُسْرِفُوا } [الأعراف/٣١] . وهكذا كلّ المباحات مقيَّدة بعـــدم الإســـراف . والتجـــاوزُ في المباحات يُخرج المؤمن عن طور التقوى والاستقامة .

فالإسراف ليس مقبولاً ، وكذلك ضد الإسراف - التقتير - غير مرغوب ، لقولـــه تعـــالى : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }[الفرقان/٦٧] .

٣٦) كما أنّ الأجساد بعضها متعلق ببعض ، فكذلك الأرواح تعرف بعضها . فـــإذا مـــات الابن على الصلاح يلتقي بروح أبيه إن كان صالحاً أيضاً ، ويكون معه ، ويفرح كلّ واحد منهما بالآخر ؛ أما إذا لم يكن من أهل الصلاح فلا يلتقيان أبداً .

من مات وهو مـــن أهـــل الصـــلاح يعفـــو الله تعـــالى عـــن ســـبعين مـــن أقاربـــــه ، قال تعالى :{ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ } [الرعد/٢٣] . كلُّ هؤلاء الأقارب يدخلون الجنّة مع هذا الشخص بسبب صلاحه ، بشرط أن يموتوا على الإيمان .

٣٧) الدينُ يُبنَى على النصيحة ، والنصيحةُ مثلُ المطر ، فإذا جاء المطر وأنـــت لم تـــزرع في مزرعتك بذراً لا ينبت شيء . فالنصيحة يَطْلُع منها بعض الأمور المتعلقة بالاعتقـــاد والطاعـــة والعبادة ؛ فعلى الإنسان أن يراقب عمله الظاهري واعتقاده الباطني ، فإذا وجد شيئاً من الخطأ في

الاعتقاد أو في غيره عليه أن يَسأل حتى يصحِّح . وعلينا أن نَنصح ، لأنّ الساكت عن الحقّ شيطان أخرس ؛ فإذا رأينا أحداً يخالف الدين علينا أن ننصحه ، فإن قَبِلَ قَبِل ، وإن لم يقبل نفوِّض أمره إلى خالقه ، لكن إذا حصل لك يقين أنّ المنصوح لن يقبل منك فلا تنصحْه ، لأنّ شرط النصيحة القبولُ عند المنصوح والإخلاصُ عند الناصح بأن لا يدخل فيها حَظٌّ نفسه .

٣٨) إذا رفعنا رأسنا إلى السماء نرى عظمة الله تعالى ، لكن هذا إيمان العوام ، وهو دلالة المصنوع على ثبوت الصانع ، ولا يُعتبَر هذا من الإيمان القوي . أما صاحب الإيمان القوي فيرى أن وجود الله تعالى يدل على وجود الموجودات ، كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ــ رضي الله عنه ــ : نحن نعرفُ ربَّنا بدون دليل .

٣٩) الذاكرُ إذا ذكر الله تعالى بكلِّيَّته - يعني بروحه وقلبه - مع قطع العلاقة عن السِّوى ، تثبت العلاقة بين الذاكر والمذكور . هذه العلاقة لا تُرَى بالعين ، بل هي علاقة معنويّة بالإيمان . فإذا تعلَّق بالله تعالى عليه أن لا يرجع إلى الصفات ، لأنّ رجوعه إلى الصفات سقوط من الأعلى إلى الأدنى .

٤٠) لِكُلِّ لَطيفةٍ في داخل الإنسان وظيفةٌ ، لكن بعض اللطائف لا تَقبَل من صاحبها ولا تدخل تحت سيطرته وتكون كالحيوان الشارد . فإذا كان الذكر غالباً على هذه اللطائف يُضيِّق مجاريَ النفس والشيطان .

لكنَّ الحسد والأنانية والرضا عن النفس قَلَّ من يخلص منها ، فيتخبطون في هذه الأخلاق السيئة ، فتعوقهم عن أمرِ الله والاستقامةِ وحسنِ الخُلُقِ ؛ هذا قدَرُ الله . لكنّ الله تعالى وضع لنا سبيلاً للخلاص منها وهو المجاهدة .

٤١) لا بدَّ من الصدق ، ومَن لم يكن صادقاً لو يأتي ويذهب عشرين سَنةً لا يستفيد من الطريق .

الاستفادة ليست بالكشف والكرامة ، بل بتذوُّقِ حلاوةِ الدين ، وتطبيقِ الشرع الشريف والسنةِ النبوية ، وتركِ البدع التي لا يرضى بها الله ولا رسوله . وبذلك يتقدّم الشخص حتى يكون لوّاماً على نفسه ، يقول لها : لِمَ فعلتِ هكذا ولِمَ لَمْ تفعلي هكذا ؟ مَن وصلَ إلى ذلك يكون رجلاً ، يهديه الله بإيمانه فينقُدُ على نفسه .

٤٢) تعليقاً على قول القائل :

حَفِظْنا لكم عهداً قديماً مطرَّزا على القلب يَفنى القلبُ والعهدُ لا يَفنى

قال ــ حفظه الله ــ : عند سكرات الموت جميعُ قوى الإنسان تتعطَّل ؛ فإذا تعطَّلت القوى البشرية المعارضةُ للشيطان ، تهجم عليه الشياطين ، فإن كان العهد المطرَّز على القلب ثابتاً فإنّ الشيطان لا يَصِلُ إليه ، فيذهب إلى الله مع إيمانه بفضل الله وببركة هذا الإيمان القوي . فإذا كان الاعتقاد الصحيح ثابتاً في قلب الإنسان وروحه ودمه ، فإن الشيطان لا يستطيع أن يتدخل .

٤٣) عليك أن لا تحبَّ أحداً لأنّه يُحسِن إليك ، ولا تكرَهَ أحداً لأنه يُسيءُ إليك ، بل انظر إلى استقامته الشرعية .ولْتَكُنْ محبتُك للآخرين بقدر طاعتهم لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقولون : جُبِلَتِ النفوس على حبِّ مَنْ أحسَنَ إليها . هذا حال أهل الدنيا .

كن مع الشريعة واشكر من أحسن إليك ، ولكن اعلم أن المعطي والمحسن هو الله سبحانه وتعالى ، فلو أحسن إليك أحد ولم تشكره لا يرضى الشرع بذلك ، ولكن إذا أحسنْتَ أنت إلى أحد فعليك أن لا تذكرَ إحسانَك .

٤٤) الروحُ جاءت من عالم الأمر لا تستأنس إلا بالله ، فإذا دخلت في هذا الجسم واستأنسَتْ بالنفس ومالتْ إليها تكون النفس مستوليةً عليها ، وإذا دامت هذه القهَّارية للنفس على الروح إمّا أن يَخرُجَ صاحبها إلى الكفر أو يَخرُجَ مِنَ الطبيعة الإسلامية مع بقاء الإيمان . أما إذا أعطى الله هذا الشخص قوةً إيمانيةً فإنه بفضله تعالى يُخرِج تلك الروح مِن تحت سيطرة النفس فتميل إلى ما جاءت منه من جوار الله ، والنفسُ تركض وراءها ، وصاحبُها يجاهدها ، فتكون الروح هي الغالبة . أما إذا لم يجاهد نفسه فإن الروح تبقى تحت مخالب هذا الوحش (النفس) ، فتفعل النفس ما تشاء . لذا نرى إنساناً كان مستقيماً وبعد مدة انحرف ، السببُ : أنّ النفس سيطرت عليه . ونرى آخر بقي على استقامته لَمْ ينحرف ، معنى ذلك أنّ روحه خَلصتْ من سيطرة النفس الأمّارة .

٤٥) كما أن الله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ونهايةُ معرفتِه التحيُّرُ ، كذلك ليس كمثله شيء في صفاتِه وقربِه ومحبّتِه ويدِه ويمينِه وعينِه .

٤٦) اقرؤوا القرآن واذكروا الله كثيراً ؛ لأن الذكر ركنُ الطريق وسببُ الوصـــول إلى الله تعالى .

٤٧) أنا الفقير أُحِبُّ الطريق بقدر فقري ، وأحبُّ الذين تمسكوا بالطريق ؛ هذه المحبة روحي . فأنا أفدي بروحي مَن يحبّ الطريق ويتمسّك بالطريق ، لكنْ قليلاً ما أَجد .

٤٨) مَلَكَةُ الدين إذا حصلتْ للمؤمن يكون موافقاً للاعتقاد الصحيح والشريعة والحقيقـــة ، فيميِّز الموافق من المخالف .

٤٩) الذي يَرى ليس كالذي لا يَرى ، فمَن ينظرُ إلى النور وفي عينيه رَمَـــدٌ فيقـــول هنـــاك ظلمةٌ ، العيبُ منه ليس من النور .

٥٠) قال الله تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر/٩] . ليس الحفظ لِجرم القرآن فقط ، بل لمعنويَّتِه أيضاً ؛ وذلك بوجود الأشخاص الذين يطبِّقون معـــانيَ القـــرآن وأحكامَه .

٥١) من اتَّبع هواهُ وثبَتَ في قلبه حبُّ الدنيا فهو محروم ؛ لا يذهب إيمانه ولكن لا يستفيد من الحقيقة الإيمانية .

٥٢) إذا تطهّر الإنسان من الصفات الذميمة وتنوَّر عليه أن لا يعتمد على نفسه ، لأنّه يمكن أن يدخل عليه العُجْب ، وإذا دخل العُجْب يُلوِّث بعد التطهير .

٥٣) العلماءُ المعتقِدون بعقيدة أهل السنة والجماعة إذا كانوا على المشرَب المحمـدي فهـم كالضأن ؛ تُعطي لرضيعها الحليب الصافي ، أما غيرُهم فهم كالطير يُطعِم أفراخَه القيءَ .

٥٤) من أراد دخول الخلوة من أجل أن يُفتَح عليه ، عليه أن لا يدخل الخلوة ؛ أما من أراد دخول الخلوة من أجل أن يُخلِّصَ الناسَ من شرِّ نفسه ويبقى مع الله فهذا جيّد.

٥٥) أسرارُ الطريق لا تُعَدُّ ، لكنْ لا بدَّ لتحصيلها من القبول والتسليم ؛ فإذا ثبتَ التسليم فكلٌّ شيء يأتي مِن الحبيب محبوب .

٥٦) الذي فُتِح له بابُ الـذكر ، مـع التمسـك بالشـريعة ، يخلـص مـن الأخـلاق الذميمة . والذي يذكر ولا يتخلَّص فهو يذكر بلسانه فقـط ؛ هذا ليس بذكر .

٥٧) مَن يذكر الله كثيراً يُفتَح اشتهاؤه للذكر كما يُفتَح اشتهاء الصائم للطعام ، حينـذاك يُضيِّق مجاريَ الشيطان . لكنّ الذكر صعب على النفس ، وبَعدَه في الصعوبة صلاةُ التهجـد ، ثم قراءةُ القرآن بتدبُّر .

٥٨) قال الله تعالى :{ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين/٤] . هذا التقويم ظاهرٌ وباطنٌ ؛ لكن إذا اتبع الإنسان النفس والهوى لا يبقى لإنسانيته حقيقةٌ ويَنـزل إلى مرتبة الحيوان وينحرف عن حقيقةِ : في أحسن تقويم .

٥٩) من لم يكن عنده شفقةٌ يَنصح الآخرين على حَسَبِ نفسه لا على حسب ما يريـد الله . نقول لهذا الناصح : المنصوحُ عبدُ الله ، فإذا لم يعطِهِ اللهُ الهدايةَ هل تقلع عينه ؟

٦٠) إذا تأخَّرتِ العبادةُ عن وقتها يُسرَق الوقت ، لأن الوقت الذي تُحوَّل إليه هذه العبادة له عبادة أخرى ، فتفوت العبادة الأخرى باشتغاله بالعبادة الأولى .

٦١) السارق لا يدخل إلى البيت إلا إذا وجد طريقاً إليه ، فإذا كان صاحب البيت مساعِداً له يكون دخوله أسهل . كذلك الخطرات والأوهام والرياء والعُجب والكِبر... كلُّها مَصدرُها من الشيطان وتطبيقُها من النفس .

٦٢) إن كنتَ تطيع الله تعالى فأنت صادق بحبك له ، وإن كنت تخالفه فلست بصادق في محبته . كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

تَعصي الإلهَ وأنتَ تزعُمُ حبَّهُ هذا لَعَمري في القياس بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ إن المحبَّ لِمَنْ يحبُّ مطيعُ

٦٣) علاجُ الغفلة ذكرُ الله وذكرُ الموت وما بعد الموت .

٦٤) س : الله هو الذي خلق جهنم ، أليس غضبُهُ أشدَّ من نار جهنم ؟

ج : ليس هناك تناسب بين غضب الله وبين نار جهنم ، فيمكن للإنسان أن يُحرَق في النار جزاءَ عمله ثم يُخرَج منها برحمة الله ، وأما إذا غضب الله عليه يكون ممن يقول الله لهم : { اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ } [المؤمنون/١٠٨] ، فهذا أشد من عذاب جهنم ، وينطبق عليه قوله تعالى : { كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا } [السجدة /٢٠] . ومن جهة أخرى فإن عذاب جهنم يكون في الآخرة فقط ، أما غضب الله فهو ثابت في الدنيا لمستحقِّ الغضب .

فغضَبُ الله أشدُّ من النار لأنه خالق النار ؛ وكذلك رضا الله أكبرُ من الجنة ، كما قال الله تعالى : { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } [التوبة/٧٢] .

٦٥) س : إذا التزم الإنسان بحدود الشريعة في عمله هل يُعَدُّ حاضراً مع الله ؟

ج : الذي يقف مع الشريعة بعمله يُعَدُّ غيرَ متجاوزٍ للحَدِّ ، لكنَّ هذا ليس حضوراً ، أما إذا تَفَكَّرَ بإيمانه بأن الله يراه لذلك فهو لا يغش فهذا حضور .

الذي يأخذ بالشريعة ينبغي أن لا يقف هنا ، فالطريق يمرُّ من هنا ؛ بل عليه أن يعتمد على الشريعة ، وبداخل الشريعة يترقّى ، لأن الطريق يُبنى على الشريعة .

٦٦) س : كيف يُخلِّص المريدُ قلبَه من الصور التي تَعَلَّق بها ؟

ج : بالمجاهدة تزول صور الأكوان من القلب : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/٦٩] ، فلا بدَّ للمؤمن مِن المجاهدة ومخالفة النفس حتى يُحَصِّل الهداية ، وليس هناك درجة فوق الهداية . وهذه الهداية ليست متعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بأيِّ أحد من الناس ، لكنَّها متعلقة بشؤون الله جل جلاله : { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [البقرة/٢٧٢] ، فهو يعطيها لمن كُتِبت له في الأزل .

ولا يُقال : ما دامت الهداية قد كُتِبت في الأزل فلا لزوم للمجاهدة ؛ لأن الله تعالى لم يَسلب من العبد إرادتَه بالكُلِّيَّة ، وإن كان الجزء الاختياري ضعيفاً . فإذا لم يجاهد الإنسان نفسه أولم يترك الهوى فإن القضاء والقدر لا يلتقي بالمجاهدة ، فتبقى الخسارة على العبد .

الله يعلم السرَّ وأخفى ، فإذا رأى عبده يجاهد نفسه مع النية الصحيحة يعطيه الهداية.

٦٧) س : إزالة الخواطر هل تكون بـــذكر (لا إلـــه إلا الله) أم بـــذكر لفـــظ الجلالـــة (الله) ؟

ج : الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) تُزيل الأغيار من القلب ، والصلواتُ على الرسول عليـــه الصلاة والسلام تنوِّر القلب ، فإذا تنوَّر القلب بعد إزالة الأغيار يحصل الحضور ، وإذا حصـــل الحضور والخشية في الصلاة أو في الذكر لا تأتي الوساوس إلا قليلاً ، وإن جاءت فالإنسان يُحِسُّ بها ، حينذاك عليه أن يَرجع ويوجِّه قلبه إلى لمذكور إذا كان في حالة الذكر ، وإلى الله إذا كان في الصلاة . ولا يحصل هذا إلا بالمجاهدة أو السلوك على يَدِ مَنْ وَصَلَ وفَهِـــمَ ورَجَـــع وأُذِن ، أو بمصاحبة أرواح الأولياء الكمَّل المتقدمين المتوفَّين ، وهذا يحصل بعناية الله جل وعلا .

س : ورد في الجواب : التوجُّهُ إلى المذكور والتوجه إلى الله ، فما هو الفرق بينهما ؟

ج : الذي يكون في الصلاة لا يمكنه أن يتكلم ، ولا يمكن أن يضرب بلفظ الجلالة على قلبه ؛ فعليه أن يوجِّه قلبه إلى الله مباشرة ، فيترقى فوراً إلى حالٍ أعلى ؛ أما الذي يذكر الله فإذا جاءته الخواطر والوساوس بإمكانه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم مثلاً ، فيستعين بالـــذكر علـــى توجيه قلبه إلى المذكور .

٦٨) س : هل يتولَّد الحضور مع الله من كثرة الذكر ؟

ج : نعم . الحضور مع الله آلَتُهُ - بعدَ تركِ المعاصي والحفاظِ علـــى حـــدود الله والتمســـكِ بالشريعةِ والسنةِ النبوية - ركنٌ من أركان الطريـــق ، هو الذكر . فمَن أَحَبَّ شيئاً أكثر ذِكرَه .

عليكم أن تجرِّبوا حالَكم ، فمَن يذكر كثيراً يغيَّر حالُه كما تُغيَّر أوراقُ الأشجار . ولكنكم لا تتَفَكَّرون في أحوالكم ، بل تشتغلون بالأكل غير العادل والفلوسِ والدنيا والخلقِ وبأمور تافهةٍ لا نفعَ بها .

لا بدَّ للإنسان من أن يحاسب نفسه مساء كل يوم على ما صدر منه من التقصيرات من جهتين:

جهة ظاهرية : مثلاً يقول : إني خدَعْتُ فلاناً أو كسرْتُ قلب فلان أو أخذْتُ مال فلان...

وجهة باطنية : مثلاً يقول : إني بالقلب نقَدْتُ على فلان ... وهذا النقدُ إذا كان لأجل الدين فليس مذموماً ، أما إذا كان لأجل النفس فهو مذموم .

٦٩) س : عند الحضور هل للعقل مداخلةٌ بالقلب ؟

ج : للعقل حَدٌّ مُعيَّن ، لكنَّ القلبَ والروحَ ليس لهما حدود ، وهما وراء العقل ؛ فالذي يصل إليه القلب لا يصل إليه العقل ، لأنّ العقل محجوب بالطبيعة البشرية ، فقد يُنكِر ما كان مخالفاً لهذه الطبيعة ، أو يقول : إني لا أعلم ؛ وبذلك يبقى العقل هناك معزولاً ، أما القلب والروح فيمكن أن يذهبا إلى ما فوق سبع سماوات بلحظة واحدة .

فعقل العقلاء من أهل الدين يقول : أنا لست أهلاً لهذا ، لكنّه لا يُنكر ؛ أما عقل من لا يعرف نفسه فإنه يُنكر .

مَن أسندَ عقلَه إلى الشريعة فهو عاقل ، ومن أسندَ عقلَه إلى نفسه فليس بعاقل .

فالعقل عقلان : عقل المَعاد وعقل المَعاش ؛ صاحب عقل المعاد تَرى سيرتَه شـــرعيةً ، فعقلُـــه يخلِّصه من عذاب الله . أما صاحب عقل المعاش فسيرتُه ليست شرعيةً ، وعقلُه لا يخلِّصـــه مـــن عذاب الله ، لكنْ يمكن أن يعفو الله عنه برحمته سبحانه وتعالى .

٧٠) س : يقول البعض : في الزمان الماضي كان هناك أولياء ، ولكن في هذا الزمـــان أيـــن الأولياء ؟

ج : هذا القول يَحْجُرُ على قدرة الله تعالى ؛ فقدرةُ الله تعالى شاملة لجميع الأزمنة ، لا يقيِّدها شيء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أمتي كالمطر لا أدري الخـــير في أولهـــم أو آخرهم)) .

كلُّ واحد من المسلمين الذين انتموا إلى الطرق عليه - بعد الاعتقاد الصحيح - أن يتمسك بالشريعة والسنة النبوية مع الإخلاص ، وأن تكون السنة النبوية عنده أهم من أوراده ووصـــايا شيخه ؛ وإذا ثَبَتَ هذا فكُلُّ مريدٍ تكون له خصوصيَّةٌ ؛ فمنهم من ينتقل بسرعة من الخطـــرات والأحوال ويصل إلى الوسط فيكون مستريحاً بعبادته لله تعالى ، ومنهم من تكون تربيته غير ذلك ، لكنَّ بعض المريدين لا يفهمون هذا الأمر فينظرون إلى المنتهى وهم مبتدِئون ، ويتفَكَّرون : لِمَ لا يحصل لنا هكذا ؟ ويبقى فكرهم محصوراً في ذلك .

بعدما يتوجّه المريد الصادق إلى سيره وسلوكه ، فالصحبة (المجالسة) تكمِّل له ذلك بشـــرط التسليم والانقياد . ومن حصل له ذلك يكفيه زيارة واحدة لشيخه كل سنة أو كل ثلاث سنوات أو أكثر .

فالمبتدِئ ليس له حق أن ينظر إلى المنتهَى ، بل عليه أن يقعد مكانه حتى ينقلَه ربُّه أو ينقلَه شيخُه بالنصيحة بتوفيق الله تعالى .

٧١) س : قال الله تعالى على لسان فتى موسى عليه السلام : { وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } [الكهف/٦٣] ، فهـــل النسيان من الشيطان ؟

ج : الشيطان سببٌ للنسيان ، لكنَّ الكَسْبَ من العبد ، وخالقُ الفعل هـــو الله . فالغفلـــة لا تُنسَب للشيطان ، ولكن تُنسَب إلى كسب العبد ؛ فإذا كَثُر الذكر لا يَـــدخل الشـــيطان ، وإذا حصل الحضور بالمشاهدة لا تأتي الغفلة، أما إذا كانت عمارةُ القلب ضعيفةً فبقدر ذلك الضعف تدوم غفلته، وبقدر غفلته يذهب معها، ولكن ليس بالكُلِّيَّة بل ينتبه، فإذا انتبه يستغفر ويرجع : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } [الأعراف/٢٠١] ، فيكون مثل حيوان مربوط بحبل يتحرّك بقدر طول الحبل . وكذلك القلب كلّما كانت غفلتـــه أكثر ، يسترسل معها لفترة أطول .

٧٢) س : لِمَ شُرِطَ على خادم الطريق أن يكون قد أخذ السير والسلوك على يد رجل ذَهَبَ ورَجَعَ ، وبعدُ هو يذهب ويرجع ؟

ج : لِيُرِيَ الناس ما رأى ؛ فسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال : { رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } [البقرة/٢٦٠] ، هذا الطلب منه ليس للشك قطعياً ، فهو رسول الله يوجِّه خلق الله إلى خالقهم ؛ لكنَّ سؤاله من أجلهم حتى يقول لهم : إني رأيتُ إحياءَ الموتى بعيني .

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

وصية للنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

سلامي على الجميع . أما بعد :

كنَّ لله يكنِ الله لَكُنَّ . اختصرْنَ في الكلام في غير ذكر الله ، وأنفقْنَ على بيوتِكْنَّ وأنْفسِكنَّ ولا تُسرِفْنَ ، واذكرْنَ الله كثيراً ، واقرأنَ القرآن الكريم بتدبُّر ، وطبِّقْنَ على أنفسكُنَّ الأوصافَ التي وصف الله بها عباده فيه ، وصَلِّينَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتنوَّرَ القلوب ، وأكثِرْنَ من ذكر (لا إله إلا الله) لتزول الأغيار من القلوب ، واذكرْنَ الموتِ قبل أن تَمُتْنَ وحاسبْنَ أنفسكُنَّ مساء كل يوم من جهتين :

جهةِ الظاهر : على ما صدر مِنْكُنَّ من المخالفات الدينية .

وجهةِ القلب : على ما حصل مِنْكُنَّ من الحقد أو الحسد أو الغيبة أو غير ذلك من الأمور القلبية ؛ قبل أن يأتي الأجل بغتةً فلا يحصل بعده إلا الندامة :

فالموتُ يأتي بغتةً والقبرُ صندوقُ العمل

نعرفُ هذا يقيناً ولا يمكن لنا أن نُنكره ، كما لا يمكن إنكار الشمس . عليكُنَّ أن تخَفْنَ مـــن الوقوف بين يدي الله جل وعلا :{ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَــوْمَ الْقِيَامَـــةِ كِتَابَاً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبَاً } [الإسراء/١٣-١٤] .

سنقوم للحشر أبَيْنا أو أَطَعْنا ونقفُ بين يدي الله تعالى وننتظرُ في ذلك اليوم حـــتى يَـــأذن الله بالشفاعة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ومن ثَمَّ إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار .

ولاتغترِرْنَ بأننا نحن وأنتُنَّ الآن على الإيمان وعلى القرآن ، لأنَّ دوام هذا الإيمان معنا إلى القبر مجهول ؟ مع عدم قطع رجائِنا عن لطف الله ورحمته وكرمه .

عليكُنَّ أن تحافظْنَ أن لا تكُنَّ من جماعة إبليس - عليه اللعنة - وهو يقرأ خطبتَه المقطوعةَ عن الحمدِ والثناءِ والرحمةِ في جهنم ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِـــنْ سُـــلْطَانٍ إلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّـــي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [إبراهيم/٢٢] .

ولا تطلُبْنَ ولا تركُضْنَ وراء الكشف والكرامة ، وتَفَكَّرْنَ بأنَّ ربَّنا جلَّ وعلا أيَّ شيء يَطلب منا ؟ يريد أن نكون عبيداً له ، نؤدي وظيفة العبودية ، لا أن نكون مخالفين ومَسْخَرةً للشيطان .

حافِظْنَ على حدود الله تعالى جلَّ وعلا . حدودُ الله تعالى في الأرض الشريعةُ المحمدية ، واطلُبْنَ محبةَ الله تعالى وتقدَّسَ حضرتُهُ ، باتباع رسولِكُنَّ الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ولْتكُنْ أعمالكُنَّ سواء كانت صلاتيّة أو صوميّة أو زكويّة أو نصيحة أو معاملة مقيَّدةً بالشريعة المحمديـــة عليـــه

الصلاة والسلام ، موافقةً لها ، واتّبِعْنَ سُنَّةَ الرسول عليه الصلاة وأفضل السلام ، مع الإخلاص ، حينذاك تكُنَّ مَرضيّات محبوبات عند خالقكُنَّ .

معلوم ! أنتُنَّ مؤمناتٌ تحِبْنَ أن يحِبَّكُنَّ الله تعالى ، قال جل وعلا : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّــهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران/٣١] . هل يوجد بشارة فوق هذه البشـــارة القرآنيـــة الكبيرة التي تَفــَوَّهَ بها رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أخذها عن جبريل عليه الســـلام عن رب العالمين وبلّغ إلينا ؟

لاتترَفَّعْنَ على الفقيرات ، سواءٌ كُنَّ مبتدِئات أو قديمات .

اجتمِعْنَ على تقوى الله ، وتفرَّقْنَ على تقوى الله . ولا تجتمعْنَ خارج حـــدود الله ، فتتفـــرَّقْنَ صفْرَ اليدين عند الرحمن جل وعلا .

خَفْنَ من الله من يوم تُبلى السرائر ، ولا تَخَفْنَ أحداً من عباد الله ، لأنه ليس بيدهم شـــيء ، وكلُّ شيء بيد الله وبقدرته . فلا تطلُبْنَ العفوَ إلا منه ، ولا تتضرَّعْنَ إلا إليه ، ولا تلتجِئْنَ إلا إليه سبحانه وتعالى .

إذا جاءت إليكُنَّ فقيرة تريد الصدقة فأنتُنَّ لا تحِبْنَ أن ترُدُدْنَها بغير عطاء ، فكذلك ما دُمْنـــا متضرعين إلى الله ، ملتجئين إليه ، مع تمسّكنا بعبادته - وإن كانت ليست لائقة بـــه يقينـــاً - فحاشاه سبحـــانه أن يردَّنا خائبين .

ليكُنْ إيمانُكُنَّ بالله غالباً على قلوبِكُنَّ حتى لا تُخدَعْنَ بوساوس الشيطان التي تصل إلى النفس ، فيقول : أنتِ مؤمنة ، أنتِ تقرئين القـــرآن ، ويَعُدُّ محاسنَكِ ، ولكنَّ الشيطان لا يَعُدُّ مساوئَكِ .

استحيِينَ وخَفْنَ من هذا . نرجو الله تعالى العفوَ لنا ولَكُنَّ .

لا أدري ماذا أقول لَكُنَّ ، لأننا كلُّنا ضعفاء عاجزون ، كما قال الله تعالى في الآية الكريمة : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون/٦٠] ، نرجو الله تعالى أن نكون من هؤلاء . نفسُ كلّ واحد منا تقول : أنت منهم . لا تغترِرْنَ بي ولا بهواجس أنفسِكُنَّ .

نرجو الله تعالى التوفيق لنا ولَكُنَّ ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والصلاة والسلام على رسولنا المصطفى

وعلى الذين يتَّبعون سيرتَه وسنَّتَه

والحمدُ لله الذي بنعمته تَتِمُّ الصالحات

بسم الله الرحمن الرحيم

باقة من وصايا متفرقة

١) الحمد لله ربِّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين وآله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم إلى يوم الدّين .

أمّا بعد :

أيُّها المؤمن الّذي يريد في الدّنيا أن يرضى الله تعالى عنه ، عليك أن تسعى للوصول إلى ذلك .

والذي يريد أن يحبَّه الله تعالى عليه أن يسعى لتحصيل ذلك أيضاً .

وبهذين الأمرين أُلِّفت الكتب في دين الإسلام ، فقد فُسِّر القرآن الكريم بمجلَّدات لا حصـرَ لها ، تكلَّموا فيها عن الحلال والحرام والاستقامة وغير ذلك ؛ وكذلك كَتبوا الكـثير في علـوم الحديث الشّـريف . لكنْ ليس لنا عمر سيّدنا نوح حتّى نطّلع على كلّ هذه العلوم .

هناك نوع آخر من المؤلَّفات تُوجِّه المؤمنين إلى الله تعالى ليحصل لهم رضاه ؛ مثل كتب الإمام الغزالي والإمام الرَّبّاني (أحمد الفاروقي السَّرهَندي) وشاه نقشبندي والإمام أبو الحسن الشّاذلي والشيخ عبد القادر الجيلاني وبديع الزّمان سعيد النّورسي وأمثالهم ــ رضي الله عنهم جميعاً ــ .

ما دام عمرنا لا يكفي للإحاطة بكلّ الكتب علينا أن نتمسّك بالقسم الثّاني حتى نكتسب رضا الله تعالى .

٢) علِّقوا قلبَكم الرّبّاني بالله سبحانه وتعالى . القلبُ الرّبّانيُّ غيرُ القلب الجسمانيّ - كما قال الإمام الغزالي والإمام السّيوطي - ، ويقول الفقير ثالثاً كذلك .

القلب الجسمانيُّ يوجد في الحيوان أيضاً ، أما الرّبّانيُّ فلا يوجد إلا في المؤمن .

تفكُّرُكم في خالقِكم وتحصيل رضا ربِّكم واتّباع نبيّكم الذي يجلب محبّة الله تعالى ؛ هذا كلُّه من شؤون القلب الرَّبّاني .

وتعلُّق القلب الرّبّاني بالجسماني شيء خفيٌّ نسبةً ، لا يَبين ؛ فالعلماء يقولون كما قال الإمام الغزالي : كاستيلاء السّلطان على المملكة ، ولكنَّني أقول : كما أنّ المغناطيس إذا وُضع قُرْبَ الحديد يجذبه قبل أن يصل إليه ، فكذلك القلب الرّبّاني إذا قُرِّبَ من الجسماني ؛ هذه هي العلاقة بين القلب الرّبّاني والجسماني .

وإذا استعملتم القلب الرّبّاني وسكَّرْتُم الباب على النّفس والشّيطان يشتغل القلبُ الرّبّاني ببركة الرّسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم ، فيدور دوران الرّحى الّذي يدور بماء الشّلال ، من الفيوضات الإلهيّة الّتي تصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتَنزِل على صاحب هذا القلب الرّبّاني الّذي سكَّر باب النّفس والشّيطان.

نرجو الله أن نكون من الذين فهموا الدّين وتمسّكوا بالشّريعة وبآداب أسيادنا إلى أن نلحق بهم : { أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } [الطّور/ ٢١] . نلحَقُ إن شاء الله بأسيادنا وأشياخنا وأساتذتنا ، مع عدم عملنا مثل عملهم .

س : تكلّمتم عن المغناطيس بين القلب الرّبّاني والقلب الجسماني ، فماذا عن المغناطيس بين المريد وشيخه ؟

ج : إذا وجّهتَ قلبَك الرّبّاني للتّفكُّر بالآخرة وتحصيل رضا الله تعالى واتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصل لك محبّة مَن يحب الله ويتّبع رسوله .

هذا ليس بدعةً ، بل هو أمرٌ حقيقيٌّ ، يحرِّكنا بقدَرِ الله وفضلِه وبركة الرّسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنّ هذا الطّريق المبارك أُسِّس على التّقوى ، والتّقوى مصدرُها الشّريعةُ ، والشّريعةُ نَزَلَ بها جبريل على الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام .

٣) الإيمان الجيّد العالي لا يوجد عند أكثر النّاس ؛ فالإيمان على مراتب : عِلْمُ اليقين وعَيْنُ القين وحَقُّ اليقين .

الإيمان العالي هو ماكان مبنيّاً على عين اليقين وحقّ اليقين ، فيعيش صاحبه تحت مراقبة الله تعالى أو يصل إلى مقام المشاهدة : ((أن تعبد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك)) . قال الله تعالى :{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ } [ق / ١٦] ، قال : نَعلَمُ ؛ فهل هذه الكائنات بلا صاحب ؟ هذا الإيمان لا يوجد عند أكثر النّاس . هذه المفاهيم الإيمانيّة من القرآن الكريم .

يقولون : نحن أهل الطّريق . هل أهل الطّريق هكذا ؟

عِلمُ اليقين يمكن أن يدخل فيه شكٌّ ؛ كما حصل لعبد الله بن أَبي سَرْحٍ الذي كان من كُتّاب الوحي ثمّ ارتدَّ (القصّة في تفسير القرطبي ، سورة المؤمنون ، عند قوله تعالى : { ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون / ١٤]) .

أمّا عَينُ اليقين فلا يدخل فيه شكّ ولا زندقة لأن صاحبه رأى .

أهل الطّريقة الشّاذليّة - وليس المدّعون - يَصِلون إلى الجزء الأوّل من الحـــديث ، وهـــو : ((كأنّك تراه)) .

أمّا حَقّ اليقين فهو مقام الصِّدّيقين . عينُ اليقين :كأنّه يرى ، وحقّ اليقين : لباس .

ليس هناك أفضل من هذا الإيمان ولا أفضل من هذا الإسلام .

لا يمكن لأحد في هذه الدّار أن يرى الله تعالى ؛ ويكفي دليلاً على ذلك قصّةُ سيّدنا موسى عليه الصّلاة والسّلام . لكنْ تَحصل المشاهدة بعين اليقين وحقّ اليقين .

س : هل يمكن الوصول إلى هذا الإيمان العالي بدون واسطة ؟

ج : قليل من وُرّاث رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذون مباشرة مـــن أرواح الأوليـــاء الكمّل كالشّيخ عبد القادر الجيلاني وأمثاله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا برزخ ، وبدون هذا البرزخ (أي الواسطة) لا يمكن الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو البرزخ إلى الله ، فلا يمكن الوصول إلاّ به . فكلُّ مَن

وصل إلى هذه المراتب إنّما وصل عن طريق هذا البرزخ في ظلّ معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبدون واسطة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وبدون آدابه لا يمكن الوصـــول ، فهو الحجاب الأعظم .

أمّا أمثالُنا من الضّعفاء فلا يمكن لهم الوصول إلاّ بالواسطة الظّاهرة (أي المرشد الحي) بحيث يأخذ واحد عن واحد ، بشرط أن يكون لا يوجِّه الناس إلى نفسه ؛ فإذا وجّه إلى نفســـه عطّـــل الكلّ ، لأنّ توجيهه الناس إلى نفسه لا يرضي الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم . لكـــنَّ العوامَّ بِحُسن نِيّاتِهم يستفيدون من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم .

عِلماً أن القسم الأول (أي الذين يجتمعون بأرواح الأولياء) كذلك أخذوا بالواسطة، وهؤلاء يقال لهم : أهل الدّيوان .

المبتدئ لا يمكنه أن يأخذ مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل لا بدّ له من التّأدب بآداب رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد شيخ ، فهذا أسهل ، ويساعده على إخراج نفسه من البَين ، فيقول : هذا من شيخي ، ولا يَنسب ما يأتيه من فضائل إلى نفسه ، فيـــتخلّص مـــن الأنانيّة التي إذا بقيت فيه يكون منقطعاً .

هذه الواسطة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأنوارُ المحمّديّة لم تُطفأ ، لكنْ لمن يعيش بالسنّة المحمّديّة .

مَن حَماه الله عن البعد والغفلة يدخل في هذا ويكون عاليَ الإيمـــان ، فيبني العبادة على الإيمان العالي ، فيدخل في : ((أن تعبد الله كأنّك تراه)) .

علينا أن لا ننسب شيئاً لأنفسنا ، فهذا كلُّه من الله جلَّ وعلا .

س : ما هو دور الطّريق في هذه الأمور ؟

ج : دور الطّريق في الخروجِ عن النّفس والتّمسُّكِ بالكتاب والسنّة ــ أعــني الشــريعة ــ ، وذلك بموافقة أمر خادم الطّريق .

هذا ليس من فضل خادم الطّريق ، بل هو من أساس الطّريق ؛ فخادم الطّريق لا يعطي ، لكن الله يعطي .

هذه أوصاف الكُمَّل في الطّريق ، وليست لخادم الطّريق فقط ؛ فآداب الطّريق موجودة ، لكن الذين ينتسبون للطريق لا يعملون بها . وإذا كان خادم الطّريق مخالفاً لا نتّبع مخالفته .

ليس هناك نهاية للدّرجات والتّرقي والمقامات والإحسان الإلهي والفضل الإلهي .

هذا كلُّه من الفضائل الإلهيّة ؛ فالله لا يعطي لأحد ثواباً باستحقاق عليه ، لكنْ يعطي بوعده جلّ وعلا :{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً } [النساء/١٢٢] .

٤) قال الله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية / ٢٣] . إن المريض ــ ما دام مريضاً ــ لا ينفعُه غذاء أصلاً ، ولو كان أقوى الأغذية ؛ لذلك يشتغلون أوّلاً بفكرة إزالة مرضه ، ثمّ يجتهدون في تحصيل القوّة بأغذية مناسبة لمزاجه . فكذلك الإنسان مادام مبتلىً بمرض القلب ، كما قال تعالى : { فِيْ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } [البقرة/١٠] ، لا تنفعه عبادةٌ ولا طاعة أصلاً ، بل قــد تكون مُضِرَّةً لــــه ، كمــا ورد في الحــديث : ((رُبَّ تــالٍ للقــرآن والقــرآنُ يَلعنــه))

و ((مَن لم تَنْهَهُ صَلاتُه عن الفحشاء والمنكر لم يَزْدَدْ من الله إلا بعداً)) [أخرجــه الطــبراني في معجمه الكبير والشهاب في مسنده عن ابن مسعود] ، وكذا الصّومُ وغيرُه من العبادات .

فأطبّاء القلوب أيضاً يأمرون أوّلاً بإزالة المرض ، وذلك المرض عبارة عن تعلّق القلب بغير الحقّ سبحانه وتعالى ، بل هو تعلّق الإنسان بنفسه ؛ فإنّ كلّ ما يحبّه الإنسان ويطلبه إنّما يحبّه ويطلبــه لنفسه ؛ فإنْ أحبَّ أولاده يحبُّهم لنفسه ، وكذا الأموال والرّئاسة والجاه ؛ فمعبودُه في الحقيقة هو نفسه .

وما دام الإنسان لم يتخلّص من هذا التّعلّق والارتباط لا وَجْهَ لرجاء الإصلاح ؛ ففِكْرُ إزالة هذا المرض لازمٌ لأهل العقل ، ونحن نُحبُّ لهم التّمسّك بإسلاميّتهم حتّى لا يبقى الإيمان ضعيفاً .

رأسُ جميع السّعادات وأصلُها متابعةُ السّنّة ، وسببُ جميع المفسدات ومادّتُها مخالفةُ الشّريعة . ثبَّتَنا الله جميعاً على متابعة سيّد المرسلين عليه وعلى آله الصّلوات والتّسليمات .

وأقبحُ القبائح الرّضا عن النّفس . عَصَمَنا الله والمسلمين .

٥) كلامُ الله فيه لذائذ روحانيّة لا تُعَدُّ ولا يُعبَّر عنها . فليس هناك أحلى من كلام الربِّ جلَّ وعلا ؛ فيه لذّة ، وفيه أدب ، وفيه سُنّة مقابل البدعة ، وفيه شريعة مقابل الهوى . فمثلاً : الذي يمشي في الشّارع تقول لــه نفسه : انظر إلى هذه المرأة . هذه لذّةٌ للعين ، واتّباعٌ للهوى ، فلَئِن قدَّم كلام ربِّ العالمين : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضــُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } [النور / ٣٠] يكون أفضل . لكنَّ محاسنَ الشّريعة صارت قبائــح في نظر الناس .

مَن تمسَّك بالسنَّة نجا وفَرِحَ ، فالله ينظر إليه ، وهو ينظر إلى ربِّه بقلبه ، ويقول : يا ربّ ! هذا ذُلّي ، أنا ناقص ، أنا فاسد ، أنا غير صالح .

٦) لا بدّ للعبد من أن يستفيد من ربّه ورسوله ، حتّى يفرح يوم تُبلى السّرائر عندما يطّلع على ما تمسّك به في الدّنيا .

علينا أن نَذهب قبل أن نَذهب ، حينذاك يستفيد بعضنا من بعض .

إذا كان لإنسانٍ وَلَدان ، وأعطى كلَّ واحد منهما مبلغاً من المال للتّجارة ، فالأوّل صرَفه على الطّعام والملذّات ، والآخَر تاجَرَ به ، فهل يحبُّهما والدهما بمثابة واحدة ؟ لا والله . هكذا حالنا في الآخرة ، حيث يجني كلُّ واحد ثمرة ما عمل .

أولياء الله الذين انتقلوا من الدنيا إلى الآخرة لا يرضَون بحالنا ، فعلينا أن نذهب ثمّ نرجع حتّى يرضَوا ، لأنّهم دخلوا في مكان لا يوجد فيه كذب ولا تزوير ولا حيلة ، لذا يرضون بما يرضي الله تعالى وباتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧) العلم عند النّاس كثير ، لكنَّ العمل ليس موافقاً للعلم ؛ خصوصاً منهم العرب ، عندهم علم كثير لكن هذا العلم صار آلةً للهوى والتَّشدّق في الكلام . قال الله تعالى : { وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ } [الأنعام / ١٢٠] . لا يمكن للعالِم أن يفعل ظاهر الإثم لأنّه يكسر عزَّةَ نفسه ، لكن باطن الإثم لا يطَّلع عليه النّاس ، فيبقى دفيناً في قلبه ، فإذا غُرِسَتْ فيه إبرة يَخرج هذا الخُلُقُ الذّميم وتُشَمُّ منه رائحته .

الطُّرق الصّافية مبرّأة عن هذه الأمور . فلا بدّ للذي فهم الطّريق أن يبرّئ نفسه من هذه الأمور حتّى يكون محبوباً عند الله تعالى .

٨) في هذا العصر : المهمُّ توجيه المؤمنين إلى الإيمان ؛ لأن الأسباب الدنيويّة تؤثّر على الإيمان .

والذين يزعمون أنّهم من أهل السّير والسّلوك متعلّقون بالأذواق والكرامات والكشف . هذه ليست مطلوبة من العبد ، بل المطلوب أن يُقرَّ بصفات الله كما يقرُّ بوجوده . هو معـي كيـف أخالفُه ؟ وهو يعلم ما في قلبي كيف أخفي شيئاً وأظهر شيئاً آخر ؟

نرجو الله أن يضع هذا الإيمان في قلوب المؤمنين ببركة سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإنه { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ} [الكهف / ١٧] .

فالوعظ والنصح يجب ألا يكون بالقيل والقال وذكر الخلافات الشرعية ، ولكن بالتوجيه إلى ما في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : { أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِـأَعْلَمَ بِمَـا فِـي صُـدُورِ الْعَـالَمِينَ } [العنكبوت /١٠] ، ذَكَرَ المحلَّ (الصدر) وأراد الحالَّ (القلب) ، وقولِه تعالى : { رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ } [الإسراء / ٢٥] .

٩) اعلمْ أن للشريعة ثلاثة أجزاء : العلم والعمل والإخلاص ؛ وما لم يتحقق كلٌّ من هـذه الأجزاء الثلاثة لا تُحقق الشريعة .ومتى تحقّقت الشّريعة فقد تحقّق رضا الحق جلّ وعلا ، الذي هو فوق جميع السّعادات الدّنيويّة والأخرويّة :{ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } [آل عمران/١٥] . فلَمْ يبقَ مَطلَب يقع فيه الاحتياج وراء الشّريعة ، أما الطّريقةُ والحقيقةُ فهما خادمتـان للشـريعة في

تكميل جزئها الثالث ، ألا وهو الإخلاص . وتحليةُ الظاهر بالشّريعة الغرّاء ، وربطُ الباطن علـــى الدّوام بالله أمرٌ عظيم .

رزَقَنا الله من كمال كرامة الاستقامة مع تغيير الصّفات المذمومة بمتابعة سيّد الأوّلين والآخرين عليه الصّلاة والسّلام .

١٠) اعلمْ أن التوحيد الذي يظهر في أثناء الطريق على قسمين : توحيدٌ شهوديٌّ ، وتوحيـــدٌ وجوديٌّ .

فالتوحيد الشّهوديّ هو مشاهدة الواحد ؛ يعني لا يكون مشهود السّـــالك غـــير الواحـــد . والتوحيد الوجوديّ هو أن يعلم السّالك ويعتقد أن الموجود واحد ، وأن يعتقد أو يظن أن غيره معدوماً . فكان التّوحيد الوجوديّ من قَبيل علم اليقين ، والتّوحيـــد الشّهوديّ من قَبيل عـــين اليقين ، فإن الفناء لا يتحقق بدونه ، ولا يتيَسّر عينُ اليقين بلا تحققه . فإن مشـــاهدة الأحديّـــة باستيلائها مستلزِمةٌ لعدم رؤية ما سوى الله ، بخلاف التّوحيد الوجوديّ فإنّه ليس كذلك . مثلاً : إذا حصل لشخص يقينٌ بوجود الشّمس فاستيلاء هذا اليقين غير مستلزم للعلم بأن النجوم منتفية ومعدومة في ذلك الوقت ، ولكن حين رؤيته الشمس لا يرى النّجوم البتّةَ ، ولا يكون مشهوده غير الشّمس ، وفي هذا الوقت الّذي لايرى فيه النّجوم يعلم أن النّجوم ليست بمعدومة ، بل يعلم أنّها موجودة ، ولكنّها مستورة ، وفي تشعشع نور الشّمس مغلوبة .

١١) أيّها الأخ المؤمنُ الطالبُ لرضا الخالق تعالى وتقدّس : اعلمْ أن الإنسان مـــادام متلوّثـــاً بدنس التّعلّقات الشتّى محرومٌ ومهجور ؛ فـــلا بـــدّ مـــن تصـــقيل مـــرآة الحقيقـــة الجامعـــة

- أعني القلب - من صدأ محبّة ما سوى الله عزّ وجلّ . وأفضل المصاقل لإزالة ذلك الصّدأ متابعةُ النّبي عليه وعلى آله الصّلاة والسّلام ، مع كثرة ذكر الربّ عزّ وجلّ . ومدارُ ذلك على رفـــع العادات النّفسانيّة ودفع الرّسوم الظلمانيّة .

فطوبى لِمَن تشرّف بهذه النّعمة العظمى ، وويل لِمَن حُرم من هذه الدّولة القصوى. وذلك - بعد الاهتمام التّام بالصّلاةِ المفروضة ، لأنها تنهى عمّا لا يليق بالمؤمن - بقراءةِ القرآن مع الآداب الظّاهرة والباطنة ، وكثرةِ الذّكر الإلهي ، وتركِ المعاصي بالكليّة ، وعدم نسيان الاستغفار .

١٢) يا أخي المؤمن الطالب الاستفادة من السير والسلوك : إنّ المقصودَ من السّير والسّلوك تزكيةُ النّفس الأمّارة وتطهيرُها حتّى تتيسّر النّجاةُ من عبادة الآلهة الباطلة النّاشئة عـــن الهـــوى النّفسانيّ ، ولا تبقى قبلةُ التّوجّه في الحقيقة غيرَ المعبود الواحد الحقيقيّ تعالى وتقدّس ، ولا يُختارَ عليه وعلى رضاه مقصدٌ ما أصلاً ؛ سواء من المقاصد الدّينيّة أو المطالب الدّنيويّـــة . والمقاصـــدُ الدّينيّة - وإن كانت من الحسنات - لكنها من شغل الأبرار ، والمقرّبون يروها سيّئة ، ولا يَعدّون سوى الواحد من المقاصد .

أيّها الأخ : الإنسانُ على نفسه بصيرة ، ففتِّشْ نفسَك تفتيشاً إنصافيّاً ، هل تجاهدُ الجهـــةَ أو تشتغلُ بالدّنيا أو بما لا يعني ؟ الحُكْمُ لكَ .

١٣) المقصود من أعمال الشّريعة وأحوال الطّريقة هو تزكيةُ النّفس وتصفيةُ القلب . ومـــا لم تُترَك النّفسُ لا تَحصل السّلامة للقلب . قال الله تعالى : { أَلاَ بِـــذِكْرِ اللهِ تَطْمَـــئِنُّ الْقُلُـــوْبُ } [الـــرّعد / ٢٨] ، فطريق اطمئنان القلب إنّما هو ذكر الله ، لأن الذّكر اكتسابُ المناسبة بجانب الله تعالى - وإن لم تكن هناك مناسَبةٌ أصلاً - ؛ يعني : في الحقيقة ما للتـــراب وربِّ الأربـــاب ؟

ولكن يحصل بين الذّاكر والمذكور نوع من الارتباط والعلاقة الموجبة للمحبّة ، فإذا استولت المحبّة على الذّاكر فلا شيء بعده إلا الاطمئنان أصلاً .

١٤) اعلم أن هذه الدنيا حلوة في الظّاهر ، ولها طراوة صُوريّة ، لكنّها في الحقيقة سمٌّ قاتل ، ومتاع باطل ، وليس في التّعلق والارتباط بها طائل . مقبولها مخذول ، ومفتونها مجنون ، وحُكْمها حكمُ نجاسةٍ طُلِيتْ بالذّهب ، ومَثَلُهَا مَثَلُ سمٍّ مخلوط بالسُّكّر . والعاقل هو الّذي لا يغترّ بمثل هذا المتاع الكاسد ، ولا يتعلّق بمثل هذا الشّيء الفاسد ، كما قال ربُّنا تعالى : { فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } [لقمان / ٣٣] ، قَرَنَ عزّ وجل بين غرور الدّنيا وغرور الشّيطان اللعين . فانتبه واتّعظ بالموعظة الإلهيّة .

١٥) المعقول والموهوم والمكشوف والمشهود كلُّها داخلة في السِّوَى . ياَلَها من نعمة عظيمة إذا كان الباطنُ مَعموراً بذكر الإله جلَّ شأنه والظاهرُ مُتَحَلِّياً بالأحكام الشرعية .

علينا أن نَقلِبَ تلك الورقة ، ونُبدِّلَ الكسل بالعمل ، ونتوجَّه من الفراغ إلى المجاهدة ، فإن الوقتَ وقتُ العمل والاشتغال لا موسم الأكل والمنام .

وينبغي أن نختلط بالناس وننبسط إليهم بمقدار ما نؤدّي حقوقهم الضروريَّة ، والضرورةُ تُقدَّر بقدَرِها . فالانبساط إلى الخلائق زيادةً عن قدر الحاجة من الفضول، وداخلٌ فيما لا يعني ، وربما يتفرَّع عنه مَضرَّات كثيرة ويصير داخلاً في محظورات الشريعة والطريقة ؛ فالانزواء عن الخلائق ضروريٌّ ، لأنّ الاختلاط والائتلاف معهم بلا داعٍ ولا حاجةٍ سُمٌّ قاتل .

١٦) نخشى من أن نُخدَعَ مثل الأطفال بمزخرفات الدنيا الدنيَّة ، التي لها طراوةٌ وحـــلاوةٌ في الظاهر ، ونخاف من مَيْلِنا من المباح إلى المشتبِه ومن المشتبِه إلى الحرام ، فنبقى مُخْجَلين ومُنفَعلين من مولانا جلَّ وعلا . ينبغي أن يكون لنا في التوبة والإنابة قدمٌ راسخ ، وأن نعتقد أنَّ المَنـــهيّاتِ الشرعيةَ سُمٌّ قاتل .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى بِكَرَمِه دائرةَ المباح واسعة ، فما أشقى من يظنُّ أنَّ كـــلَّ هـــذه الوسعة ضيِّقة - هذا مِن ضيق صدره - ويضعُ قدمه فيما وراء هذه الدائرة الواسعة ، ويتجاوزُ الحدود الشرعيّة ، ويقعُ في المشتبِه والمحرَّم . ينبغي للعاقل أن يلتـــزم الحـــدود الشـــرعية وأن لا يتجاوزها مقدار شعرة .

المصلُّون والصائمون بحسب الرسم والعادة كثير ، لكنَّ المتَّقين المتورِّعين المحافظين على الحدود الشرعية أقلُّ من القليل . والفارق المُمَيِّز بين المُحِقِّ والمُبْطِل هو هذا التُّقَى والتورُّع . قال عليـــه الصلاة والسلام : ((مَلاكُ دينكم الورَعُ)) .

والمرجوُّ من ذاته العليَّة سبحانه وتعالى أن يحفظنا من تجاوز الحدود الشرعية .

١٧) قال الله تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم :{ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَـــدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاَغًـــا مِـــنَ اللَّـــهِ وَرِسَالاَتِهِ . . } [الجن / ٢١ ــ ٢٣] ، قال له هذا خالقُ الثَّقلين والكونين الذي يخلق النّمـــل والفيل ، قال لنبيّه ذلك . نرى في هذه الآيات تبـــرُّؤَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمَن لم يَمحُ وجودَه وما يتعلّق به ــ سواء من الأمــور الدّنيويّة أو الأخرويّة ــ لا يصلح لأن يستفيد النّاس منه ، ولا يمكن أن يوجّه النّاسَ إلى ربّهم . و مَن لم يتحقّــقْ بقــول الله تعــالى : { وَذَرُوا ظَاهِرَ الإثْمِ وَبَاطِنَهُ } [الأنعام / ١٢٠] ولم يَقِفْ على حِيَل النّفس لا يصلح لتوجيــه المؤمنين إلاّ فيما يخصُّ الفتوى الظّاهريّة .

١٨) كلُّ الطّرق الخالصة لله مطهَّرة من الشّوائب الدّنيويّة ، وإذا دخلَتْ فيهــا الشّــوائبُ الدّنيويّة والحظوظُ النّفسيّة تَخرب ؛ خصوصاً الطّريقة الشّاذلية لأنّها عالية من حيــث العلــم . فسيّدنا الهاشمي - رحمه الله - في مَعرِض حديثه عن قول رسول الله صــلى الله عليــه وســلم : ((اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) يقول : حصّة الطّريقة الشّاذليّة في القســم الأوّل .

مَن لم يفهم ذلك يكون هذا الكلام عنده مثل الحكاية . الأمرُ ليس كذلك ، بل عليك عندما تقول : (الله) أن يكون إيمانُك أنّه ينظر إليك .

١٩) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مثل المرأة المؤمنة كمثل الغــراب الأبلــق في غربان سود لا ثانية لها ، ولا شبه لها . ومثل المرأة السّوء مثل بيت مزرق ، ظهره خرب ، جوفه كظلمة لا نور لها يوم القيامة ، والله إني لأخشى أن لا تقوم امرأة عن فراش زوجها مجانبةً لــه إلاّ هي عاصية لله ولرسوله)) .

ما رأى أحد نساءً جيّدات حافظات قانتات إلاّ قليل ؛ لكن الذي يزوّج ولده سواء كان ذكراً أو أنثـــى عليه أن ينظر إلى الأصل لا إلى الجمال ولا إلى المال . فإذا كان الأصل جيّداً يأتي الخير وإلاّ فلا يأتي .

كلّنا خرجنا عن الحدود ، وكذلك الأولاد والأزواج . حالُنا ياستّار .من شدّة الغفلة كأنّه نُسي الله ، يقولون أوربّا هكذا . . . أمريكا هكذا . . . باختلاط النّاس مع غير جنسهم يُفسد بعضهم بعضاً .

٢٠) الطّريقة الشّاذليّة طريقة ربّانيّة . . . الطّريقة الشّاذليّة طريقـــة محمّديّـــة ... الطّريقـــة الشّاذليّة فائدة دينيّة ودنيويّة ، لكن بالتّساند والتّعاون . فكما أنّ للأولياء كرامـــات كـــذلك للجماعة كرامات ، لكن لا بدّ لأفراد الجماعة أن يكونوا متساندين ضمن حدود الله حتّى تكون لهم كرامة : ((يد الله مع الجماعة)) [أخرجه الترمذي والطّبراني عن عرفجة بن شريح] .كلّ واحد لا بدّ له أن يحفظ حدود الله ضمن الجماعة ،ولا يَدخل بنفسه ،فهذا ليس اجتماع نفوس ، بل اجتماعاً على القرآن والسنّة ضدَّ النّفوس .

أهل الطّريق الصّادقون متعلّقون ببعضهم لذا يستفيدون ، والمذبذبون متعلّقون ببعضهم لذا لا يستفيدون .

٢١) أكثر الناس لا يترقَّون لأنهم يطلبون من الله تعالى شيئاً ليس مَرْضيّاً عنده ، وهو الأذواق والكشف والكرامات . المرضيُّ عند الله عزّ وجلّ هو العبوديّة ، وهي الأصل . يتركون الأصـــل ويأخذون الفرع .

فالذي يتأخّر عن التّرقّي - مع صلاته وصومه وحجّه وزكاته وقيامه ببعض النوافل- سببُهُ أنه يطلب من الله جلّ جلاله ما لم يرضَ الله به من الكشف والكرامات والأذواق ، وهـذا خـلاف العبوديّة .

٢٢) الوصول بدون الحجاب الأعظم صلى الله عليه وسلم مُحال . مع هـذا ، المهـمُّ لنـا وللمؤمنين جميعاً أن نكون عبيداً لله جلّ وعلا ، لأنّ مقام العبوديّة أعلى من جميـع المقامـات ، لكنَّ الذي كَلَّ عقلُهُ عن هذه الوظيفة العالية يتمسّك بالأذواق . كلُّ هذا ليس مرضياً لله .

الأذواق لا تُطلب ولا تُسأل ، وإذا أُعطيت من فضله جلَّ وعلا فهي نعمةٌ منه . وما وصـل إليكم شيء من الفضائل منه تعالى إلا بواسطة الحجاب الأعظم صلى الله عليه وسلم .

٢٣) إذا لم يكن في قضاء قدسه تعالى مجالٌ للكلام فلنتكلّم نهايةً في مقـام عبوديّتِنـا وذلِّنـا وانكسارِنا ؛ فالمقصودُ من الخِلقة الإنسانيّة إنما هو أداءُ وظائف العبوديّة . ولهذا كانـت نهايـة مراتب الولاية مقام العبديّة ، وليس في درجات الولاية مقام فوق مقام العبوديّة ، وكان الإيمـان المتقدّم على أداء العبادة صورةَ الإيمان لا حقيقتَه التي عُبّر عنها باليقين . قال الله عزّ شأنه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا } [النساء / ١٣٦] أي : يا أيها الذين آمنوا صورةً آمِنوا حقيقةً بـأداء وظائف العبادة المأمور بها .

٢٤) لا بدّ للمؤمن من التّحريض على الجمع بين تحلية الظّاهر بإتيان أحكام الشّريعة ، وتخلية الباطن عن علاقة ما سواه تعالى . والدولةُ الصُوريّة في الحقيقة هي كونُ الظّاهر محلَّـى بأحكـام الشّريعة المحمّديّة عليه الصّلاة والتّسليمات ، والسّعادةُ المعنويّة هي تخليص الباطن وخُلُـوُّه عـن علاقة ما سوى الله تعالى . هذا هو الأمر المهم ، والباقي من العبث .

٢٥) الله علَّمَنا على لسان رسوله صـــلى الله عليـــه وســـلم التّمسّـــكَ بالشّــريعة حتّـــى يرضى الله عنّا : { ورِضْوَاْنٌ منَ اللهِ أَكْبَرُ } [آل عمران / ١٥] ، ووجَّهَنا إلى اتّبـــاع رســـوله صلى الله عليه وسلم حتّى تحصل لنا محبّة الله ، ووصّانا أن نترك أنفسنا الأمّارة حتى يقوى إيماننـــا ومعرفتنا بالله تعالى .

هذه الشّريعة دستورٌ لنا ، فعلينا أن نعبد الله - بعد الإيمان - عبادةً موافقة لهذه الشّريعة ، وأن يكون اعتقادُنا اعتقادَ أهلِّ السنّة والجماعة - شَكَرَ اللهُ سعيهم ، ورَحِمَ إيّانا وإيّاهم - وأن نعمل عملاً مبنيّاً على الإخلاص : { إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } [الكهف / ٣٠] ، والعمل الأحسن هو الموافق للشّريعة مع الإخلاص .

٢٦) حبُّ الدّنيا رأسُ كلِّ خطيئة ؛ فتَرْكُ الحرص على الدّنيا وتركُ محبَّتِها من القلب هذا جيّد ، أمّا ترك الأسباب كالمعاملةِ والتّجارةِ فهو ليس جيّداً ، لأنّ الله مدح التجّار فقال : { رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [النور/٣٧] ، ومدحهم كذلك بوصفهم : { يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ } [النور/٣٧].

٢٧) ليس في الطّريقة الشّاذليّة سَماع ؛ فقد قال الإمام الجنيد ــ رحمه الله تعالى ــ : إذا رأيتَ المريـــد يطلب السّماع فاعلم أنَّ فيه بقيّةً من البطالة ، وهذا حال كمَّل الأولياء .

والكَمال أن يَفنى العبدُ بالكلِّيَّة عن نفسه وعن أحواله ، يعني أن ينساها ، فيسمع في الله وبالله ومن الله ولله ، ولا يبقى فيه شيء ، بل تخمد طبيعته البشرية ؛ ولست أعني بفنائه فناء الجسد بل فناء القلب ، ولا أعني بالقلب اللحم الصّنوبري والدم بل سرٌّ لطيفٌ لـــــه بالقلب الظّاهر نسبةٌ خفيَّةٌ كجذب المغناطيس للحديد قبل أن يقترب الحديد منه ، فكما أنّ الإنسان عاجز عن إدراك

النسبة بين المغناطيس والحديد كذلك هو عاجزعن إدراك النّسبة بين القلب الجسماني والقلب الرّباني .

٢٨) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك)) ، فالله تعالى يرى جميع العالمين ويعلم ما في قلوبهم . فعلى المؤمن أن يستحيي من رؤية الله له وأن لا يخالفه ، وإن حصلت المخالفة يجب عليه أن يستغفر . ولذلك فإن الرّسول صلى الله عليه وسلم مع معصوميّته كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرّة ؛ فلا بدّ من الاستغفار .

الدّنيا حاجز والشيطان حاجز ، وهذه الحواجز أحياناً ترقّ وأحياناً تكون سميكة ؛ تَرِقُّ بقدر إخلاص العبد واتّباعه لرسوله وللشّريعة .

٢٩) المعرفة هي الإيمان ،والإيمان هو المعرفة ؛وتقوية الإيمان بقدر معرفة الإنسان بخباثة نفسه ، فإذا لم يعرف نفسه بذاك الوصف فإيمانه عامٌّ ، واللهُ تعالى بفضله يَقبلُ هذا الإيمان إذا خرج من الدّنيا معه ، ويكون سببَ النّجاة . وكذلك المعرفة بالله جلّ وعلا . فإذا لم يعرف الإنسان نفسه أو عرفها ولكن لم يعرف خباثتها فمعرفته ناقصة مثل إيمانه .

نرجو الله تعالى جلّ جلاله أن لا نُخدَع بأنفسنا ، وأن نخرج من الدنيا مع الشّهادة والإيمان .

٣٠) امتزاج الرّوح مع النّفس امتزاجُ نورانيّةٍ مع ترابيّةٍ ؛ النّورانيةُ هي الرّوح ، والكثيفةُ التّرابيةُ هي النّفس . والمهمُّ للعبد المؤمن التّمسّكُ بالشّريعة ، وأن يُخرج روحَهُ من تعلّقات نفسه الأمّارة .

حسبُنا الله ونعم الوكيل ، نِعْمَ المولى ونِعْمَ النّصير ، الّلهم خلّصنا من قيودات الطّبيعة البشريّة حتّى تخفّف عنّا ، وارزقنا محبّتك وأخرجنا من الظلال إلى الحقيقة .

٣١) الخجل يكون مانعاً من الاستفادة ؛ لذا ! على المؤمن أن يَسأل عن حاله وحال قلبه بينه وبين الله عزّ وجلّ ، لأنّ القلب إذا كان مبتلىً بمرضٍ كما قال تعالى : { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } [البقرة /١٠] لا تنفعه عبادةٌ ولا طاعةٌ أصلاً . فلا بدّ من انتزاع هذا المرض القلبي من الحقد والحسد والكبر والعجب والرّياء وغير ذلك من الأخلاق الذّميمة ، وإلاّ فالعبادة لا تنفعه .

٣٢) إنّ الجنونَ فنون ، والجنونُ بقدر الهوى ؛ فبسبب هوى النّفس صارَ فرعونُ فرعوناً . هل كان فرعون مجنوناً ؟ لا ، لكنّه اتّبع الهوى . اتّباع الهوى يحجب عن الاستفادة الرّبّانيّة والاستفادة المحمّديّة . قيل لأحد الصالحين : كيف قعدتَ في الهوا ؟ فقال : تركت الهوى فقعدتُ في الهوا .

٣٣) كلُّ النِّعم في الدّنيا تزول ويبقى لبُّها ، وهو الأخذ بالشّريعة وسنّةِ الرّسول عليه الصّلاة والســّلام ، كما قال سيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عندما أخذ بلحيته من المساء حتّى الصّباح وهو يقرأ قوله تعــالى : { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُون (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ } [الشعراء /٢٠٥ ــ ٢٠٧] .

٣٤) طبيعة البشر غريبة ، فعلينا أن نميِّز . مثلاً : الــنّفس تفــرح بــالأذواق والكشــف والكرامات ، وتقول لصاحبها : أنت جيِّد لذا تأتيك هذه الأمور ؛ أمّا التّمسّك بالشّريعة فهــو صعب على النَّفس ، مع أنّ خَلاصَنا به . هذا من ضعف إيماننا .

الإنسان غريب ، لكنَّ الذي يطّلع على حيل النّفس هذا عجيب غريب .

٣٥) التّمسّك بالشّريعة المحمّديّة ليس مقيَّداً بالمرتبة .

يقولون لي : ليس لنا عقلٌ مثل عقلِك ، أو : أنت مرتبتُكَ عالية . أقول لهم : هل تقولون :لنا ربٌّ غير ربِّك ؟ ما دام الربُّ واحداً ، والرّسول واحداً ، والقرآن واحداً ، فلا بدّ لنا جميعـــاً من أن نكون تحت ظلِّهم .

٣٦) النّاس لا يعرفون بعضهم ، ولا يعرفون أنفسهم كذلك . لذا يقولون : مَدَحوا فلاناً حتّى خَرَجَ عن طَوْرِه . أقول : لا تمدحوا ظِلَّ شخص فوق قامته ، وإذا مدحتم ظلَّه فوق قامته يكـــون أعلى منه ، وهو يسكت فينـــزل إلى درجة الحيوان .

٣٧) الإيمان ليس بيدنا حتّى نفخر به : { وَمَا كَانَ لِـــنَفْسٍ أَنْ تُـــؤْمِنَ إِلاَّ بِـــإِذْنِ اللَّـــه } [يونس /١٠٠] . فالله أعطانا شيئاً ليس هناك أعلى ولا أعظم منه في الدّنيا ولا في الآخرة . فلِمَ لا تعملون بمقتضى هذا الإيمان ؟ لِمَ تُخدَعون ؟ { فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } [لقمان / ٣٣] .

٣٨) كلُّنا معرَّضون للابتلاء الجسدي ، لأنَّ الجسد يتجدَّد باستمرار ، فـــإذا كَمُـــلَ يَبـــدأ بالتـــأخُّر ، فيتأخَّر العقل والنوم والذوق والشهوات .

الابتلاءات كلُّها للجسد وليست للروح ، فالروح تخرج كما دخلت ، أما الجسد فإنه لـــيس بباقٍ . فَمِنَ الناس مَن يبقى مع الصحّة إلى انتهاء أجله ومنهم من يُبتلى . هذا قَدَرُ الله .

٣٩) لا بدّ للمؤمن أن يكون في الرّخاء والشّدّة راضياً بالقضاء والقدر . وهـــذا الأمـــر لا يُحصَّل بسَنَةٍ واحدة ، بل لا بدّ للإنسان أن يتخمَّر بهذا ، فيمتزجَ دمُهُ وروحُهُ بجريان القدر ، حتى لا يتأثَّرَ بالفقد ولا يغترَّ بالوجود .

٤٠) إذا قرأ الإنسان القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكُتُبَ القوم ، فعليه أن يفهم حصّته من هذه العلوم ويَزِنَ نفسه بها ، فإذا كان موافقاً فهذا جيّد ، وإذا كان مخالفاً يتوب ويرجـــع إلى الله جلَّ جلاله . هذه مجاهدة .

٤١) إذا وُجد الصدقُ عند الإنسان - ولو كان كافراً - فإنّه يوجّهه إلى طلب الحقّ والهداية. واللهُ مطّلع على هذا الصّدق ، لأن الصّدق محّله القلب ، والله يعلم ما في الضّمير ؛ فإذا وَجد الله الصّدق في شخصٍ فإنّه يتولاّه ، وإذا تولاّه لا يضرُّه شيء من الأسباب .

٤٢) المؤمن إذا أحبَّ شيئاً لنفسه لا بدّ أن يحبّه لغيره . لذا أقول لكم وأرجو منكم رجاءً حارّاً أن تُقَوُّوا إيمانكم بالله وبصفاته وبالحق ، وتكونوا صادقين مع الله ورسوله وخادم الطّريق - أيّـــاً مَن كان - إذا كان يوجِّه إلى الله وإلى رسول الله لا إلى نفسه ، عندئذٍ تستفيدون ويُستفاد منكم .

لذا ! الذي دخل الطريق وبقي جامداً بفكره ولم يفهم الطّريق لا يستفيد ولا يُســـتفاد منـــه ، ويكون مصيبةً على الطّريق .

٤٣) التّعلّق بالدّنيا مذموم ، والأخذُ بالأسباب أمر الله . فإذا استولت محبّة الدّنيا على القلب تكون سببَ العصيان والغفلة عن الله . قال تعالى : { يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء / ٨٨ - ٨٩] ، والقلب السّليم هو الخالي من الشّرك ومحبّة الدّنيا .

٤٤) قال تعالى : { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ } [النحل / ١٢٧] .

الذي يتعلق بالله يكون صبره أكثر من الذي يتعلق بالصبر ؛ فإذا لم يعطِ اللهُ التوفيقَ للصبر كيف نصبر ؟ هو الذي يوفِّقنا للعمل الصالح والإيمان . والصّبرُ شعبةٌ من العمل الصالح .

كلٌّ هذا لا يكون إلا بكشف حقيقة اليقين باتّجاه الله تعالى ، وإذا لم يوجد الـيقين لا يحصـل شيء من ذلك ، فانكشاف اليقين مهمٌّ ، ومَن لم تُكشَف له حقيقة اليقين فإيمانه ضعيف .

كشفُ اليقين هو : ((أن تعبد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك)) . واللهِ العظيم ! مَن لم يكن عنده شيء من هذا طريقُهُ باطل .

أصول الطريق تُبنى على هذا الإيمان ، وبَعدَه على الاستقامة الشّرعيّة . اللهم ارزقنا جميعاً كشف اليقين .

٤٥) لا بدّ للمؤمن أن يتفكّر بأن تكون عباداته اتّباعاً لرسـول الله صلى الله عليـه وسـلم الذي قال : ((إنّه ليُغان على قلبي)) [أخرجه مسلم وأحمد عن الأوزاعي] . ما هو الغين ؟ هو الأنوار والأسرار التي تحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو لا يرضى بها واللهُ لا يرضـى بها ، مع أنّها غينُ أنوار وأسرار لا غينُ أغيار ؛ لأنّها تكون مانعاً عن الله عزّ وجلّ . فكيف بمـن يطلب الأذواق والكرامات ويَتركُ العبوديّة .

٤٦) إذا كان في قلب المريد الصدقُ مع الله وهو يتَّبع شيخَه ، وكـان شـيخُه متحقّقـاً بالعبوديّة فإنّه يستفيد ، أما إذا كان يركض وراء الكشف والكرامات فإنه لا يستفيد لأنها مثـل المادة .

فعلى المؤمن ألا يتعلّق بالكشف والكرامات ولوطار في الهواء أو صار يرى ما بـين المشـرق والمغرب ، بل عليه أن يعبـد ربَّـه لأنّه ربٌّ لائق للعبادة .

٤٧) نحن لا نَلوم العبدَ المذنب ، لكنْ نلوم فِعلَـــه الـــذي خـــرج مـــن نفســـه ولا يليـــق بدينه ، فلا ننتقد ذاته . المُذْنِبُ خرج بنفسه من طَوْر الاستقامة ، وجنَتْ عليه نفسُه . وأيُّ جانٍ أكبرُ من النّفس ؟

إذا قُتل المؤمن على يد كافرٍ يكون شهيداً ، لكن إذا جَنَت عليه نفسُه ــ نعوذ بالله ــ يَهلك دُنيا ودِيناً .

٤٨) المحبّة الذّاتيّة علامة الفناء ، والفناء عبارة عن نسيان ما سوى الله . فمَن لم يُزِلِ العلـــومَ عن ساحة الصّدر بالتّمام ولم يحصِّل الجهل المطْلَق لا نصيبَ لـــه من الفناء أصلاً .

نجّانا الله سبحانه والمسلمينَ عن المقالِ الخالي من الحال ، والعلمِ المعرَّى عن الأعمال ، بحُرْمـــة سيِّد البشر سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم .

٤٩) إذا اكتفى النّاس بـــأمور الدّنيـــــا والتّجـــارة ينطبـــق علـــيهم قـــول الله تعـــالى : { يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَاْفِلُوْن } [الروم / ٧] ، وهذا لـــيس شأن المؤمـــن ؛ لكنَّ المؤمـــن عليه أن يتعلّق بالآخرة .

يقول ربُّنا سبحانه وتعالى : { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تِنْفِعُ الْمُؤْمِنِيْن } [الذّاريات/٥٥] ، فمَن لا تنفعُه الذّكرى إيمانُه ناقص . هذا قول الله تعالى .

٥٠) الإيمان سببُ النّجاة ، وعلَّق ربُّنا النّجاة بالعمل الصّالح ، والعمـــلُ الصّـــالحُ لـــيس مقصوداً بل رضا الله تعالى هو المقصود : { وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ } [المائدة / ٣٥] ؛ فـــلا بـــدّ للمؤمن أن يعمل عملاً صـــالحاً موافقاً لمقتضى الإيمان .هذه وظيفته ، واللّهُ تعالى يَقبَلُ أو لا يَقبل.

٥١) إذا كان المريد يَثِقُ بخادم الطّريقة وكان صادقاً مع الله تعالى فإن الطّريق يعطيه أشياء لا تخطر على بالٍ من بركة الرّسول صلى الله عليه وسلم ، حينذاك ينطبق عليه قوله تعالى : { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [المائدة / ١١٩] .

٥٢) كلّما كَثُر الذّكر مع الإخلاص تَقوى جنود القلبِ والرّوحِ وتتغلّبُ على جنودِ النّفس الأمّارة ، وبهذه المجاهدة تأتي النّفحات الرّبّانيّة ؛ لأن الربَّ مطّلعٌ على قلوبنا، فإذا وجدها متوجّهة إليه فإنه على قدر ضعفنا يقوّينا بالنّفحات الرّبّانيّة .

٥٣) أهل التّصوّف ليس عندهم انتقام ، لأن الانتقام صفة الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } [إبراهيم / ٤٧] .

احذروا من التّحسّس بين أفراد الطّريق ، لأنَّ سببَه الحظوظُ النّفسيّة والحسدُ فيما بينهم .

٥٤) أَعظمُ وظائف المؤمن شيئان :

١ - تعظيمُ الأوامر واجتنابُ النّواهي .

٢ - الشّفقةُ على خلق الله ، ليس بالفلوس فحسب ، بل بالتوجيه إلى شرع الله وتحمّل أذاهم.

٥٥) سُئل ـــ حفظه الله ـــ عن المحبّة للأولاد فأجاب : الأولاد من نِعَمِ الدّنيا ، وإذا كان الولد صالحاً يكون من نِعَمِ الدّنيا والآخرة كليهما ؛ فإذا كانت محبة الأولاد لوجه الله ، ولأنهم نعمةٌ من الله ، وشَكَرْنا الله على هذه النعمة ، فهذه المحبّةُ محمودةٌ وليست مذمومةً .

٥٦) إذا تَرَكْتُم قراءةَ القرآن تَرَكْتُم كلامَ الله ورجَّحْتُم الدّنيا على الآخرة . وكما أن الله تعالى أكبر وأفضل من كلّ شيء فكلامه كذلك . قراءة القرآن توصل العبد إلى الله جلَّ وعلا .

٥٧) المرض نعمة ، لكنْ لِضَعْفنا إذا اشتدَّ علينا المرض لا نستطيع القيام في الصّلاة . علينا أن لا نحزن على هذا لأن الذي وضع هذا المرض بدّل القيام قعوداً لغير القادر ، رخصةً منه سبحانه وتعالى . وهذا أيضاً نعمة .

٥٨) إذا كان اجتماعُنا على الله وعلى التّعاونِ على سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولِيشُدَّ بعضنا على يد بعض نستفيد ، أمّا إذا كان الاجتماع على الطّعام والمزارع فنعوذ بالله .

الذي لا يستفيد من الجماعة عليه ألاّ يأتي إليها .

٥٩) ليس هناك شيء أكبر من الإيمان ، لذا ! علينا أن نخضعَ لهذا الإيمان لا لمقتضى ظِلّنا : أنا عالم ، أنا مهندس ، أنا دكتور . . .

كلُّ ما يتعلّق بالشّخص ــ بعدَ وجوده ــ هو ظِلُّهُ .

يُحترَمُ الشّخص لدينه .. لإيمانه .. لإسلاميّته .

٦٠) العلم قد يكون حجاباً أسودَ سميكاً بين العبد وربِّه . فنحن نحبُّ العلم الخالص الذي يكون آلة للعمل ، لا العلم الذي يكون آلة للهوى .

٦١) الوصول إلى الله تعالى ليس بقطع الكيلو مترات ، لكن بالصّدق والدّوام عليه .

٦٢) مجرَّدُ الحرصِ على ترقّي الآخَرين لا ينفعُ ، بل لا بدَّ لهم من المجاهدة مع الآداب ، قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم : { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } [يونس /٩٩].

٦٣) لولا وجود الحجاب الأعظم ــ وهو الرّسول صلى الله عليه وسلم ــ بين ذات الأحديّة والعبدِ لاحترقت الكائناتُ بالجملة .

٦٤) طَلَبُ العبوديّة ليس مذموماً ، وعدم التحقق بالعبوديّة دليلٌ على وجود عِلَّة ؛ فلا بد من إزالتها ، وذلك بالخروج من هذه الصّفة المذمومة . فاذكروا الله كثيراً وكونوا مع الله لا مع أنفسكم .

٦٥) اتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً مقبول عند الله جلّ جلاله ، وهو سبحانه وجَّهَ المؤمنين لاتّباعه ورتَّبَ محبَّته على اتِّباعه . يعني : محبَّتُه القديمة الثابتة تكون باتِّباع الحادثِ الفاني . هذا أمرٌ عجيبٌ غريبٌ .

٦٦) واضعُ الطّريق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا نَحْنُ . نَحْنُ نتَّبعُ الطّريق . فإذا أُحدِثَ فيه شيء من المذمومات خلافاً للشريعة لا نتَّبعها .

٦٧) قال الله تعالى : { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} [ق / ٤٥] . واللهِ نخاف من الوعيد ، لأن الخاتمةَ مُبهَمةٌ والإنسان غافل .

٦٨) البعد عن الشيخ ليس حجاباً ، لكنَّ عَدَمَ الصّدق حجاب ؛ لأنّ الله موجود في كلّ مكان ، وهو يكفي : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } [الزمر/٣٦] .

٦٩) السيّارة بدون بنـــزين لا تمشي . بنـــزينُ الرَّجلِ المؤمنِ الصّدقُ . قال صلى الله عليـــه وسلم : ((إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)) [أخرجـــه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة] .

٧٠) بابُ رحمة الله تعالى لعباده مفتوحٌ ما لم يسكِّر العبدُ على نفسه ، فإذا سكَّر يُسكَّر عليه ، قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد / ١١] .

٧١) النّفس لاتخرج عن خباثتها حتّى يموت صاحبها ، إلاّ الأنبياء فهم مستثنون ، والأوليـــاء محفوظون . لذا ! أقبحُ القبائح الرّضا عن النّفس .

٧٢) قال تعالى : { فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } [البقرة / ١٥٠] . هذه الآية ليست علـــى إطلاقها ، فالإنسان بطبيعته البشريّة يخاف ، لكن هذا الخوف يجب ألا يصل به إلى تركِ ما فرض الله عليه . فسيّدنا موسى عليه السلام قال : { فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ } [القصص / ٣٣] .

٧٣) كما أن درجات العبوديّة كثيرة ، كذلك الاستعداد وإشراق الرّوح درجاته كثيرة ، كما قال ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه : (إن الواردات بحسب الاستعدادات وإن شـــروق الأنوار بحسب صفاء الأسرار) .

٧٤) من كان عبداً لله وفَهِمَ أنّه عبدٌ لله يعمل موافقاً لله سبحانه وتعالى ويشكر الله جلّ جلاله على ما يحصل معه .

٧٥) الشّيوخ الّذين يوجِّهون النّاس إلى الله هم ورّاث رســـول الله صلى الله عليه وســـلم ، والّذي يوجِّه النّاس إلى نفسه هذا قاطع للطريق .

٧٦) يَظنُّ بعض النّاس أن الشيخ يأخذ بأُذُنهم ويدخلهم الجنّة ويوصلهم إلى رضا الله تعـالى ؛ هذا غلط . وظيفةُ الأستاذ التّوجيهُ إلى الله ورسوله حتّى يكون الاتّباع جيّداً وتحصل الاستفادة .

٧٧) وظيفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست الإجبار ، لكنَّ مهمَّتَه التّبليغُ والتّبشـيرُ والإنذارُ والتّذكيرُ .

٧٨) القرآن الكريم كما يعطي الإيمان والاستقامة والأخلاق ، كذلك يعطي العلوم. تلـك العلوم لا توجد في التّفاسير . لكنَّ القرآن الكريم يعطي إذا كان قلبُ المؤمن منـزَّهاً وسرُّه ليس مملوءاً بالدّنيا .

٧٩) هذه الدّنيا فاضية ، وُجودُها وعدمُ وجودِها سواء ؛ لكن المهمّ هو الحياةُ على الصّـلاح الموافق لدين الله تعالى .

٨٠) أَقبَحُ القبائح الرّضا عن النّفس ، وكذلك رؤيةُ العمل والاستغناءُ عن النّصيحةِ والوعظِ.

٨١) الوليُّ يقول ويصول ، لكنَّه يبقى تحت قهر الرّبوبيّة . يعني : قيَّد نفسَه تحت قهّاريّة ربِّ العالمين جلّ وعلا . هذا لا يكون بالقِيل والقال .

٨٢) لولا النّفسُ الأمّارة والأنانيّةُ ورؤيةُ العملِ والإعجابُ بالنّفسِ لكان كلُّ مَـن قـال : (لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله) وأقام الصّلاة وزكّى وصام وحجّ من الأوليـاء؛ لكـن هـذه الأشواك تجرّهم وتُبْعدهم فيكون الإيمان ضعيفاً .

٨٣) إذا صحّت النيّة لا تضرّ الوساوس ، أمّا إذا كانت النيّة من البداية من أجل الخلق فالعمل يكون هباءً منثوراً . لذا ! تركُ العمل لأجل النّاس رياء ، والعملُ لأجل الناس أيضاً رياء .

٨٤) لا تنظر إلى الأعمال ، بل انظر إلى الصّدق والإخلاص والنيّة والتّقى .

٨٥) إذا كان الإنسان عطشاناً فإنّه يشرب الماء أوّلاً وثانياً وثالثاً ثمّ يتوقّف . أهلُ الطّريق أكثرُهم هكذا ، لكن بعضهم كلّما يتقدّم في الطّريق يتعطّش أكثر .

٨٦) في الدّعوة إلى الله أَخرِجْ نفسَك من البَيْن ، وفوِّضْ أَمْرَ أمّة محمّد صلى الله عليه وسلم إلى ربّ محمّد ، يستفيدون إن شاء الله .

٨٧) المبالغةُ بالمدح ليست جيّدة ؛ لأن المبالغة نوع من الكذب . فعلينا أن نتمسّك بالكتاب والسُّنَّة ونمدحَ الله ورسوله . كما أن الكبرياء لله ، فكذلك المدح لله ، والمحبّة لرسول الله ولِمَن يحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لِمَن يحبّ نفسه .

٨٨) كثير من العلماء يكونون بعلمهم جهّالاً ، وكم من الجهّال (أعني الذين لا يقرؤون ولا يكتبون) يكونون عالمين . كما قال ابن عطاء الله السّكندري رضي الله عنه : (لأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه) .

٨٩) مَن نسب علمه إلى نفسه فهو أحمق ؛ فليس للمؤمن أن ينسب شيئاً من الفضائل الإلهيّة إلى نفسه ويتملّكَها . قد يكون في قلبه لا يتملّك ، ولكن في أنانيّته يتملّك . انسبْ كلَّ الفضائل إلى ربّك ، وكلَّ الرّذائل إلى النّفس والشّيطان .

٩٠) كلُّ مَن وصل إلى الله إنّما وصل بالذُّلّ .

الوصول إلى الله هو الوصول إلى رضاه ، بحيث يكون طلب العبد رضا الله دون أيِّ طلب آخر.

٩١) كلُّ شيء إذا كان لوجه الله فرَحْمَةُ الله فيه ، وإعانـــةُ الله فيه ، ولو كان فيه عـــذاب ؛ وإذا كان للنفس فإنّه يدمّر صاحبه .

٩٢) الصّوفي ابن وقته ؛ له عين واحدة ، ولـــه أذن واحدة ، لا يقف مع ما رأت عينـــه ولا مع ما سمعت أذنه . له هدف واحد ، وهو : لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله .

٩٣) كلُّ الطّرق الّتي لا توجد فيها شريعةٌ عاطلةٌ وباطلةٌ ، لأنّ الشّريعة روح كلّ عبادة .

٩٤) مَن كانت حافظته ضعيفة أو أشغاله كثيرة فليشتغل بالعمل بالقرآن ، فهو أفضل مـــن الحفظ . والصّحابـــةُ - رضي الله عنهم - كانوا يهتمّون بتطبيق القرآن أكثر من حفظه .

٩٥) الليونةُ ليست جيّدة ، فكلّما كان إيمان الإنسان أقوى تكون شجاعته أقوى ولا يخشـــى في الله لومة لائم ؟

٩٦) عليك أن يكون المدح والذّم عندك متساويان . أمّا قول سيّدنا إبراهيم عليه الصـــلاة والسلام : { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ } [الشعراء / ٨٤] فلأجل أن يتمسّكوا به بعده ، وحتى يستفيد المؤمنون منه ويكون قدوة .

٩٧) العمل في الدنيا ليس مذموماً ، لكنَّ الحرص على الدّنيا مذموم : { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر / ٩] .

٩٨) علـــى الإنسان أن يتزوّج من أجل سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك لدوام النّسل ،فإذا جعل هذا الزّواج خصوصاً للشّهوة لا يدخل في السّنة .فالعادات تكون عبادة بالنيّة.

٩٩) رحمةُ الله رَبيعُنا :{ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف /٥٦] . تفكَّرْ في نفسك بينك وبين خالقـــك هل أنت من المحسنين ؟ اعرضْ عملَك على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هل هو موافق ؟

١٠٠) حُسْنُ الظنِّ بالله واجبٌ ، وسوءُ الظنِّ بالنّفس واجبٌ كذلك .

١٠١) الله يحبُّ العمل القليل مع الإخلاص ، ولا يحبُّ العمل الكثير مع الكِبْر أو الرّياء أو العجب أو غير ذلك . فعملٌ قليلٌ بإخلاصٍ أفضل من (طونات) من العمل بغير إخلاص .

١٠٢) الدّين أحلى من العسل ، لكنَّ الصّبر عليه مرٌّ .

١٠٣) كلُّنا نخاف من النّفاق ، ومَن لم يخف من النّفاق فهو منافق .

١٠٤) لا تطلب شيئاً من الله إلا رضاه جلَّ وعلا .

١٠٥) على المؤمن أن لا يكون شيطاناً لغيره ، وذلك بمدحِهِ ورفعِهِ وقطعِهِ عن طبيعته البشريّة ؛ هذا من فعل الشّيطان .

١٠٦) ابن الطّريق مسؤوليته مضاعفة ، لأنّه يتمسّك بالشّرع وبآداب الطّريق .

١٠٧) س : طالب جامعي يشكو من عدم تمكُّنه من غضّ البصر .

ج : أنا أنصحك أن تستحيي من الله ، فإذا لم تستحْيِ من الله وهو ينظر إليك وأنت تنظر إلى النّساء الأجنبيّات كيف تشـــكو ذلك إليَّ ؟ معنى ذلك أنّ إيمانَكَ ضعيف . إنّي أسوقك إلى قوّة

الإيمان ، فالله تعالى يقول : { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } [النور/٣٠] ، وذكِّر نفسَك دائماً بقول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء / ١] . استحْيِ من الله ولا تتّبع الهوى ولا تتّبع النّفس .

ومن ناحية أخرى ، إن كان لك عقل فعليك أن تتفكّر بأنّه لا يحصل لك بالنّظر إلى الأجنبيّات إلاّ الذنوب والمعاصي .

١٠٨) س : سالكٌ يشكو ضعفَ الهمّةِ وقلّةَ الذّكرِ والعبادةِ .

ج : لا بدّ أن تأخذ بأمر الله تعالى : { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا } [الجمعة / ١٠] ، فقــد قَيَّــد الذّكر بالكثرة . وكما أنّ الله جلّ وعلا أَمَرَ بالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ فإنّه كذلك أمــر بالمحافظةِ على هذه الأمور والدّوام على طاعة الله جلَّ جلاله وبكثرة الذّكر لله تعالى حتّى تَســهل علينا العبادة .

إذا كان القلب خَرِباً فإنّ النّفس الأمّارة تنــزعج من الذّكر ؛ فلا تصغِ إليها لأنّها عدوّة لك تُوقعك في الهلاك .

١٠٩) س : كيف نوفِّقُ بين قول الله تعالى في الحديث القدسي : ((أنا عند ظن عبدي بي)) [أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه] وبين الخوف من سوء الخاتمة ؟

ج : لا تغترَّ بهذا ، ولا تَقنطْ بهذا . يجب أن يكون عندك توازنٌ بين قوله تعالى : { إِنَّ عَــذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ } [المعارج / ٢٨] وقوله تعالى : { لاَ تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ } [الزمر / ٥٣].

١١٠) س : هل على الشّيخ أن يَنــزل إلى مستوى المريد أمْ على المريد أن يرتفــع حــتى يستطيع الأخذ عن المرشد ؟

ج : نزول الشّيخ إلى مستوى المريد يَحصُلُ ،لكنْ كلُّ مريد لــه مستوى بحسب ما وصل إليه، والدّرجات عند الله ليس لها نهايه ؛ فعليه أن لا يبقى في المستوى الذي وصل إليه ، بل عليــه أن يرتفع .والتّقدّم في الطّريق يكون بالتّمسّك بالشّريعة مع الإيمان ؛ فكلّما قويَ الإيمان يقوى الطّريق ويقوى الوصول وتقوى محبّة الله ومحبّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام ويُستفاد من الشّخص.

كلُّ هذه الأمور موجودة عند الله ،لكن سُلَّم الوصول إليها هو الشّريعة والصّدق والإخلاص؛ فيكون لكلّ واحد بقدر ما قُسِمَ له .

١١١) س : هل للمؤمنين حظٌّ من صفة الله (القهّار) ؟ : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَــوْقَ عِبَــادِهِ } [الأنعام / ١٨] ؟ .

ج : نعم . المؤمنون الصّالحون لهم حظٌّ من القهر ؛ لأنّهم يصبرون عليه وينظرون إليه مثلمــا ينظرون إلى الجَمال .

١١٢) س : كيف الوصول إلى الله ؟

ج : الوصول إلى الله عزّ وجلّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبفعلِ ما أَمَرَ الله وتركِ ما نهى عنه . وتصوفيّاً : بقدر انقطاعك عن الخلق يوصلك هذا الانقطا ع إلى الحقّ .

أمّـــا مَن كان قلبُه مَخْزَناً لحبّ الدّنيا وحبّ الشّهرة وحبّ المقام وحبّ جَمْعِ النّاس على نفسه فكيف يقول : أنا من أهل السّير والسّلوك ؟

١١٣) س : يقول صلى الله عليه وسلم : ((إنّي لأَعْلَمُكم بالله)) [أخرجه أحمد وفي معناه في البخاري وغيره] ، والورّاث لهم الحظّ الأوفر من ذلك وأنا أطلب المعرفة .

ج : لا تطلب هذا ، بل اطلبِ اللهَ تعالى ، لأنّ مَن عرف نفسه عرف ربَّه واشـــتغل بوظـــائف العبوديّة ،يقول ربُّنا : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... } [الإسراء /١].

١١٤) س : ما هو الأفضل في الصّلاة ، استشعارُ عظمة الله سبحانه وتعالى أمِ التفكّرُ بأن الله تعالى يراني ؟

ج : كلاهما جيّد . كما آمنّا بوجود الله ووحدانيّته ، كذلك آمنّا بصفاته جلّ وعلا . اعبد الله كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، هذا مقام أعلى .

١١٥) س : هل يمكن الوصول إلى ذكرٍ بدون خواطر ؟

ج : الخواطر قسمان : قسم يهجم على الإنسان ويمنعُه عن مجاهداته ، هذا مذموم . والقســـم الآخر يهجم على المؤمنين في الذّكر وفي الصّلاة وخارج الصّلاة ، وهو لا يقطـــع عـــن الـــذكر والمجاهدات ، وصاحبُه يسُدُّ الباب عليه ، فهذا من علامة الإيـــمان . تعوَّذْ بالله تذهبْ - إن شاء الله - كلُّ خواطر السّوء .

أحياناً خواطر الدنيا والأولاد تأتي من النفس ، أما الخطرات بين العبد وبين الله فإنها تأتي من الشّيطان ، وهذا مذموم وهو من كيد الشيطان : { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء /٧٦] .

١١٦) س : هل يمكن التخلّص من حبّ الدّنيا بالذّكر ؟

ج : يجب التّمسّك بالشّريعة أوّلاً ، وإذا ذكرْتَ ولم تتمسّك بالشّريعة فهذا باطل ، وإن تخيّلتَ أنّك من أفراد الطّريق . فطريق مَن لم يتمسّك بالشّريعة عاطل .

١١٧) س : ما هو الأسلوب لإخراج حبّ الدّنيا من القلب ؟

ج : الإنفاق دون إسراف أو تقتير : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } [الفرقان / ٦٧] ، ومن بذَّرَ في الإنفاق فوق طاقته يكون من إخوان الشّياطين ، أنفقْ بقدر طاقتك حتّى تخرج من البخل والشّح .

١١٨) س : كيف أتخلّص من الغضب السّريع ؟

ج : اصبرْ وقل : ((اللهم اغفر لي ذنبي ، وأَذْهِبْ غيظ قلبي ، وأجِرْني من الشّيطان)) ، هذا من دعاء الرّسول صلى الله عليه وسلم .

تمَّ الكتاب بعون الله تعالى

بعد إضافة هذا الملحَق من الوصايا العطرة التي انتخبتُها من بين كَمٍّ هائل من الوصايا التي منَّ الله عليَّ بسماعها في مناسبات متعددة من

فضيلة شيخنا ومرشدنا سيدي الشيخ

أحمد فتح الله جامي

حفظه الله

وهذا كلُّه غَيضٌ من فَيضٍ وقطرةٌ من بحرٍ بالنسبة لعلومه الفيّاضة التي لا تزال تتدفَّق كالشلال من فضل الله وكَرَمه وجودِه وإحسانِه

نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً للعمل بها حتى تكون حُجَّةً لنا لا علينا

إنه خير مسؤول وأكرم مأمول

والحمد لله الذي بنعمته تتِمُّ الصالحات

وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم